

اليسار

رأية المستضعفين في الأرض

■ اليسار / العدد ١٠١ / يوليه ١٩٩٨ م / ربيع أول ١٤١٩ هـ / الثمن : ٣ جنيهاً ■



مع الخصخصة
البطالة الواسعة قادمة

لماذا اختلف اليسار
مع الشيخ الشعراوي؟

أمريكا تدخل القرن ٢١
وسرطان العنصرية بلا علاج

ستالين
هل كان لازماً؟!

التخاذل العربي
وفشل الدعوة للقمة

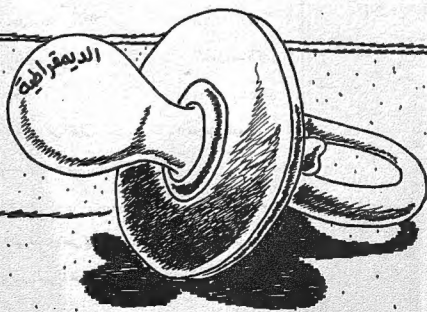
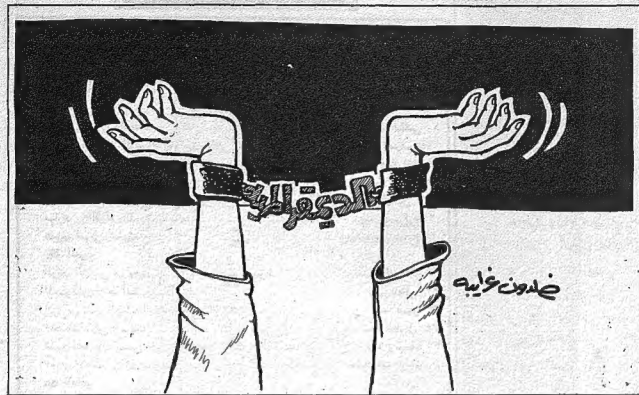
الأقباط في إطار الصدام بين الإسلام السياسي والدولة الحديثة

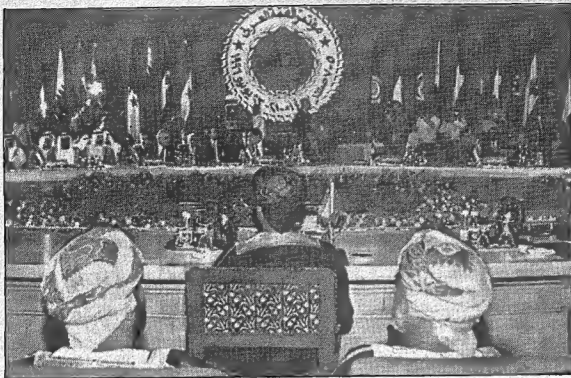
الحرب الأهلية في السودان... مؤامرة أمريكية أم حركة ديمقراطية ؟



خالد محيي الدين .. الفارس يأتي صفحة ٧٠

- السيد واليهما الله (أحمد) ١٩٩٤ (٣)





التخاذل العربي.. وفشل الدعوة للقمة

الدول الأعضاء، في الجامعة العربية بما في ذلك العراق لتكون قيادة على اتخاذ قرارات ملزمة لكافة الأطراف تتناسب مع طبيعة الموقف «وبعدما انكشفت نيات تنهائهم وعدم قبوله أي شكل من أشكال الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، ورفضه قرارات الشرعية الدولية، والمبادرة الأمريكية الروسية، وعدم التزامه الاتفاقات الموقعة والتفاعلات والوعود المقدمة» وهو ما يفرض اتخاذ موقف عربي واضح.

في المقابل عارضت بعض الدول العربية عقد قمة شاملة لكل الدول العربية، مرة بحجة أن ذلك قد يؤدي إلى تجميع جدول الأعمال وشموله قضايا عديدة على حساب القضية الرئيسية، ومرة بحجة أن دعوة العراق للمشاركة بما يعنيه من عودتها للصيف العربي قد يكون له «ردود فعل وتفاعلات من جانب الولايات المتحدة» بالإضافة إلى إحجام دول عربية كالكرنت عن المشاركة.

وكان واضحاً أن بعض المعارضين لا

الأردن-مصر) أم قمة موسعة تشمل إلى جانب دول الجوار السعودية والمغرب.. إلخ. **طبيعة القرارات المطلوب من هذه القمة اتخاذها.**

واستندت هذه الخلافات إلى خارج نطاق دول الجوار ليشترك فيها بالضرورة كل الدول العربية، بحيث أصبح المشهد العربي مساموياً، وورقة قرة في يد إسرائيل.

لقد اختلف العرب حول موعد القمة وهل تعقد قفراً بعد أن تم تجميد كل المسارات (السوري واللبناني منذ أكثر من عامين، والفلسطيني منذ شهرين) وقررت إسرائيل رفضها وموقفها، أم لا بد من انتظار قرار السيد الأمريكي الذي لم يعلن بعد مبادرته ولم يقبل الاعتراف بأن حكومة إسرائيل برئاسة بنيامين نتنياهو قد رفضتها، رغم أنها تقوم في الأساس على مستنخرحات إسرائيلية مائة في المائة.

واختلف العرب حول المشاركة في القمة. فسوريا طالبت بقمة عربية تشارك فيها كل

رغم اعتراف كافة الأطراف العربية- بما في ذلك السلطة الفلسطينية- بانتهاء عملية التسوية السياسية التي انطلقت من مدريد سروراً بأرسلو، أو على الأقل دحرجتها إلى طريق مسدود، وحاجة الحكومات العربية لإعادة النظر في عملية التسوية الحالية والاتفاق على استراتيجية عربية لمواجهة هذا الانهيار أو التعتير، بعد أن راهن العرب جميعاً على هذه العملية. فقد فشل العرب حتى الآن في إتخاذ الخطوة الاجرائية الأولى، وهو عقد اجتماع عربي على مستوى القمة ليدع البحث عن مخرج.

وكان الفشل نتيجة لوجود خلافات بين الدول المعنية مباشرة بالتسوية حول أربع قضايا.

• توقفت إنقاذ القمة.

• مكان إنقاذ القمة.

• الدول المشاركة في هذه القمة. وهل تكون قمة شاملة- بما في ذلك العراق- أم قمة لدول الجوار (سوريا- لبنان- فلسطين-

يريدون عقد هذه القمة في مثل هذه الظروف التي تدفع لاتخاذ مسارات واضحة ومحددة - مستشدة من وجهة نظر المعارضين - وبالتالي إخراجهم للمرافقة في قرارات لا يستطيعون تحمل تبعاتها.

وطرح بدائل للقمة الشاملة. مثل قمة الدول الجوار أو قمة موسعة تضم دول الجوار والسعودية والمغرب. ولشملت هذه الفكرة في ظل تناقض المواقف السورية والأردنية والفلسطينية. وصرف النظر عن اجتماع ثلاثي (قمة ثلاثية) مصرية سعودية سورية، لاستحالة استبعاد السلطة الفلسطينية.

وكان واضحاً أن الخلافات حول المشاركين في القمة، وأيضاً حول مكان الاجتماع، وحل يكون «دقيق» كما اتفق في قمة القاهرة. (يونيه ١٩٩٦) أم في القاهرة أو الرياض. هي في جوهرها خلاف حول المواقف والقرارات المطروح سدورها عن القمة.

فسوريا ترفض أن يكون هدف القمة ممارسة ضغط على نتنياهو لقبول المبادرة الأمريكية بإعادة الانتشار في الضفة الغربية والاستحاب من ١٣٪ من أراضي الضفة.

ولا تغفل أن تستخدم القمة العربية لتقديم تعليقاً للتنازلات الفلسطينية للتسوية وتدعم سوريا أن يكون هدف القمة بحث مسيرة التسوية برمتها ووضع خطة عربية

للتحرك انطلاقاً من الالتزام بقرارات قمة القاهرة - وجوهها وقت الاجتماع - وبمجميد العلاقات مع إسرائيل - ومحاصرة السياسة

الإسرائيلية والمشد للفعلي لطاقت العربية والتخطيط لاستعادة الأرض والحقوق والتنازلات. وأوضحت سوريا أنها لا تطالب

الدول العربية التي وقعت اتفاقات مع إسرائيل بالفناء. هذه الاتفاقات وقطع العلاقات مع إسرائيل، بل تطالب بتنفيذ القرارات قمة

القاهرة - بتجميد هذه الاتفاقات والعلاقات. على الضفة المقابلة تتفق الأردن التي ترى

حكومة أن الاتفاقات المقروعة مع إسرائيل (اتفاق وادي عربة) ملزمة لها، وأن اتخاذ أي

قرارات من القمة العربية بدون التطبيق والالتزام أو وقف مباحثات السلام سيضيع

كل التنازلات التي قدمتها الأردن حتى الآن. هي، ومتعسكس العلاقات الثنائية الحالية بين

الأردن وإسرائيل تستعسكس على العلاقات الثنائية الحالية، والتي استمرت فيها الأردن الكثير - بصورة ضارة بالأردن، وسيعطى

نتنياهو المبرر للتدخل من التزامات إسرائيل في الاتفاقات المقروعة مع العرب.

ويرفض رئيس وزراء الأردن - عبد السلام الجالي - ما تردد سوريا وكثير من الحكومات والقوى العربية من أن عملية التسوية السياسية (السلام) في تمثيله تستط أن تنهار. معتبراً أن مثل هذه العبارات وإحساناً في حق، ما تحقق فعلاً في الشرق الأوسط..

«فللمرة الأولى يعترف بالفلسطينيين من قبل الغرب خصوصاً الصهاينة وعلى أرض فلسطين».

ويضيف الجالي أن السلام (التسوية السياسية) ليست مجرد خيار عربي وإنما هو «استراتيجية دولية وليس كتكتيكاً، وهو

يجتاح إلى جهد وصبر كبيرين». ويظهر بلاء من المقاطعة ورفض التطبيع

وتجميد العلاقات، الاستمرار في مسيرة التسوية الحالية «وتطور العمل لتحقيق مزيد من المكتسبات... ومخاطبة الرأي العام

الإسرائيلي مباشرة واقناعه بأن لا حياة عن عملية السلام وأن أي خيار آخر سيهدم

«المنطق» مؤكداً على أهمية التوصل مع الاسرائيليين لانهم «هم الذين ينتخبون

قاداتهم ويؤثرون فيها... وأن المجال مفتوح أمام العرب لتحقيق نقلة نوعية في مسار

السلام» (التسوية) من خلال تعيين الاتصال مع كل القوى التي كانت مؤيدة لإسرائيل.

وهذا الاتصال أقوى من الحروب الدبلوماسية والعسكرية».

وأكد على أن تغييراً جدياً قد حصل خلال العامين الماضيين إذ أبدت الولايات المتحدة وأوروبا تعاطفاً متزايداً مع القضية

الفلسطينية، والرأي العام الإسرائيلي منقسم.

ويضيف أحد المدافعين عن الموقف الأردني القوي أنه «من الإجحاف عدم تقدير

خصوصيات الأردن وظروفه القاتية التي تحتم عليه - كما على بقية الدول العربية - اتجاها

سياسي مميز في بعض مساهمات، إلا أنها متناغمة مع الموقف السلمي في محتواها

العام. فللأردن لم يلحق في اتفاقيته الموقعة مع إسرائيل يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤ أبعد ما

ذهبت إليه مصر والسلطة الفلسطينية والعرب من الدول العربية».

وقد يكون ذلك صحيحاً جزئياً. ولكن العلاقات الأردنية الاسرائيلية تحولت خلال

عامين من التطبيع إلى التحالف الاستراتيجي واضح أصبح نواة حلف اسرائيلي اوروبي تركي

برعاية امريكية. وكما هو واضح فالرهان الأردني على إسرائيل وأمريكا للخلص من مشاكله الاقليمية والداخلية رهان لا يمكن

الرجوع عنه لحساب موقف عربي موحد. ولا يختلف كثيراً الموقف الفلسطيني عن

«مستشدة» تقودها إلى صدام يقفها المكاسب التي ترى أنها قد تحققت على أرض الواقع، ويهدد القوى الرافضة لاتفاقات أوسلو.

ويجد الموقف الأردني والفلسطيني صدى في بعض جوانبه لدى حكومات عربية مثل قطر وكمان وربما المغرب.

وعلى الأداة المصرية ورغم أنها لا تتفق مع السياسة الأردنية ولديها مخفطات على

تذبذب موقف السلطة الفلسطينية، وتأخذ في اعتبارها موقف سوريا ولبنان اللتين تعانين

من استمرار الاحتلال الاسرائيلي وتجمود عملية التسوية على السارين... فهناك سقف واضح

لاستعدادها للتحرك واتخاذ قرارات ومواقف في مراجعة التحرك عملية التسوية. فإدارة

الرئيس مبارك لا تقبل أي «مغامرة» تضعها في تناقض مع السياسات والمصالح الأمريكية

، أو الاقتصار على التناجى مع إسرائيل، أو إعادة النظر في منح التسوية السياسية

القائمة على اتفاقات كامب ديفيد ومغريد. باختصار فالأداة المصرية متسكة

بالنظر الذي قيل في أعقاب اجتماع مجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية بعد قمة

القاهرة والذي طالب الحكومات العربية بتجميد العلاقات الاقتصادية والتجارية وكافة

أشكال التطبيع. من أن هذه التوصية لا تطبق على الدول التي وقعت اتفاقيات صلح مع

إسرائيل (مصر والأردن). ولعصر اقتراحاتها في التحرك على المستوى الدبلوماسي..

بافتراض عقد مؤتمر دولي لإقادة التسوية، وهو المؤتمر الذي دعا لعقد الرئيس مبارك والرئيس

الفرنسي شيراك... واقتراح آخر بأن تشكل القمة القادمة «وقد رئاس عربي يضم عددا

من القادة العرب يتولى القيام بزيارات واتصالات مع الدول الكبرى المعنية بإعادة

الموقف الفلسطيني، «الموقفين السوري اللبناني، مع التركيز بصفة خاصة على

الولايات المتحدة لن الأداة الأمريكية التي الضغط على الحكومة الاسرائيلية، والقيام

بدور أكثر تعالية لتحريك عملية التسوية». وعلى عملية التسوية الحالية التي صارت

وقفت منذ مدة. ورفض أي استخدام لأوراق القوة والضغط العربية والفلسطينية.

وهذا الارتفاع الضخيم المؤلم وهذا التخاذل

العربي الرئيس لن يتغيثين ما لم تتنازع

الاحزاب والقوى الشعبية العربية في كل قطر

عربي -ومن خلال العمل المشترك - لممارسة

الضغط على الحكومات العربية والزائنها

بإعادة النظر في منح التسوية وأساليب

عملها. واعتماد نهج جديد يقوم على

استخدام أوراق القوة العربية.

رئيس التحرير

★ اعتذار متأخر ★ ذكرى الجواهرى ★ بطرس غالى والفرانكوفونية ★ وأخيرا ظهرت الحقيقة

د. عبد العظيم أنيس

ذكرى الجواهرى

بغضنى إلى الكتابة عن الشاعر العظيم **الراجل الجواهرى** أسرار: الأول أنى عرفته شخصيا فى سوريا فى الخمسينيات وكثيرا ما كنا نتلقى فى مقهى فاروق «بشارع سعد الله الجابري» وننتظر هومونا العربية وتطول جلساتنا مع كتاب سوريا وشعرناها مثل «خامسة» و«شوقي بفغدادى» و«سعيد حورانية» و«مواهب كبيلى» و«حسيب كبيلى»... الخ إلى وقت متأخر فى ليلتى الصيف الجميلة فى دمشق.

ولقد ذهبت إلى سوريا عام ١٩٥٧ مرتين، وطالت إقامتى بها. كنت آنذاك محررا للشئون العربية لصحيفة «المساء» القاهرية وكان خالد محيى الدين رئيسا لتحريرها، ولقد ذهبت المرة الأولى مستهدفا عمان فى حقيقة الأمر وأن اتخلت من دمشق نقطة الاقامة الاساسية لى، واعتقد أن هذا كان فى ابريل أو مايو ١٩٥٧. وكان الجو السيلسى شديدا التصرنى فى الاردن بين الملك والاحزاب الوطنية التى كانت تنوى إقامة مؤتمرها الوطنى فى نابلس، وكان هو معارضا لذلك إلى درجة أنه حاصر عمان بقوات البادية لمنع زعماء الاحزاب الموجودين فى عمان من الذهاب إلى نابلس. وقد لعبت دورا فى نقل اثنين من زعماء الاردن إلى سيارة للسفارة المصرية إلى نابلس، وهما هاتق ولاء وعيسى مملات. كما شربت ذلك من قبل فى مكان آخر منذ سنوات عديدة.

والمرّة الثانية التى ذهبت فيها إلى سوريا عام ١٩٥٧ كانت عندما اشتد التهديد التركي لسوريا (سبتمبر ١٩٥٧) وكانت هناك مخاوف جدية من

مستشفيات الولايات المتحدة فطرت مستشفى جوتز هيكنت بأنها الأولى لدى الرأى العام الأنسبريكى على طول السنوات ١٩٩٠-١٩٩٧.

ومن الصعب على أى عربى عندما يذهب إلى هناك أن يقول عن هذا المستشفى إنه مستشفى واحد فالواقع أنه العديد من المستشفيات فى كافة التخصصات، رغم هذا يدار العمل فيه بدقة متناهية، ودون مسابقة يمكنى أن أقول أن سيانتي هذه المستشفى تكافئ كل مبانى جامعة القاهرة وعين شمس مجتمعة.

وأنت كمرض عندما تصل إلى المستشفى فى زيارتك اليومية لا تغفل لأحد شيئا إما تضع كرتك الخاص الذى أعطى لك من قبل تحت جهاز الكترنى خاص بفريق الطبيب المختص ومساعد فى غرفهم أنك قد وصلت. ثم تجلس فى غرفة الانتظار تحو ربع ساعة حتى يأتى من بنادى عليك لمقابلة الطبيب أو لأخذ جرعة العلاج المقررة لك.

وفى مستشفى جوتز هيكنت قسم دولى مخصص للذين يأتون من خارج الولايات المتحدة وبما جازن الأجر وليس عن طريق التأمين الصحى. وفى هذا القسم الدولى تلتقى بـ **بورلين** و **موسولفات** **عرب** من العراق وتونس وسوريا ومصر... الخ وقد قابلت عددا من المصريين هناك وكانوا جميعا آية فى اللطف والمودة والرغبة فى بلد كل عون. لكنى أحسست رغم هذا أنهم جميعا ودون استثناء يشعرون بالغربة ويذهب حين جارف إلى العودة إلى مصر، وإن كانوا بالطبع لا يعرفون أى عمل فى مصر يمكن أن يجدوه، وإن وجدوا هذا العمل بقأى أجر يمكن أن يتقاضوه مقابل ما يحصلون عليه فى الباتيمور.

وكان مما سرنى أن بعض هؤلاء المصريين فى القسم الدولى كانوا يعرفون أنى كاتب، وكانوا قد قرأوا بعض ما كتبت فى عدد من الصحف أو المجلات المصرية، المهم أننى لم أجد أحدا منهم يعرف أننى أستاذ جامعى، بل الكل يظن أننى صحفى.

اعتذار متأخر

أبدأ عبودنى إلى الكتابة فى «اليسار» بشرح أسباب تخلفى عن الكتابة طوال هذه الفترة (والتي طالت عدة شهور. ويعود هذا فى الحقيقة إلى مرضى واضطرابى للسفر إلى الولايات المتحدة لاستكمال علاجي هناك حيث قضيت فيها نحو ثلاثة شهور. والآن وقد بدأت أسترد عافيتى -ولو تدريجيا -ها أنأأ أعود إلى الكتابة مرة أخرى.

لقد قضيت الأشهر الثلاثة فى مدينة **الباتيمور**، وهى تبعد نحو ساعة بالسيارة عن واشنطن. وهذه المدينة التى غالبية سكانها من السود جميلة بآثارها التاريخية وفيها مثال ضخم لجورج واشنطن قائد حرب الاستقلال. والمدينة فى ذهن الأمريكى العادى تذكره بأمرين: أولهما أن المظاهرات الأولى للعرب الأهلية الأمريكية وقعت فى شوارعها. وأحد هذه التظاهرات الرئيسية التى دارت فيها المعارك كان بعد خطابات عن الفئدة التى كنت أقيم فيه، ولذا كنت كثيرا ما أقتضى زيارة المشى فى الصباح فى هذا الشارع بالذات (وأسمه شارع **برايت** **Pratt**) رغم برودة الطقس فى شهرى يناير وفبراير، وأحاول أن أحضر شكل الممارك التى دارت آنذاك. وكان السبب فى وقوع هذه المظاهرات الحرسية الأولى فى هذه المدينة أن **إيراهام** **لنكولن** كان يخاف علي واشنطن من هجوم مفاجئ من الجنوبيين فأعطى أوامره بإرسال قوات من الشمال (اليانكى) إلى واشنطن ولما كانت الباتيمور تقع شمال واشنطن كان على قوات اليانكى أن تمر على **الباتيمور** فى طريقها إلى العاصمة -وفى **الباتيمور** تصدت لها بعض قوات الجنوب ودارت المناوشات الأولى.

أما الأمر الثانى الذى تصرف به هذه المدينة الصغيرة فهو مستشفى **جوتز هيكنت**، التابع لجامعة **جوتز هيكنت** وكلية الطب بهذه الجامعة التى من أشهر جامعات أمريكا. وفى استفتاء أجريته كبرى الصحف الأمريكية عن أفضل

بوكت أنذاك في مستشفى الطور . وقد وصانا بطريقة ما عدد «الكاتب المصري» وأدعيت أنذاك أن ينشر طه حسين تلك القصيدة الشريفة في ظروف مصر أنذاك ومن أبحاثها المجربة.

كسما بيومك والفرار الجارى

والثورة الحمراء ، والفرار

لا بد أن يثب الزمان وينثني

حكم الظفء عظم الاظفار

وأذكر أننى قلت للجواهري في دمشق شيئاً عن هذه القصيدة وجراً طه حسين في نشرها أنذاك فعملت منه أنه زار مصر أنذاك وكانت جمعة بطه حسين صداقة وطيدة.

وكثيراً ما كنا نطالع ونحس جلوس في «مقهى فاروق» بشارع سعد الله الجابري بإشاد بعض من شعره ، وكثيراً ما كنا نؤزده في مجلة المهني التي عينه السوريون بها ، وهي مجلة تصدر عن الجيش ، ولم يكن من النادر أن أجده في تلك المناسبات في حالة في حاله ولادة قصيدة يشتم بكلمات غير مفهومة ويكتب على غلب السجائر وحتى على الجدران فتركة في حالة ونقل باب الهجرة عليه حتى لا نزعمه.



طه حسين

معرض دمشق الدولي اليوم).
لم تكن هذه القصيدة العظيمة أول مرة أقرأ فيها شعراً للجواهري. فأذكر أن أول مرة لفت الجواهري وشعره نظري ، قصيدة نشرها له طه حسين في مجلة «الكاتب المصري» في رثائه للقائد الوطني «أبو جعفر الثمن» فيما أظن

هجوم تركي عليها. الأمر الذي دفع عبد الناصر إلى إرسال بعض كتائب الجيش المصري إلى اللاذقية. وفي تلك الفترة أيضاً تورقت صلتى بالجواهري وأحييت حديثه وأنتست إلى مجلسه.

أما الأمر الثاني الذي يدفعني إلى الكتابة عن الجواهري فهو أنه «اليسار» فيما أذكر -رقد- أكون مسخطباً- لم تعط الجواهري مند ونياته الانقسام الذي يليق بشاعر في قامة الفنى بوعظمة شعره.

وبالطبع فأنا أكتب من الذاكرة عن أحداث مضى عليها أكثر من أربعين عاماً. وأرجو لذلك ألا تخزوني ذاكرتي في أي شيء أكتبه عن هذه الذكريات.

ما أذكره أننى قابلت الجواهري في دمشق في مايو ١٩٥٧. كان قد غادر بغداد سراً، وعندما وصل إلى الشام ألقى قصيدته العظيمة في رثاء العقيد عثمان النوري الذي اغتال بعض العناصر من القوميين السوريين كما أظن، وهي القصيدة التي نطبعها:

فلت غاشية الخنوع ودائي

وأنت أقيس عمرة الشهداء

وقد ألقاها في الملعب البلدي (مكان

وأخيراً.. ظهرت الحقيقة



منذ عدة أشهر قاد الاذاعي المصري الراحل «حسني قنديل» حواراً بيننا نحن الذين عارضنا بشدة جماعة كونهاجن ، وبين الذين كونوا هذه الجماعة وهم على وجه التحديد مع حفظ الانقلاب: لطفي الحولي ،عبد التميم سعيد، رضا محرم ، بالإضافة إلى سعيد كمال من منظمة التحرير ، وكنا نحن المعارضين أربعة: المرحوم سعيد وهيب ، صلاح الدين حافظ، محمد سيد أحمد ، وكاتب هذه السطور.

وقد نشرت جريدة الأهرام آنذاك النص الكامل للحوار. وأذكر أن الأستاذ حسني قنديل سألتني في آخر الحوار إن كان هناك شيء أريد أن أخفيه. فقلت الآتي أو شيئاً له نفس المعنى : إن الوفد الأردني الذي ذهب إلى كونهاجن من الواضح أنه وفد السلطة الأردنية بديل اشتراك رئيس الديوان الملكي ورئيس سلاح الطيران فيه.

ومن الواضح أيضاً أن الوفد الاسرائيلي هو أيضاً ليس بعيداً عن السلطة الاسرائيلية بديل اشتراك عناصر فيه من لتييت دوراً أساسياً في الموساد (واقيد كمحي). ومن الواضح أيضاً أن الوفد الفلسطيني قد اختارته

قيادة خاصة لا صلة للسلطة المصرية بها. وعندما قلت هذا الكلام قاطعني لطفي الحولي قائلاً: لا لا .. اعني قلت إن هذه قناعتي رد فوراً : أنت حر فيما تعتقده.

منذ ذلك الوقت جرت مياه كثيرة في نهر كونهاجن العفص لكنني أتوقف على بعض معالمها : تكوين جمعية القاهرة للسلام وموافقة وزارة الشؤون الاجتماعية عليها . حضور الوفد

السلطة الفلسطينية، وهي لا تترك ذلك. وهذا بالتالي يطرح السؤال التالي: هل الوفد المصري هو وفد السلطة المصرية؟ إنني على قناعة بـهكذا ، والدليل أن وزير الخارجية وعصرو موسى ، حاجمنا نحن المعارضين لموضوع كونهاجن ، ولم يكن هناك أي مبرر لأن يقيم «عصرو موسى» نفسه في هذا الموضوع لو كانت قيادة كونهاجن هي



الرئيس مبارك يستقبل التجمعين المصريين والاسرائيليين



بطرس غالي والفرانكوفونية

مناطق الشرق الأوسط قبل الوقت المناسب. ثم استطرد قائلا: لعلي لا أحصمك إن قلت لك إن شعوبا كثيرة في العالم الثالث كانت في حاجة إلى فسترات أطول من الاستعمار ووصاية القوى الكبرى عليها حتى يصلوا إلى سن الرشد. وقال هيكل: وقتها خلفته ومازلت أخافه. هذه واقعة أنقلها من كتاب الأستاذ هيكل كما هي.

أما الواقعة الثانية فاستاذن الصديق الدكتور كمال أبو المجد في روايتها كما رواها لي. والقصة أنني قابلت الدكتور أبو المجد صديقة في مصر الجديدة أيام أن كان موضوع د. بطرس غالي مطروحا على نطاق واسع في الصحافة المصرية والعربية. وطرق بنا الحديث فإذا به يذكر لي أنه في إحدى زياراته لنيويورك ذهب للقاء د. بطرس غالي وكالعادة سأل عن الأحوال في مصر وكان يعنى بذلك أحوال البلاد.. النظافة والمرور، سلوك الناس، والأجهزة المحلية، التعليم المستشفيات، الخ.

ورد د. أبو المجد بما يعنى أنه غير راض عن هذه الأحوال، فإذا بالدكتور غالي يقول له ما ستعاني إن مصر كانت في أحوال أفضل عندما كان الاجانب يحكمونها. وهو كلام فيه تأكيد لا قاله د. غالي لهيكل كما ورد في كتابه. ولم يطق د. أبو المجد صبرا على مثل هذا الكلام وقال لبطرس غالي: أرجوك لا تعد

الاسرائيلي «السلام الآن» ولقائه بأسماء الباز مع الوفد المصري ثم العشاء الذي أعده نائب وزير الخارجية المصري للوفدين المصري والاسرائيلي ثم أخيرا مقابلة الرئيس مبارك للوفدين ومباركة جهودهما.

ويعد ذلك بريد لطفي الحزولي أن تصدق أنه ليس بمعزل السلطة في مصر. بقيت كلمة أخيرة... إن هذا العمل إن دل على شيء فإنه يدل على حالة الاقلاق التي تعيشها في مصر والاقلاق التي تعيشها السلطة الفلسطينية في غزة في وقت يشهد فيه هدم بيوت الفلسطينيين في غزة والضفة وتبنى كل يوم مستوطنات اسرائيلية جديدة. ولا حيلة لدينا غير الصراخ والبكاء وانتظار ما يجود علينا به الرئيس كليتسون. وهو لن يجود بشيء ذي بال. مع أن الشعب الفلسطيني يستعد للمقاومة بكافة أشكالها لو وجد دعما من عرفات ورجاله. ومع أن مؤثر فحة عربى جاد يستطيع أن يكون بداية لأن يشرع العالم أننا جادون ولنا هازلين.

لم أكن متحمسا أبدا لبطرس غالي عندما كان أميناً عاماً للأمم المتحدة، وكنت أعلم أنه مدين في تعيينه في هذا المنصب لفرنسا أكثر من أي دولة أخرى. وكنت أرى أداؤه في الصومال واليوسنة شيئا يشير للجهل. ولذا لم أكن ضمن المصريين الذين تحمروا للتجديد له رغم كراهيتي للسياسة الأمريكية وكنت أعجب من هؤلاء في صفوف اليسار بالذات الذين دافعوا عن التجديد له لجرد أن أمريكا كانت مصرة على خروجه باعتباره أن هذه معركتها مع فرنسا.

ولقد عبرت عن رأيي هذا في حوار تلفزيوني في قناة ART بالاشتراك مع عاتقة وآتوب والاستاذ صلاح بسيوني والاستاذ فهمي هويدي. كما عبرت عنه في مقال بصحيفة العربي الناصرية. سبأ الذي يجعلني أعود إلى هذا الموضوع؟

هو مقال قرأته للأستاذ هيكل في كتابه الجديد (مقالات باثنية) بعنوان الماضي لا يعود ولا يستعاد جاء فيه بالنص:

«إن الدكتور بطرس غالي السكرتير العام الحالي للأمم المتحدة... عاد إلى مرة من زيارة لافريقيا والمحيرة عليه، وبعد لحظة صمت قال بهود».

هل أتحدث معك بصراحة؟ إنني أعتمد أننا حاربنا الاستعمار وأخرجناه من كثير من

هذا الكلام علي مسامعي فلست أطيقه. وما دعا ترك بطرس غالي الأمم المتحدة فإذا «شركاء» بعينه أمينا عاما لمنظمة الفرانكوفون، وهي المنظمة التي تضم الدول الافريقية المتحدة بالفرنسية والتي لفرنسا السيادة عليها في حقيقة الأمر. علما بأن مصر لم تكن يوما من الأيام... مستعمرة فرانكوفونية، ولابد أن الافارقة قد أدهشهم أن تفرض فرنسا عليهم رجلا ينتمي إلى دولة لم تكن فرانكوفونية في يوم من الأيام.

وما دامت فرنسا قد فشلت في التجديد له في هيئة الأمم فلا أقل من تعيينه أمينا عاما لمنظمة أخرى لفرنسا فيها السيادة، هي الفرانكوفونية.

ولابد أن يكون راتب هذه الوظيفة مغريا أيضا.

الشباب وتجارب البطالة



مها فلفل مكتب القوي العاملة
أمام ٣٧ مليون عاطل

لقد كنت أصغر من نومي ليلاً لأخرج إلى
بلكوته متزلاً وأساسر عدداً من الحركات
الغريبة أو لأصبح بأقوال وصيحات غير
مفهومة: «وك-وك-وك» لأنها كما تدور في
إطار التنفيس عسا بداخلي لدرجة أن أهل
المنطقة تعودوا علي ذلك متى، واعتادوا على
سماع صوتي في الليل يتردد بهذه النداءات.
لقد وصلت بين الحالة النفسية السيئة في
فترة من الفترات إلى الحزن من العمل نفسه
والحزن من عدم القدرة على ممارسة العمل
الذي تأملت له في الجامعة، وخصوصاً أنني
كنت أحسن أن كل قدراتي قيد تعطلت بما
دفعني للبحث عن أي عمل روتيني أو مهني
أبداً حتى ولو كان بعيداً عن تخصصي،
وذلك خوفاً من الفشل في ممارسة العمل الذي
كان هدفي في الحياة والذي سعيت لتحقيقه
من خلال الدراسة، ولتجأت إلى ممارسة العمل
المنزلي بشدة والاهمكت فيه لدرجة أعجزت كل
المحيطين بي.
لقد انصابتني هذه الحالة رغم أن فترة
تعطلني عن العمل لم تتجاوز بضعة شهور
ورغم وجود بيت كان قادراً على احتوائني
واحتواء مشاعري وإحساسي بشدة والتعامل
معه بمنتهى الرفق.
في هذه الفترة كنت أفقد الكثير من

مفهماً محدداً لكلمة عاطل:
يقول د. رمزي زكي في كتابه «الاقتصاد
السياسي للبطالة» اجتمع الاقتصاديون
والجغرافيا - وحسب ما أوصت به منظمة العمل
الدولية ILO - على أن العاطل هو: «كل من
هو قادر على العمل ورغب فيه ويبحث عنه
ويقبله عند مستوى الأجر السائد ولكن دون
جدوى».

وينطبق هذا التعريف على العاطلين الذين
يدخلون سوق العمل لأول مرة وعلى العاطلين
الذين سبق لهم العمل واضطروا لتركه لأي
سبب من الأسباب.

ويقول د. رمزي زكي في الكتاب أن
هناك شرطان أساسيان لابد أن يتجمعا معاً
لتعريف العاطل حسب الاحصاءات الرسمية
وهما:

- ١- أن يكون قادراً على العمل.
- ٢- أن يبحث عن فرصة للعمل.

ومن ذلك فإن التعريف يستبعد أعداداً
كبيرة من القادرين على العمل ولكتهم لا
يبحثون عن العمل لأنهم أحبطوا تماماً لأن
جهودهم في البحث عن العمل في الفترة
الماضية لم تجد ومن ثم أصبحوا مستائمين
وكفوا عن البحث عن فرص للعمل.
تجربة خاصة

عموماً فقد كان أحد الدوافع الأساسية
وراء إجرائي لهذا التحقيق هو أنني في فترة
من فترات حياتي تعرضت لحالة البطالة وكان
الامر شديد القسوة. وهو ما أثر علي وغير
الكثير من عاداتي فأصبحت لا أرى إلا
الجانب الأسود والمظلم في الحياة وفي البشر.
وأتأثر سلوك حياتي اليومي واختلفت
عاداتي في النوم وتعرضت لحالة من الأرق
الدائم حيث أنني لم أكن أستطيع أن أنام
أكثر من ثلاث ساعات يومياً. ونتيجة لذلك
أصبحت بحالة شديدة من الاضطراب تأثرت به
معدتي فأصبحت غير قادرة على التعامل مع
أي نوع من أنواع الطعام وأرعب الأطباء ذلك
لسوء حالتني النفسية.

خالد الباشي

المتابع لصفحة الحوادث في الجرائد
اليومية المصرية سيكتشف أن هناك عاملاً
مشتركاً في الكثير من الحوادث التي تنشرها
، وهو أن معظم الذين يتكلمون هذه الحوادث
هم شباب يعانون من البطالة.
فبظرة واحدة لعناوين صفحات الحوادث
في عدد من الجرائد المصرية خلال يوم واحد
قرأت العناوين التالية: «للسرة الرابعة في
أسبوع واحد ٤ عاطلين يقرون بالاعتداء على
سيدة واشتعالها»، «ضبط عاطل حاول
الاعتداء على جيرانه بسنجة»، «عاطلان
يزقان جسد زميلهما خلالهما على مبلغ ٥٠٠
جنيه»، «طالبة بالاعتمادى تخرج أحشاء
عاطل بالطائرة لما كستها في الطريق».

ومع أن أزمة البطالة تلقى الآن نوعاً
غريباً من التجاهل لدى الكثير من
الاقتصاديين ورجال السياسة فإن عدداً كبيراً
من المفكرين أصبحوا يقدرون توازن الخطر،
بشأن ما يمكن أن ينتج عن تجاهل أزمة البطالة
من إغلاقات ولافلاف اجتماعية وسياسية.
ولعلنا لم ننس أن أول حادث إغداء على
أتريس سيحاي في الصعيد بإطلاق النار
عليه كان الفاعل فيه غير منضم للجماعات
الارهابية ولكنه كان عاطلاً ارتكب جريمة لقاء
أجر محدد قبض منه خمسين جنيهاً فقط قبل
التنفيذ.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا بشدة ..
ما هي الظروف النفسية التي تدفع هؤلاء
العاطلين - وقد كنت واحداً منهم - إلى ارتكاب
مثل هذه الجرائم؟

حاولنا أن نحيط على هذه الأسئلة من
خلال الدخول إلى عالم المتعطلين عن العمل
ليحدثونا عن مشاعرهم وروؤيتهم للحياة
وطريقة تعاملهم معها وروؤيتهم للواقع المحيط
بهم خلال فترة البطالة وهل اختلفت رؤيتهم
للحياة ونظرتهم لها نتيجة تعرضهم للبطالة أم
لا؟

جميع من قابلناهم لم يصل أحد منهم إلى
مرحلة الجرفعة ولكنهم أجمعوا على أنهم في
لحظات إحباط معينة كانوا مستعدين لعمل
أي شئ لولا أن هناك ظروفًا أخرى كانت
تدفعهم للتراجع.
ولكن قبل أن نبدأ كان علينا أن نحدد

طموحاتي واحداً في الجمعية واكتسبت روية سوداوية للحياء ما كنت لأكتسبها إلا بعد مرور فترة طويلة من العمل في أحد الظروف قسوة وسوداوية - وأصبحت نظرتي للناس والحياء نظرة شديدة السواد وتتركز بصرى على الجانب النسوي في حياة الجميع.

لقد حوت بشدة على هذا الشباب الجميل الذي كتبه في الجمعية والذي كان يرى أن الخير هو العنصر السائد في الحياة بينما الشر هو الجانب المتفتح في حياة البشر والذي اختلفت رؤية الحياة بل وكادت افقده لاجد انه تعطل عن العمل لعدة شهور ليس أكثر في هذه الفترة كان من الممكن أن أفقد الكثير من أحمالي وطموحاتي لولا وجود بعض من الدعم الرمحي الداخلي والذي كان يتمثل في بقاء بعض من المبادئ التي كنت اعتنقها وأحلم بتحقيقها والتي كنت أخشى من فقدانها مع طول فترة البطالة - ودعم خارجي يتمثل في مساندة أسرتي لي بشدة والتفاهم جولي وحبيهم الشديد الذي احاطوني به

نعم كانت هذه حالتي غير بعض العادات السبئية الأخرى التي اكتسبتها أثناء فترة البطالة، ولذلك فقدت كان السؤال الذي يلح علي دائماً بعد خروبي من هذه الحالة «يا ترى كم من الشباب ما زال يعاني مما عانيت أثناء هذه الفترة السبئية من حياتي؟» وإذا كانت بضعة شهور قد فعلت بي كل هذه الاغصائل فما بال الشباب الذي تستمر فترة تعطله لسنوات طويلة وما هو المصير الذي من الممكن أن يصل إليه بعد كل هذا الوقت من الانتظار والتعطل؟

وفي محاولة للوصول إلى العدد الحقيقي لأرقام العاطلين ونسب البطالة في مصر فإباناً هذا التضارب الحاد والتخبط الواضح في الأرقام المتداولة حالياً عن مشكلة البطالة وهو ما يعكس عدم جدية الدولة والمسئولين في التعامل مع الظاهرة.

تقديرات وزارة القوى العاملة والهجرة تؤكد أن نسبة البطالة في مصر لا تتعدى ٨.٨% خلال العام المالي ٩٨/٩٧ من التوقع أن تتفخض إلى ٩.٨% بعد توقيع ٥٥ ألف فرصة عمل جديدة. أما الإحصاءات الصادرة عن الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة فتقول أن نسبة البطالة في مصر لا تقل عن ١٢٪ وذلك بسبب بعض الأخطاء التي صاحبت عملية الإصلاح الاقتصادي والتعديل الهيكلي. أما أعداد العاطلين طبقاً لتقديرات البنك الدولي فتبدو فيجعة للغاية حيث تصل لأكثر من ٣.٧ مليون فرد بنسبة تصل إلى ٢٢٪



د. رمزي زكي

من حجم قوة العمل وذلك نتيجة لتراكم أعداد الخريجين لأكثر من ١٣ دفعة متواصلة لأن تعيينات وزارة القوى العاملة تنفد حالياً عند دفعة ٨٤ مؤهلات متوسطة ودفعة ٨٥ مؤهلات عليا.

وأكد الخبراء أن القرارات الحكومية الخاصة بوقف تعيين الخريجين لتفترات طويلة لتوفير الناح المناسب لنجاح برنامج الخصخصة قد ساعدت على تفاقم ظاهرة البطالة في مصر حتى وصل عدد العاطلين من حملة المؤهلات العليا والمتوسطة فقط إلى ١.٩ مليون شخص معظمهم من خريجي كليات الآداب والزراعة والعلوم والتجارة والاثار والمعاهد العليا الفنية والصناعية والتجارية والمعاهد المتوسطة وخريجي بعلوم التجارة.

أما تقارير الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء لعام ١٩٩٦ فتقول إن نسبة البطالة بلغت ٣.٠٪ في نفس عام صدور التقرير أي ما يعادل ٥.٧ مليون متعطل.

المطير في الأمر أن النسبة الأكبر من العاطلين عن العمل هم من الشباب صغير السن القادر على العمل من حملة المؤهلات الجامعية والمتوسطة وهو ما يؤدي إلى تصاعد موجات الاحتياض والتخمة على المجتمع فيما بينهم ويجعلهم فريسة سهلة للصعافات الأراهبية المنتشرة بالدين وهو ما قد ينجم عنه الكثير من الآثار السلبية على الصعيدين السياسي والاجتماعي.

الشباب أكثر تعطلا

نظمت للدراسات التي قام بها مركز المعلومات بمجلس الوزراء والجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء وإكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا فإن أعداد العاطلين في الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٩ سنة تصل إلى

٩١٪ من أعداد العاطلين بشكل عام وأن معدلات البطالة في نفس الفئة العمرية تبلغ ٥١٪ من إجمالي القوى العاملة وأن نسبة البطالة بين حملة المؤهلات الجامعية تبلغ ١٣.٥٪ وبين حملة المؤهلات فوق المتوسطة ٦.٨٪ بينما تنخفض النسبة إلى ٧.٧٪ من حملة المؤهلات المتوسطة.

وسط هذه الأرقام المخيفة ودلالاتها المريعة تأتي السياسات الحكومية المصرية لتزيد الأمر سوءاً. وفي الوقت الذي تعلن فيه الحكومة المصرية أنها تسعى للقضاء على البطالة فإنها تزيد البطالة بأن تقوم بتعيين العواجز والطاعنين في السن الذين وصلوا لسن الإحالة في ديسمبر الماضي أعلن د. محمد زكي أبو حاصر وزير الدولة للشعبة الإدارية أن هناك ٧٢ ألف ٢٠٠ مستشارين وخبراء يعملون في الدرجات الشاغرة والصعالة المؤقتة بهيئات الدولة بدلاً من الشباب.

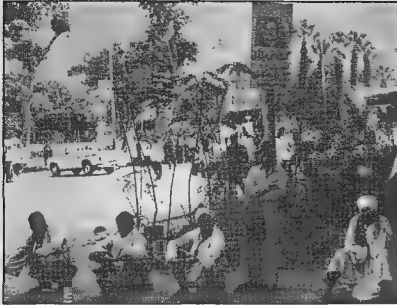
حمض همام الجبهر الاجتماعي إلى الآثار الاجتماعية السبئية للبطالة ويقول إن سبب لجوء الشباب للعنف هو انعدام الروية الواضحة لصورة المستقبل في أذهانهم فسادت بينهم حالة من الضياع والعنف الاجتماعي الذي يتمثل في الكم الهائل من الجرائم التي نسجم عنها كل يوم والتي أثبتت العديد من الدراسات التي قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن معظم من يقوم بها هو شباب عاطل.

توجهنا إلى الشباب في محاولة لعكس مشاعرهم ورؤيتهم للحياة والواقع المحيط بهم وطريقة تعاملهم معه خلال فترة البطالة فحددت نموذجاً مع أكثر من عشرة من الشباب عن طريق بعض الأصدقاء وفي الموعد المحدد لم يحضر أحد منهم فتوجهت لكل منهم على حدة لأفاجأ برفضهم التام الكلام حول الموضوع «هي العملية ناقصة فضائي» «يا ريت الكلام هجسبه نتيجة كنت اتكلمت صعاك» وهو ما تكرر مع كثير من قابلتهم بعد ذلك.

إحدى الشابات قالت «يعاوزني أفورك أنا أسوأ كذا» عاطلة ورايت عن عمل منذ ٣ سنوات. طيب وبعدين.

البطالة تعني الموت

أحد الشباب حامل على بكالوريوس هندسة دفعة ٩٣ قال لي «معنى أنك بعد متخلص دراسة تلاقي شغل أن حياتك مستمرة ومعنى أنك متلاقيش أن مقيش حياة أصلاً» لأن كل أسألك من الحلم بأن يكون لك كتيان بيت وأسر وأولاد ينتهني. وساعة مبتلاقي



عاملون من كل الطبلات... في انتظار عمل لا يأتي..

نفسك مرّة واحدة صابغ يعني حياتك انتهت
.. وأول متحسب أن حياتك انتهت تبدأ تعمل
أي حاجة وخشة تنسفر على أفلام ثقافية
(أفلام جنسية)، تعاكس بنات، تشرب
بانجو... الخ»..

أما م. ع. حاصلة على ليسانس آداب قسم
اجتماع جامعة عين شمس دفعة ١٩٩٠ فقلد
قالت لي: أنا هتكلم معاك بنى أوعى تكتب
اسمي».

أيام الدراسة كنت فاكدة أنى أول مخلص
هلاقي شغل لآنى ليسانس، مؤهل عالي
وحاصلة على مجموع فى الثانوية العامة وأنى
هاشغل فى تخصصى لكن لما خلصت كل ده
انحطم وحسيت إن كل طموحاتى كانت وهم
وأن الشهادة ملهاش قيمة وأنه كان أسن لي
أن أخش بدلوم تجارة لأن كل المطلوب للشغل
همه السكرتارية، وكمان كان ممكن اشتغل
بباعة فى محل لكن بعد ما أخذت الليسانس
كان صعب أنى أعمل ده.

عسوما اشتغلت سكرتيرة لفترة ولكن
بدرن علم أهلى لأنهم كانوا رافضين ده لكنى
موتلش فى الشغلانة دى لأن حالى النفسية
باطلت لأن العمل كان فى غير تخصصى
ويؤهلات أقل من مؤهلاتى كان أصعب من
القدرة فى البيت.

أصحابى قالولى أنك لو أخذت بدلوم
تربوى ممكن تشغلى بيه فاخذت بدلوم تربوى
ولكننى وبددتنى انتظر من جديد فى طابور
القوى العاملة لآنى خدمت البدلوم سنة ٩٣
وكان اللى خدته سنة ٨٧ لسه متعيشوش.

بعد كدة رجعت لأداب وذاكرات قهيدي
ماجستير نجحت فيه وهكمل بعد كده لعل
وعسى.

«طب احساسك كان ايه فى الفترة دى
كلها وأنتى قاعده فى غير شغل؟»

أقولك إيه نفسيتى تعبت جداً وفى أيام
كشيرة جدا كنت بتقول يا ربى ما تعلمت
ولكن الجوزت وقعدت فى البيت أحسن ولا
كنت التجيزت أول عريس اتقدم فى وأنا فى
الاعدادية وخصوصاً أنى دلوقتى حاسه أنه
كان كويس.

وفى مرة ذكرت أسافر للخارج علشان
اشتغل فى أى حاجة ولكن الظروف فى البيت
منعت ده. وفى يوم خطر على بالى الجسر
شخص عسرى وغشى بيلخيتى أعيش فى
مستوى معين ووجيب لى شقة وتقسيم بره
واخلص من مشكلة الشغل بلا شغل بلا قرب.
ولكن ساعات أقعد أكمل نفسى وأقول
منك ليه يا قايص يا أمين ايه اللى خدته منك
اتعلبت وقعدت فى البيت. دا غير نوبات
الإحراج اللى كانت بتحصل لى حد يسألنى

اشتغلت ولألسه. باه خلصتى ليسانس ولسه
مشتغلش لحد دلوقتى. كل ده كان يسبب
لى إحباط وكنت اكتره اللى تعلمت والفترة
اللى ضيعتها فى التعليم واقعد اعيط.
فى وقت من الأوقات كان ممكن أعمل أى
حاجة. لولا أنا من أسرة صحافطة وأنى
اتريت كويس كان لازم هانحرف وده كان شئ
فى حكم المحرم. لدرجة أنى فكرت اشتغل
رقاصة وبقيت اجيب كاسيت واحترم وأرفض
بس منفضت.

«مشتغلش أى محاولة علشان
تشتغلى؟»

قدمت لـ ١٠٠ شغلانة بس كنت كل ما
أروح أقدم فى شغل ابنى عارفة أنى مش
مقبولة وأنى مش هاشتغل وأن اللى معاه
واسطة هو اللى هيتشغل.

ولما كنت الاقوى واحد أصغرت منى
ومؤهلاته أقل منى اشتغل بواسطة كنت اتقم
على الظروف والمجتمع وكنت أحس أنى ملش
قيمة ومغيش حاجة ليها قيمة إلا الواسطة
فظالما لديك واسطة فانت الأفضل.

ده كان بيغلخيتى أكثر البلد وأبقى عاوزه
أخرج منها بأى شكل سواء بالشغل ولا
بالجواز وخصوصاً أنى حابة أن بره بهجروا
الانسان وبيقدروه أنا هنا أنا اقعدت ٢٢ سنة
أدوس وبعدين مشتغلش وكأنى مصلش أى
حاجة ولذلك فالسفر أفضل والمخرج من البلد
دى أفضل ومغيش يطالبنى بالرفاه والانتصاء
.. ففى حالة عدم توفير حاجاتى الأساسية
سأنتضى لى بوقر لى هذه الحاجات.

أنا اعتقد أنه لا لوم على الإرهابى لان
البلوة بتعلينى فيبعد ٢٢ سنة دراسة أخرج
علشان أقعد ولذلك فانا أعتقد أن الإرهاب

شئ طبيعى فى ظل الظروف الحالية ولولا أن
أسرتى حسمت هذا الأمر بداخلى كان ممكن
أعمل أى شئ أو انضم إليهم.
فى مرة زحت أقدم اشتغل فى محور أمينة
الكبار اللى فى الهرم إتبهلت وكانت الدنيا
زحسه زى اللى واقفه فى اتوبس ايه اللى
يزتنقى على البهلة دى.

البنات لا

أما حنان محمد سعيد فتقول أنها خريجة
خدمة اجتماعية دفعة ١٩٨٥ كنت فاكدة أنى
أول ماخلص هشتغل على طول وكان فيه
جملة قلى زملائنا يقولوا لنا وهمه بيشترقوا
ان احنا هتشتغل على سنة ٩٠ وكنا بتقول لهم
سنة ٩٠ ايه حرام عليكم. فوجعنا ان احنا
قعدينا لسنة ١٩٩٨ ومعدش بيسأل عتنا.

الدولة فضلت تعين لحد ٨٤ وكان دائما
عندى أمل أن بيحى تحيى فى يوم لغاية ما
أعلنوا فى الجرايد الانتهاء من تعيين دفعة ٨٤
قلت فرحت وهنصين ولكن لايتب الجرايد
الحكومية بعدها بتقول ان الحكومة مش تعين
حد ثانى. اتفصيت وأبجيت لدرجة أنى فكرت
أرفع قضية على الحكومة.

«طب مصطلحش أى محاولة علشان
تلاي شغل تانى؟»

«* من يوم تخرجى وأنا فى الخدمة العامة
كنت اشتغل بأعمال غير ثابتة داخل البيوت
ولكن ده كان مؤلم اجتماعياً خريجة جامعة.
بشتغل زى أى عاملة.
عسوماً أنا كنت دايماً بتتابع أعلانات
الجورنال وياجرى وراه. من ضمن الاعلانات

لقيب اعلان للشباب والرياضة وحث فوجئت بهم ببعضنا المذكور فقط. مرة ثانية لاقيت اعلان تباع الاطعمة بعد ما غفلت كل الاجرامات رجت اقدم فوجئت بالموظف بيقول لا. برك للذكر فقط. افكرت يومها اني انفجرت في الموظف وقتل له والاثنان لا ليه هو مجاش موسم التزاوج والا ايه. وحسد دلوقتي معرفتش ايه الحكمة في انهم بيعينوا الذكر والاثنان لا يمكن علشان المفروض ان الرجالة هي اللي تشتغل والسنانا تقعد في البيت. ومن يومها استمرت سلسلة من الاعمال غير الليانة وحتى يومنا هذا، وفي العادة تشتغل يوم وعشرة لا وفي النهاية تتساوى بالي متدخل مدارس. فياجاساعة مكنتش اتعلم واقعد في بيتنا ولاكنت اشتغلت أي حاجة من بدري.

المشكلة مش في كده ويس المشكلة انك بتشي كل اللي اتعلمته وتعرض لمهزة زمالك وعسلطوك ايه الشهادات بتعكرو والمشكلة ان الكلام اللي كان محل احترام من زملائك وأهلك وجيرانك معدش لي وزن. وكنت دائما اصدم بالكلمة علمك وداكي لغين ما أنت مش لاقية تاكل.

أقولك حاجة فيه ايه وصلت الأمور معايا لدرجة اني مش لاقية نصف جنيه وربع جنيه وقدام ده ممكن تعمل أي حاجة. وفي الوقت ده كنت باقني ناقصة على كل شئ وخصوصا الدولة اللي دخلتني المعهد وهسه عارفين اني هأخرج اقعد ومشتغلش. وكان الموضوع ده بيزعلني قوي لما أبقى صاحبة على زبتي علشان أوفر أجرة الأتوبيس والاتي عيل صغير معدني جنب رايك عربية شبع ولا ما قبلش في شغلانة واعرف ان واحد اتعين فيها بالراسطة.

أحلام بطالة

ساعات كثير كنت أقعد أحلم ان بيبي لي جيد ولا عم غني وفوت زى الانعام ويحل لي كل مشاكلي أو أن أمي تطلع مشي أمي أو يظهر لي حد قريب ينقلني للغني الفاش. وفي وسط ده طول الوقت كنت باقني خايبة ان الشغلانة اللي في ايدي تخلص فملايش. وفي سبيل ذلك كنت انتازل عن أشياء. كشيرة لقبيل ذلك كنت لا أقبل الاكانات أو أن حد يشتغني بعد كده كنت باصبر لما وادخ مياش حاجة يعمل أكثر من كده.

أظرف موقف اتعرضت له لما جماععة قرايبي جابوا إلي شغلانة سكرتيرة وكان لازم اتزوق والبس كويس وأروح للكوافير ولو أني مكنتش بع ب أعمل لكن يومها مكنتش

معايا فلوس فيباطة الشغلانة. عموما فلولا اعانات الأهل في أوقات كثيرة لكنت بقت زى شخصتين الحسين وعزما وأيه يعني ما هي بلديا دي يا أنه جرامية يا أمة شجائن. معاك صورة يا حنان؟

ليه حرام عليك أنت عابز القضية تبقى صرت وصورة.

شركات النصب

عموما بقعد أن رفض الكثير الكلام معي باعتبار انها فضيحة أو أن الكلام مش هيحيب قايده قررت أن أخوض تجربة أخرى فاقصت باحدى الشركات التي تطلب شيئا من المصريين من الجنين للعمل بربط مجز زائد عمولة وتم تحديد موعد لي من الساعة الواحدة إلى الرابعة في اليوم التالي فذهبت إلى المحي السابح حيث مقر الشركة لأجد أعدادا كبيرة من المصريين ينتظرون موعدهم مثلي.

الغريب في الأمر أن معظم الشباب المرحون كانوا يقولون أن الشركة تنصب علينا وفي النهاية ستعمل يومين أو ثلاثة في تسويق سلعة معينة ثم يغلبونا في الحصول على مستحقاتنا ولكهم اتوا على أمل أن يكون الأمر مختلفا.

جلست لتأكل مع عدد من هؤلاء الشباب لأجد بينهم خريجين من كليات التجارة والهندسة والخدمة الاجتماعية. أحد الشباب وبديهي **محمد حسين** حاصل على بكالوريوس هندسة دفعة ١٩٩٤ قال لي «قالوا لي في الجيش جدد قلت لأمش هجدد وا ريتني جدد».

كرسي على القهوة

أما **مجلسي** خريج تجارة دفعة ١٩٩٠ فيقول «لما لاقيت وأنا في الجيش أن الشغل بالواسطة والكرسي ومغيش شغل فكرت أسافر العسراق بس وأنا في الجيش صدام دخل الكويت وأمريكا ضرتني زى ما يكونوا كانوا متفقتين عليا. عموما خرجت من مسابقة سابقة وحاولت أسافر بره بس معرفتش.

العاطلون:

• **الحكومة ١٩٠ مليون**

• **البنك الدولي ٣٧ مليون**

• **جهاز التعبئة ٢٥ مليون**

في لحظة حسيت أن البلد دي مش بلديا لما لقيت الناس بتدخل في مسابقات وتستن بالكوسة، أيوه حسيت انها مش بتاعتنا وكنت بيلع أبو البلد في اليوم ميت مرة لدرجة اني كرت نفسي أقول لك وكبرت ربنا والعناية بالله اللي خالق في البلد دي.

كنت باقني وقتي وأفزع من هسي في الفرجة على الأفلام الثقافية واللا القعدة في الشارع واللا الصحيان من بدري علشان احجز لي كرس على القهوة قبل الكراسي متخلص. أما و. ح فيقول ضاحكا قالوا لي الحق احجز كرس على القهوة قبل ما الكراسي تخلص. شوف يا ابني الظاهر اللي ماشي في البلد دي هي المخدرات. فأنا قاعد مستنى حد يشيلني شطة أخذ فيها عشرة آلاف جنيه افك بها أزمة وأجوز.

— بس ده حرام.
— يا هم صلي علي النبي هو دا اللي ماشي. البلد دي نصها حرامية ونصها مجار مخدرات.

قرب البطالة

في النهاية وبعد أن تأكد للجميع أن الشر من الشركات أياها اللي بتضحك على الكل خرجت مع أحد الشباب حاصل على دبلوم تجارة سنة ١٩٩٣. عرفته بنفسي فقال لي: «هاتكم معاك شرط مكتش اسمي».

البطالة دي حاجة مقررة وأنا كان قرفي غريب أخرج اخر النهار اقضى ساعة وبعدين ارجع اسلمت الكرتيشية خد الساعة اتنين بالليل واصبي ثاني يوم العصر.

شوف أنا حصلت كل حاجة رتاجرت في الهدوم وكنت بلف علي البيوت ابيع لهم شراب ولا قائلة ولا لباس واهزأ نفسي. كان بيبي نفسي اتنحر ومغيشي كده بس هاقعد في البيت علشان أمي ولا أوبيا يحزنوا عليا مش كفاية صبرتي علي نفسي احسهم معايا. كانت هذه هي معاناة الشباب في ظل

وفي النهاية

وقف طفل صغير في السادسة من عمره يتفتش من البرد في شتاء سنة ١٩٩٢ ورسال أنه لماذا لا تدفئني البيت يا أمي؟ فقالت لأنه لا يوجد فحم في البيت يا ولدي. فسألها لماذا لا يوجد فحم في البيت يا أمي؟ فقالت لان أبوك مستطعل من العمل. ولماذا يتجمل أني عن العمل يا أمي فترد الأم لأنه لم يوجد فحم كثير في الاسواق يا ولدي.

نقلا عن كتاب .. الاقتصاد النسياس للبطالة « ل. د. وسري زكي والذي يعلق على ذلك ويقول ان الوضع أصبح أشد وطأة في ظل الرأسمالية الحالية. فهل شعرت بذلك؟! أظن ان الوضع ينشئ بكثرة.

بحيرة ناصركو، للأسماك الملونة .. ومساخر أخرى

فى شهر واحد:

• تأجير بحيرة ناصر

• بيع الترع والمصارف

• استيراد اللحوم الفاسدة

• إلغاء سعر الضمان للمقطن

• الإرشاد الزراعى .. قطاع خاص



د. يوسف والى

د. حافظ عبيد

مصريوط- كاريون-الهروديل) بفعل اتاحه الفرصة من ناحية لامبراطوريات المزارع السمكية الخاصة من استقطاع أجزاء كبيرة من هذه البحيرات لحسابها الخاص، ولتمكين مافيات صيد «الزريعة» والاتجار بها- من ناحية أخرى -من اهدار جانب كبير من اتعابها، ومن ناحية ثالثة بسبب التلوث بمياه الصرف الصحى والصناعى المدمر لحياة السمك وصحة الانسان المستهلك.

وحاولنا من خلال مجلة اليسار (العدد ٧٦ فى يونيو ١٩٩٩)، أن نحسّن من هذه المخاطر على الثروة السمكية الكبيرة فى مصر، مقترحين بعض الحلول الضرورية -والممكنة فى هذا الشأن، وكان من بينها.. اهتمام الدولة ببخيرة ناصر، التى وإن كانت تخلو من التلوث إلا أن مافيات الاتجار بالزريعة، وتدهور أوضاع الصيادين لصالح المعلمين أصحاب المراكب، قد انخفض بالتاجها من ٨٠ ألف طن إلى ١٦ ألف فقط على الرغم مما أكدته الدراسات من امكانية الوصول بهذا الانتاج إلى ١٥٠ ألف طن.

وبدلاً من الانخراط الحكومى بالشروة السمكية وجماعيتها وتطويرها لصالح توفير الغذاء الضرورى للشعب وإعطاء اهتمام خاص ببخيرة ناصر التى لم تظلم بعد المافيات الخاصة، إذا بها تملن- بدون مناسبة- عن طرحها للايجار- أمام المستثمرين فى مزاد علنى.

وعندما تتمر الصيادون -وقد تعيّن جريدة الوفد فى ١٦/ ٥/ ١٩٩٨- بتجاه هذا

أبناؤه .. وهذا -للأسف الشديد - هو ما يحدث فى مصر.

وعلى السادة الذين يتسولون علينا بهبارات فارغة ومكّة مثل-واليساريون الخالدون» .. «وأصحاب النظارات السوداء» .. أن يجيبوا -بعد ما سنعرضه عما تم بهذا الشأن وخلال شهر واحد (مايو ١٩٩٨) وفى مجال واحد(الزراعة والغذاء) -على سؤال واحد.

هل هذه الاجراءات والقرارات، قتل نهجا اقتصاديا -أيا كان توجهه -مفيدا للموطن والمجتمع، أم قتل اهدارا وتدميرا لامكانات الوطن ومقومات المجتمع من أجل مصالح حقة من الاحتكاريين ووكلاء المستثمرين الأجانب؟.

(١) تأجير بحيرة ناصر

فى تقرير دراستى صادر عن المجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية عام ١٩٩٤، توقع المجلس أن الفجوة السمكية ستصل فى مصر خلال الخمس سنوات التالية للدراسة إلى ٣٠٠ مليون طن سنوياً، وللأسف، لم تحقق توقع الدراسة، بل وقيل المدة المحددة بها، وزادت هذه الفجوة عن الرقم الوارد بها، نتيجة انهيار الانتاج السمكى فى بحيرات مصر الرئيسية (الوكو- المتزلة-

أن تتجه الدولة- أى دولة- نحو الرأسمالية وما يسمى الاقتصاد الحر، وترفض نهج التخطيط التمرى للاقتصاد وقيام القطاع العام بدور رئيسى فى حياتها الاقتصادية .. فهذه قضية موضوعية خطيرة وهامة فى حياة أى شعب، تختلف اتجاهها الرأى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية داخل المجتمع، وبدور حولها النضال الطبقي والحركة الديمقراطية وتبادل السلطة- وفق توازنات القوى- بين كلاً التسويحيين، ومحسبيها- فى النهاية- الارادة الشعبية الحقيقية التى تحدد أى النهجين الذى تراه أقدر على دعم اقتصادها وتوفير احتياجات وطنها والارتقاء، بيمتى حياة جماهيرها.

.. أما أن تتحول مناهج ومفاهيم اقتصادية متكاملة مثل الحرية الاقتصادية، الليبرالية، والتوجه الرأسمالى.. (إلى أن نرى كامل لدور الدولة) واهدار متعدد لمقومات المجتمع الرئيسية، وتدمير شرفائى ركائز أساسية لاقتصاد البلد. وإطاعة تامة بمصالح جماهير الشعب وحياتها نفسها.. فهذا يخرج الأمر عن نطاق توجهه الرأسمالى ذاته، ويهش المجتمع فى حالة من الفوضى الاقتصادية والاجتماعية التى لا يملك زمام الأمر فيها سوى قوى الاحتكار والنفوذ الطبقية ووكلاء الشركات الأجنبية ومحاورة المؤسسات متعددة الجنسية ولا يكون ذلك على حساب حقوق الشعب ومصالحه قسب، بل وأيضاً على حساب هيبة «الدولة» ومقومات المجتمع وتاريخ الوطن ومستقبل

عريان نصيف

تقديم المونات المالية والغنية للقطاع الخاص.

تدرب الخبراء والباحثين المصريين .. للأسماء والحق .. فسيان البسادة الأمريكيين القاتلين على هذا المشروع .. لم يغفلوا حقيقة أننا شعب فقير وجائع يحتاج منهم للعطف والاحسان .. فاعانوا على لسان المستر ستيف جويس أحد قادة هذا المشروع والذي يتولى مسئولية وخبر التصريف به أنهم يسبقون-جازاهم الله خيرا- مقابل إشفاقهم علينا -باعداد نظام دعم غذائي بأقل التكاليف لحماية الأسر والأفراد محدودي الدخل-.

(٤) إنهاء التزام الدولة بمسعر الضمان بالنسبة للقطاع.

بعد إلغاء التسعير الحكومي للقطاع .. بلنا من تطويره وتخليصه عما يلحق به من أوجه قصور ..

وأمام شراسة المحتكرين المجدد للقطن (تصاملا محليا أو تصديرا أو استيرادا)، مما أدى خلال موسمين فقط ٩٣ / ١٩٩٥ إلى خسارة مصر حوالي ٤ مليارات جنيه بالإضافة إلى التدمير الذي أصاب صناعة الغزل والنسيج والخواب الذي لحق بالمزارعين (وقد تناولت «المسار» هذا الموضوع تفصيلا في العددين ٧٣ و ٩٦) ..

أصدر مجلس الوزراء عام ١٩٩٦ -حتى بداية تولي د. كمال الجنزوري لمسئوليته- قرارا بتطبيق نظام مسعر الضمان على القطن ، مما يعني التزام الحكومة أن تشتري من الفلاح المنتج ، بسعر الضمان المحدد بغضمانته جنيه للقطار -ما لم يستطع المزارع نتيجة استغلال الاحتكاريين والتجار من بيعه من محصول القطن ..

ولكن حتى هذا القرار -الذي صدر من الحكومة المتبعة لتعهد المخصصة -لمجرد المزاينة المحددة بين آليات تلك المخصصة وبين الواقع الفعلي والزراعي -كما كان له أن يصد في مواجهة الموجة الرهيبة الكاسحة من المخصصة على الطريقة المصرية. فقم هذا الشهر أيضا بتجاسة الأجراءات والترتيبات الخاصة بانتهاء هذا الالتزام الحكومي بمسعر الضمان .. وهكذا ، فليهدر الانتاج ، وليستفهد مستوي معيشة الشعب ، ولتتسلط على حياة الدولة .. ولكن .. فلنستعمر وتندم «هوجة» المخصصة على الطريقة المصرية.

في العدد القادم الجزء الثاني من هذا الموضوع:

- «صفحة الاحرام الهندية الفاسدة ، قوة مالها الملوثة»
- «المثارات الاسترالياية للخضر والفاكهة المصرية»

كيفية سيتمكن المستثمرون من الهجمة والاستغلال- مقابل أموالهم-على الصرع الرقعية .. دون ضمان كك حقوقهم بالنسبة للصرع الرئيسية.

... ولكنه نفس أسلوب الحكومة بالنسبة للقطاع العام لن تخصص سوى المصانع والتجار الصغيرة .. لن تبع سوى المؤسسات الخاصة .. ثم انتهى الأمر بخصخصة البنوك والمصارف المصرفية ذاتها.

(٣) ترك الانصراف الزراعي للقطاع الخاص وهجمة التمنية الأمريكية

أن تتم خصخصة عملية التعامل في مستثمرات الانتاج الزراعي ، ويتم رفع يد الدولة -الحركة التعاونية الزراعية- عنها .. فهذا هو ما تم التخطيط له- وتنفيذه -سنذ منتصف السبعينيات ، وكان أحد العوامل الرئيسية لتسريع الانتاج الزراعي وتدهور الواقع الفعلي.

أما أن تصل المخصصة حتى تطلل مجال «الارشاد الزراعي» فلها هو الجهد والافتراء للمخصصة على الطريقة المصرية.

فلا ارشاد الزراعي في أي بلد .. أما نظامها الاقتصادي أو توجهها السياسي هو محاولة من الدولة لنشر التوعية الكافية بين مزارعيها بأفضل طرق الزراعة وأحدث أساليبها ، في إطار الكائنات المتاحة لهذه الدولة-للوصول إلى أفضل إنتاج زراعي كما وكيفا- تستهدفه الدولة-

أما الافتراء المصري فهو ما تقرر هذا الشهر -من خلال مشروع جديد تم الاتفاق عليه بين كل من وزارة الزراعة المصرية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية وبرئاسة المبعير الأمريكي د. فاكس جولف لينسون المعروف بصلته الوثيقة بالادارة الأمريكية وخاصة المخابرات المركزية- والذي يتضمن خصخصة الارشاد ، ضمن الحطة الثلاثية التالية:

- «تقليص توصيات المؤسسات الدولية (الأمريكية) بشأن ما ينبغي اصلاح السياسات الزراعية ومساعدة الحكومة في تحليل ما تبقى من «عقبات» في سبيل الانحياز الكامل لخصخصة الزراعة وصيرير سوقها»

«تحويل ملكية المؤسسات الانتاجية للاقتصاد والأسسدة وباقي المستثمرات -الكامل- من الحكومة إلى القطاع الخاص .. ضمان المخصصة الكاملة للخدمات الزراعية -وخاصة في مجال الميكنة والارشاد .. والجناب الأمريكي- كما نص الاتفاق وكما أعلن د. جولف لينسون- أن يعمل على إنجاز المشروع من خلال:

- التنسيق مع أربع وزارات أخرى- تتم تنفيذها ، بخلاف وزارة الزراعة.

التيار لما يخلصه من تشديد لهم وتصفيية لتبعاتياتهم وأهدار للثروة السكبكية. لم تستجب الحكومة لمطالبهم المأدلة أو تراجع حرصا على المصالح الغذائية للشعب ، ولكن كل ما قايت به أن أعلنت وزارة الزراعة-في الصفحة الأولى من أرقام ٢٩/٥/١٩٩٨- أن ما يتم في بحيرة ناصر ليس خصخصة ، ولكنه مجرد مزاد علني..!

الطريف في هذا الأمر استئاج بعض طرفا شعبنا ، فشر البلية ما يبيحك -أن بحيرة ناصر -بعد رسو المزداد على مستثمرين أجانب- سيصبح اسمها «بحيرة ناصركو للأسماء الملوثة».

الأكثر طرافة أن تقيم الحكومة يوم ٦/٦/١٩٩٨ -ولأول مرة في مصر- عيداً للصيدان تحت رعاية الدكتور يوسف والي وزير الزراعة ومصدر القرار!

(٢) بيع الصرع والمصارف

رجل عينا العالم الوطني الكبير د. محمد الهادي راضي ، بعد أن خاض -ومعه قيادات مدرسة الرى الوطنية المصرية ومنهم د. محمود أبو زيد -معركة شرسة ضد محاولات التلاعب في مقدرات مياه النيل بمصر ، تلك المحاولات / التامرية التي استهدفت غاية رئيسية وهي- تصدير مياه النيل ، وبمها لدول الجمار التي هي في أشد الاحتياج لمياه النيل المصرية الفاضية (وهي بالتحديد إسرائيل)، وأيضاً للفلاحين المصريين مقابل رى أراضيهم وزراعاتهم.

وتكن د. راضي من الصمود في مواجهة تلك الضغوط الشديدة ، وإفاعة -حتى آخر لحظة- شعار «مياه النيل للمصريين ، ولن تهاج للفلاحين».

وكان من غير الطبيعي -في ظل حمأة جنون المخصصة على الطريقة المصرية- أن يترك حتى النيل ومياه النيل في منجى من هيمنة المستثمرين الأجانب. ومن هنا كان القرار الصمد الذي أعلنه د. عاتق عبيد في أوائل شهر مايو ، برفع يد الدولة نهائيا عن الصرع والمصارف ، وتركها -واستثماراتها- للقطاع الخاص.

ومع الهجوم الجاد جدا هذا الطريق الخطير في اتجاه السياسة المالية-من العديد من القوى والأعلام الوطنية، بل ومن داخل أروقة بعض الجهات والمؤسسات المشولة وخاصة من وزارة الأشغال والقرى المالية -كان الموقف الحكومي انتمتق.

وعلام هذه العنجة ؟ بالدولة لن تسلم للقطاع الخاص والمستثمرين سوى الصرع والمصارف الصغيرة والرقعية فقط ..

ولقد زادت هذه المحاولة التبريرية المأدجة من استنزاف كل القوى الوطنية الهجمة بهذه القضية والمدركة خطورتها لما يتجلى من استهانة بعقلها وفكرها.

مع الخصخصة .. البطالة الواسعة قادمة

محمد جمال إمام

المريضة في الوقت الراهن بالرأسمالية المرفوعة.

تكايا العمل الحكومي

ولكى ندرك صراحة مردود هذه الاتجاهات والقاسية القواد على أوضاعنا العمالية، فيكتفي أن تكشف القطاء المستور عن أحوالنا التوظيفية الشاذة أعرف سيدة تعمل في إحدى الهيئات الحكومية شبه الحكومية البالغة الأهمية، والغالبية الكبيرة من العاملين في هذه الهيئة، شأنها في ذلك شأن معظم الدوائر الحكومية في الوقت الحاضر، من النساء (مع احترامي الكامل للمرأة العاملة ودورها الاقتصادي المؤثر). والمشكلة في الأمر أن معظم العاملين في هذه الهيئة -وفي غيرها من الدوائر الحكومية وشبه الحكومية، لا يعمل لهم تسريباً في معظم أيام السنة، بحيث يضطرون، دفعا للملل، إلى شغل أوقات الفراغ الطويلة بالتفاني في وجهات العمل من الدوائر الجماعية و«تصيرة» الظهيرة وقرابة الجاملات الاجتماعية في وقت العمل، ومن يملك منهم أو منهن سبيلا إلى «التزويج»، أو سبلة للاتصال فتغني عن انتظار سيارات العمل التي لا تتحرك إلا بعد انتهاء ساعات العمل الرسمية، فباته يصور إلى منزله قبل انقضاء اليوم، خاصة وأن «دقات الحضور والانصراف» أصبحت شكلية إلى حد كبير. ورغم ذلك فإنهم يحصلون، فضلا عن أجورهم وعن بدلات كثيرة من أنشطة شبه وهمية، على حوافز شهرية يفترض أنها تمنح مقابل التميز في أداء العمل، وتندور المعارك بينهم على من يحصل على حوافز حرفه وال «أروبا» أو «جسيم» فضلا عن المكافآت الدورية السخية تحت مسميات مختلفة، كمكافآت «الحج» أو «العيد» أو «دخول المدارس» بالنظر إلى ما تجنيه الهيئة من دخل ضمن من الرسوم التي تتقاضاها من الجمهور والعلاء نظير خدمات لا تزدها على الوجه الأمثل في معظم الأحيان ولكنها تحمكها. ولي معارف يعملون في شركات توزيع

الخصخصة والعلمة من المصطلحات التي دخلت حياتنا الحديثة وأصبحت تكاد تكون جزءاً أصيلاً من مفردات خطابنا اليومي بما لها من تأثير مباشر على مجريات أمورنا الاقتصادية والسياسية. وتأثير الخصخصة والعلمة على مسائل العمل والعمال ومستقبل الجماهير العمالية المريضة تأثير هائل وجذري وجارح، مما يستدعي أن يكون موضع اهتمام مستمر وترقب متواصل مهما يسببه ذلك من ضجر أو ملل أو صدام.

وجوه الخصخصة والعلمة هو التنافس والصراع الضاريان على تحقيق الحد الأقصى من الأرباح واستلاب الجاني الأكبر من خيرات الشعوب بأى وسيلة قد تبدو شريرة وقانونية في مظهرها. وسيتبن أن أشرنا وأكد ذلك اساتذتنا الاقتصاديون الذين كتبوا في هذا الموضوع مراراً على صفحات «اليسار»، أن الشركات العملاقة عابرة القومية التي تحرق الكوكب الأرضي لأفامه هيكلها العملي تسعى للتوصل إلى إنجاز ذلك الهدف عن طريق تحقيق المردود الاقتصادي الأعظم لشاطها، وأن مسيلها إلى ذلك بالدرجة الأولى، وإلى الفوز بقصب السبق في معركة التنافس الشرسة على الاستثار بالأسواق، هو تخفيض تكلفة نشاطها إلى أقصى حد. ولما كان من الصعب تخفيض عنصر التكلفة من الدخلات من مستلزمات الإنتاج، وأن المنافسة تعنى السخاء في الاتفاق على أنشطة البحث والتطوير لئلا أهم مكون في معظم الأرباح يصعب خفض تكاليف العمالة وتحقيق أفضل معدل لانتاجية العامل، وذلك يعنى بالطبع أنه لا توظيف لعامل إلا مقابل نشاط منتج. وأن البعد الاجتماعي في هذا الشأن لا يمكن له في منظور النشاط الرأسمالي الأصيل، أو الخصخصة أو المشروع الخاص أو المنشأة الفردية أو الأليات السوقية بمحيرات العصر الحديث الهائلة المخادعة التي يراد بها الإشارة «والراقية» إلى ما كنا نسميه فيما مضى بالرأسمالية ويسميه بعض ذوي النفوس

الكهريا. ويحصلون هم الآخرون على مكافآت سخية لا تتناسب مع ما يؤدونه من عمل، ولكنها الإيرادات الضخمة التي تحققت لهذه الشركات لزيادة أسعار الكهرباء، بأكثر مما تقتضيه الضرورة الاقتصادية تلبية لأوامر صندوق النقد الدولي.

ومعظم هيئات شبه الحكومية مليئة بالموظفين الذين يتم تشجيلهم دون حاجة تقتضيها ضرورات العمل والمال لأنهم من أفراد أسر كبار المسؤولين في تلك الهيئات، أو مجاملة لهم، أو استجابة لنفوذهم. ومعظمهم يتم تشجيلهم بعقد مؤقتة تهرى من ضوابط الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، وإلى حين الاعلان عن وظائف ثابتة في تلك الهيئات يحصلون عليها بعد الدخول في مسابقات صورية.

ولتخيل ماذا سيحدث لهذه البطالة المقنعة عندما تطول تلك الهيئات وأمر الخصخصة التي يطلقها صندوق النقد الدولي، وخاصة مع اهتمام منظمة التجارة العالمية واتفاقيات الجات الشهيرة بقطاع الخدمات، حيث تقتضي تلك الاتفاقيات بضرورة فتحه أمام المنافسة التي لا تعرف جنسية؟.

ولناخذ في اعتبارنا ما أعلنه وزير الخصخصة المصري في الثاني من شهر يونيو ١٩٩٨ م أن حكومته ستصدر مدونات حكومية تنافس على جاريته وأن أول أهداف هذه العملية هو تقليل «المعاش المبكر» للعاملين الذين سيطرهم زحف الخصخصة، وهي بظالة مستترة بمجاهير عمالية تجاوزت سن الخمسين، ولكنها تدخل في أي دولة بحزم احتضانها في عداد المتعطلين عن العمل طالما أن أفرادها دون سن التقاعد القانوني.

لا.. للبعد الاجتماعي

ولننظر جولنا لنرى آثار زحف الخصخصة المستمر في كافة أنحاء العالم على العمالية.



توضيحي ذلك كله وخلق سوق عمل مزينة وواسعة وفيض من احتياطي الأيدي العاملة التي لا تفتح في التنازل عن جانب من حقوقها في مقابل كثافة لقصة العيش، وبورق قوة ضغط هائلة على القوى العاملة بصفة عامة، مما يجعل الكلمة العليا في هذا الشأن لدوائر الأعمال في نهاية الأمر، وهي صاحب المصلحة الأولى في اقتصاديات السوق، بأجهزة الإدارة تعمل في خدمتها انطلاقاً من الزعم القائل أن ما يحقق مصالح تلك الدوائر يحقق نصالح المجتمع ككل.

وتقريباً للصورة، نرجو من القارئ أن يعيد قراءة التحقيق الممتاز الذي نشرته «اليسار» في عددها الماضي عن أحوال العمالة في مدينة العاشر من رمضان، وهو في الأغلب نموذج متكرر في معظم المدن الصناعية الجديدة، حيث يجبر العامل على التوقيع مع عقد خدمته على خطاب استقالة أو استعارة ٦ الخاصة بالتأمينات الاجتماعية؛ ولا يستطيع العامل أن يرفض شروط الأذعان تلك لأن البطالة الواسعة الانتشار، ورغمما عن الاصطبات الرسمية للظلمة، تغل يد، فلو رفض فإن هناك العشرات غيره المنتظرون لهذه الفرصة للفرق بوظيفة تدر عليهم دخلاً ما، في حين أنه لن يضمن الحصول على فرصة أخرى مماثلة في القريب العاجل، ولا ما كان خرجو بعض كليات القصة الجامعية بقبولن الاشتغال بأعمال بدوية أو خدمية ليس لها أدنى صلة بسنوات تعليمهم الجامعية الشاقة وما أنفقته عليهم الدولة وأسره للحصول على مؤهلاتهم الجامعية المرموقة. وعندما تصبح الكفاءة الاقتصادية هي المقياس الأول لأداء، ودوائر الأعمال الخاصة، وعندما يصعب الباب مفتوحاً على مصراعيه للمنافسة الشديدة مع شركات عملاقة تتسلح بالتفوق التكنولوجي والتحرر من أي قيود أو التزامات اجتماعية، فإن فرص التشغيل تصبح أكثر ضيقاً أمام قوى عاملة متعددة

الحماشية التي تحول دول دخولها إلى كافة الأسواق التي تجد لنفسها فيها مصلحة أكيدة، أصبحت هذه المكاسب تواجه المخاطر الشديدة، ولم تجد البطالة ما يخيف أحد من القادة السياسيين أو يثني نظمهم. فمعمل البطالة في أوروبا الغربية يدور منذ عدة سنوات حول ١٢ في المائة (١١ر٤) في المائة في ألمانيا و١٢ في المائة في فرنسا ونحو ٢١ في المائة في أسبانيا. تنضيف إلى ذلك أن نسبة البطالة في بولندا، وهي لا تزال في منتصف مسيرة المخصصة، قد وصلت إلى ١٠ في المائة ١٠ وبعد أن وجهت دوائر المضاربات المالية العالية لعلمتها القاسية إلى ثمر آسيا المزعومة فكشفت عن هشاشة بنيانها الاقتصادي، فإن الدوائر المطلعة تتوقع أن تتراوح نسبة البطالة فيها ما بين ١٠ و١٠ في المائة قبل أن يشهريه العام الحالي بعد أن كانت تدور حول نسبة ٢٠ في المائة.

البطالة مطلوبة

بل إن البطالة تعد عنصرًا هاماً في آليات السوق. فأكبر ما يزعج هريسيان رئيس صندوق الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي) في الولايات المتحدة الأمريكية هو انخفاض البطالة إلى معدلات غير مسبوقة، حيث وصلت إلى ٤ في المائة من حجم القوة العاملة، مما أسفر عن قيام سوق عمل ضيقة وارتفاع أجور العمال، وهو ما يمكن أن يؤدي في رأي هريسيان إلى صعود التضخم إلى ارتفاع بعد أن كاد يبلغ نسبة الصفر. فيقول: «العمل الضيق تفرى العمال بالتشدد في المحافظة بالمطالبة بما يستحقونه من أجور، وتوقع الشركات إلى الاستجابة إلى هذه المطالبات وقد منحتهم على التشجيع الفصل بما يتواءم مع سياساتها الانتاجية وشغل من التنافس بينها على الاستئثار بالعناصر المرتفعة المهارة من بين تلك القوى العاملة. بينما يعمل ارتفاع نسبة البطالة على

في إيطاليا اكتشفوا مغزوتاً هائلاً من البترول في إحدى مناطق الجنوب الإيطالي الشديدة الفقر قد يجعلها تتنافس بخص الشغل في وقرى بتزولها غير أن ثمة مشكلة قائمة بين شركة «إيني» الإيطالية للبترول والسلطات المحلية في تلك المنطقة. فتتلك السلطات تريد من شركة إيني حتى تصدر لها ترخيصاً باستخراج البترول أن تنشي مشروعات تقص الألفا من الأيدي العاملة المتعطلة في تلك المنطقة، ولكن الشركة، التي لا تزال تعتبر قطاعاً عابياً ولكن إدارتها تدر أنها تقع في حيز رياح الخصخصة، ومن ثم تريد أن تدبر نشاطها بشكل يتسم بالمرود الاقتصادي الفعال، بدأت تتوقف عن ممارسة الأنشطة التي تتسم بالتوظيف الاجتماعي دون الاقتصادي، وبالنسبة فإنها تقام الاستجابة لضرور السلطات المحلية والسياسية، وتصر على ترك خلق الوظائف للمتعبين لآليات السوق.

مجلة يونس وفيه الأمريكية تحدث في عددها الصادر في أول يونيو عن خصخصة قطاع إنتاج الطاقة في أوروبا، وفي مقدمته هيئات إنتاج وتوزيع الكهرباء، فتقول أن المستهلك في ألمانيا يدفع مقابل الحصول على الكهرباء ٤٠ في المائة أكثر مما يدفعه نظيره في بريطانيا نتيجة لارتفاع تكلفة الطاقة في ألمانيا عنها في بريطانيا، مشيرة ضمت إلى أن الوضع سيحسن مع خصخصة هذا القطاع والتزامه بالأسس الاقتصادية لتتأصل بفعل أسواق الطاقة في جميع البلدان الأوروبية للتنافس فيما بين شركات الإنتاج والتوزيع دون النظر إلى جنسيتها.

مرحباً بالبطالة

والإشارة كما ترى واضحة وصريحة إلى أن التنافس على اكتساب الأسواق والعمال يعني تخفيض سعر البضاعة المطروحة للتنافس إلى أقصى حد يمكن، وأن أول ما ينصب عليه اهتمام المستثمرين من هذا التنافس هو مدخل الحساب، بما في ذلك من أجور ومزايا اجتماعية أخرى متنوعة حصل عليها العمال عبر سنوات طويلة من الضلال المرير وبمساندة من الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي أقيمت هيكل الرقابة الاجتماعي الشهيرة في أوروبا الغربية، ولكن، وبعد أن أخذت هذه الأجزاء في التحول إلى «أحزاب وسط جديدة» وبعد أن أصبح العنصر الحاسم في اختيار مرشحها لتولي القيادة في الانتخابات البرلمانية هو رضا، ودوائر الأعمال عنهم وأن تكون صفتهم الأخيرة: «أنه «وود» لنشاط الأعمال». وبعد توحش الشركات عبارة القومية واقتصاد هجتها على كافة الحواجز

باستمرار ونحماً عن أكنوبة المعاش البكر ، وخاصة في مجتمع يتحيز منذ قديم العصور بأن سلطته الأساسية هي قواه العاملة المطبقة والمردية .

التقابة الملاة الوحيد

التحقيق الذي نُشرته «اليسار» عن عمل العائير من رمضان يشير إلى أنه «عند عهد المنعم» ، رئيس النقابة العامة لعمال الكيساريات وعضو المجلس التنفيذي لاتحاد عمال مصر والعنصر النقابي القديم ، تعرض للضرب عندما ذهب يدافع عن حقوق عماله ، ولم تسمح أن الحركة النقابية المصرية انتفضت للدفاع عن كرامة أحد عناصرها القيادية ، ولم تسمح أن رئيس اتحاد العمال ومزلاء من قادة الأشخاص الذين لا يتكلمون عن الدفاع عن سياسة الخصخصة المصرية وعن التزامها بالبعد الاجتماعي ، قد اشتد غضبا لما حل بزميل له من اعتداء مهين لم يكن ليعر من الكرام في أوائل عهد مصر بالعمل النقابي ، يوم هنا فإن الصلة ما بين طبقات القيادة والقواعد العمالية واهنة وغير مؤثرة في الأغلب الأعم .

والى نقابيين آخر الزمان نهضت صورة مفاهيم عن العلاقة الوثيقة ما بين النقابة العمالية المتناضلة وجماعيتها العمالية ، من خلال ملخص للتحقيق الذي نشرته صحيفة واشنطن بوست «الأمريكية» عن الأحوال العمالية في كوريا الجنوبية في ظل الأزمة الاقتصادية الحادة التي تمسك بجنوبها . تقول الصحيفة الأمريكية أن زيارة إلى مدينة أولسان «الكورية» التي شهدت مولد الحركة النقابية المنظمة في كوريا الجنوبية ، والتي لا تزال رمزاً زاهراً لهذه الحركة ، تساعد على فهم الشعور باليأس الذي يخامر عمال هذا البلد والمشاكل التي يواجهونها ، فهذه المدينة الساحلية التي يقطنها زهاء مليون نسمة تعتبر أحد المراكز الصناعية الكبرى في كوريا الجنوبية تضم تسعة صناعات عملاقة تابعة لمجموعة شركات هايونداي تنتج سيارات وسفنًا وتستخدم أكثر من ١٠٠٠٠ عامل يعتمدون عليها تقريباً في كل جوانب حياتهم . بل ويتوقف رزق كل من يعيش في المدينة ، من عامل محل البقالة إلى الجرسون في الخمار إلى بائع الكرنب على شركة هايونداي ، وحتى سيارة الحريق في المدينة من إنتاج هايونداي . وجميع العمال الشركة كانوا يعتقدون أنهم وفقاً لتقاليد العمل الكورية مرتبطون مع هايونداي بعقد عمل أبدي لا تنحل إلا بالموت . غير أن الأزمة الاقتصادية غيرت كل شيء لهايونداي مطالبة الآن بإعادة هيكلة كياناتها والاستغناء عن ٢٠ في المئة من قراها العاملة ، أي زهاء

٤٦ ألف عامل قبل نهاية شهر يونيو ١٩٩٨ . ويقول عامل لحامات كهربائية في الشركة التي به محور الصحيفة الأمريكية في شقته الصغيرة الأنيقة المزودة بكافة أسباب الرفاهية الحديثة (أنظر الصورة وقارن بينها وبين الصورة التي نشرتها اليسار في تحقيقه) عن مسانك العمال في العاشر من رمضان التي وفرتها له الشركة إنه إذا ما استخففت عنه الشركة فإنه سيفقد منزله وجيرانه وأصدقاءه .

وعلى الرغم من أن الإحصاءات الرسمية تقول أنه منذ بدء الأزمة الاقتصادية في كوريا فإنه يحدث ٢٥ حالة انتحار يومية ، وأنه يحدث في بعض الأحيان أن ينتحر أفراد الأسرة بأكملهم ، حيث أن التعطل عن العمل يعتبر عاراً شنيعاً ، فإن هذا العامل يقول إنه لن ينتحر ولكنه سيحاول البحث عن عمل آخر كسائق تاكسي ، إلا أنه يضيف بأن فكرة فقدته لعمله سريعة لدرجة أنه لا يستبعد احتمال قيامه بالانتحار . ويعلق المقرر الأمريكي بأن العامل الأمريكي الذي يفقد عمله في ظروف مماثلة قد يشعر بالحرج والانتكاش ولكنه لن ينتحر لأنه سيحصل على إجازة بطالة لفترة ما قد يعمر خلالها على عمل آخر ، وهو الأمر الذي لا يتوافر للعامل الكوري الجنوبي .

ويقول رئيس مجلس إدارة شركة هايونداي لصناعة السيارات إن شركته حاولت جاهدة أن تحافظ بعاملها وأن تجعل عملية التبرع روعاً قد يترتب عليها من آلام محدودة إلى أقصى الحدود بقدر الإمكان ، غير أن المحالقات الاقتصادية ، فضلاً عن الضغوط الحكومية من أجل إعادة الهيكلة ، لم تترك للشركة مجالاً للاختيار . ويضيف رئيس مجلس الإدارة قائلاً : إن كوريا الآن أشبه بقارب تضيقه الأمواج في بحر هائج وعلى ظهره عشرة ركاب . ولا يمكن لجميع الركاب أن ينجوا من الموت وعليها أن تفلح بثلاثة منهم إلى البحر كي ينجو السبعة الآخرون . أما عامل اللحامات الكهربائية فإنه يقول

إنه يجب شركته ولا يؤد أن يتظاهر ضنبها ، ولكن إذا ما دعت نقابته إلى إضراب فإنه سيستجيب لنقائها «لأنه ليس لدي من أهدأ إليه في اللحامات بيرواها» ثم يضيف قائلاً : «إنني أبلغ من العمر ٣٧ سنة وقد قضيت في عملي على الشركة ١٤ عاماً ، وهو العمل الوحيد الذي أجيدته ، فإذا ما كان على أن أخاف من الموت قابها في مكاني أو الموت كفاً ، فإنني أفضل الموت كفاً ، وإذا ما دعيتي النقابة إلى الإضراب فإنني سألتني التدا» .

وتقول الصحيفة الأمريكية إن نقابات العمال كانت ممنوعة من النشاط في كوريا الجنوبية حتى عام ١٩٨٧ . وعندما سمح بتكون نقابات عمالية بعد ذلك التاريخ فإن إدارة الشركات كانت تتعامل معها بأساليب العنف ، بما في ذلك الاختطاف والضرب والتهديد بالموت واستنجاز «البلطجية» للتعامل مع القيادات . كانت هذه بالنسبة لها أساليب التفاوض التي لا تحيد عنها مرة أخرى . قارن بين ذلك وبين ما أشار إليه خالد رمضان في تحقيقه عن عمال العائير من بالاضرابات والاحتجاجات العنيفة . كانت الحكومات الكورية المتعاقبة تعتبر النشاط النقابي التفاضلي تهديداً للنمو الاقتصادي المزدهر ، ومن ثم فإنها أخذت جانب دوائر الأعمال ضد الحركة النقابية ، وأبرمت اتفاقاً خفياً مع رجال الأعمال : أعطوا للنقابات معظم ما تريده وحافظوا على هدوئها وادفعوا العمال إلى زيادة الإنتاج ، وستولى نحن مساعدتهم على تحمل التكاليف . وحتى رئيس الجمهورية الجديد الذي كان يرتبط بعلاقات قوية مع النقابات العمالية وقت أن كان في المعارضة ، لم يخف على القيادات النقابية فور توليه السلطة أنه يعتبر اللجوء إلى الاضرابات العمالية العنيفة في مواجهة التضرعات العمالية الاضطرابية واسعة النطاق أن بعدة عود الاستمارات الأجنبية الكبيرة المطلوبة لإنتشال الاقتصاد الكوري من وهدة .

وفي مواجهة ذلك يقول رئيس نقابة عمال شركة هايونداي للسيارات : «إذا ما اضطرونا فلننت ستقابل ، تخيل أن أنك فقدت عملك بولم تحصل على مغاش تقاعدي ، ولم يكن ثمة عمل آخر متوافر أمامك ، ووجدت أهلك يتضورون جوعاً ، ماذا ستفعل في هذه الحالة ؟ هل ستعرض على المحافظة على السلام الاجتماعي ؟ كما رأيت أنت» .



الاقباط : بين النص، والرصاص،

في إطار الصدام بين الاسلام السياسي والدولة الحديثة،

سمير مرقس

فصول ، وإن كان هذا لم يمنع أن يكون لهم حضور غير مباشر في المقدمة وفصلين آخرين من الكتاب.

منذ البداية والكتاب يؤكد من خلال المقدمة أن «محور وإشكاليات ومعالجات فصول الكتاب المتعددة ، تدور حول الدولة المصرية الحديثة ، وذلك نظرا لأن الدولة كانت محور مشروع تحديث المجتمع ». فالدولة المصرية- في تقدير الكاتب- محيزة عن غيرها من الدول «أنها علاقة جوى خاصة ، وذات شجون لدى المصريين ، تعيش في كياناتهم، ووعيهم ومخيلتهم ، وحياتهم على وجه الإجمال.

إن العلاقة بين الدولة المركزية المصرية العربية وبين مواطنيها إنما هي علاقة «غزة» بحسب تعبير الكاتب بحيث يسكن العنف كريبا من الحرف ومتاخلا فيه «روح الأمل وخيبة الرجاء صورا لا ينفصلان إلا نادرا . وعلى الجانب الآخر- يضع الكاتب منذ البداية -الاسلام السياسي في مواجهة هذه الدولة فيقول : «إن طواغير الاسلام السياسي

إطار الصدام بين النص والرصاص» أو بلفظ أخرى في إطار الصدام بين الاسلام السياسي والدولة الحديثة» من جهة أخرى . فالثابت أن الصراع المحتدم بينهما منذ خضوات إذا هو صراع بين مشروعين كل منهما ، الأمر الذي يعكس «أزمة ما ، أزمة في داخل كل طرف ، من جانب تعكس عجزا داخليا في القدرة على التطور الذاتي والتفاعل مع الطرف الآخر ومع الواقع مستعصية متنوعة . ومن جانب آخر تعكس «الأزمة» واقعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا متربدا يؤثر سلبا على طرفي الصراع.

(٢)

أوضاع الأقباط في إطار وضع إشكالي على مدى فصول ثلاثة

صدر كتاب النص والرصاص في نهاية العام الماضي ، عن دار النهار البيروتية، وذلك في ما يقرب من ٤٠٠ صفحة ، تضم ١١ فصلا بالإضافة إلى المقدمة والخواشي. كان نصيب الأقباط المباشر من الكتاب ثلاثة

(١)

في البدء .. الصدام:

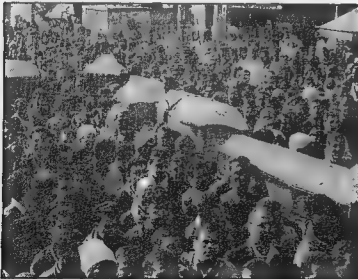
«النص والرصاص : الاسلام السياسي ، والأقباط ، وأزمات الدولة الحديثة في مصر» وهو أحدث كتاب للكاتب الكبير تهيل عبد الفعاح . ويمكن اعتبار هذا الكتاب إسهامة جديدة للكاتب تصب في مشروعه الفكري الذي بدأ تبلوره في كتابه الأول الصادر في عام ١٩٨٤ بعنوان : المصحف والسيف صراع الدين والدولة في مصر .. ويتضح من العنوانين أن عناصر المشروع الفكري للباحث تستمد مادتها الأولية من قضيتي الدين والدولة في مصر بشكل عام ، فهما الكلمتان «الفتاح» لهذا المشروع.

كذلك تعكس الدلالة الموضوعية للعنوانين «اشكالية مركبة» بين المصحف / النص والسيف / الرصاص ، إشكالية مركبة تعكس الصراع بين المقدس والزمن وبين السماوي والأرضي . وبين التقليد والتحديث، وبين التراث والتجديد. هذا الصراع الذي لم يحسم بعد، ولم يزل مستعصما على أرض الواقع. ولهذا يأتي إصدار هذا الكتاب في لحظة زمنية غاية في الأهمية ، في موعده تماما وذلك لسببين:

(١) استمرار الحالة الصراعية ولدة زمنية طويلة بين المصحف والنص، والسيف والرصاص ، حتى أن العنوانين يعكسان في شقهما الثاني كيف تطورت أداة العنف من السيف إلى الرصاص ولم تزل الحالة الصراعية مستمرة ومتقدة.

(٢) كيف أن هذه الحالة تعكس «مجازا خبطاربا» لم يتم تجاوزها إلى «التفاعل الجدلي» بين عنصرى الاشكالية المركبة ، بشكل يتجاوز الحالة الصراعية إلى حالة ابتداعية تطور الواقع.

سوف نركز حديثنا على الفصول التي تتناول الأقباط من منظور وضعيتهم الثقفة في



مسلمون
ومسيحيون
يشاؤون
في تشييع
جنازة
ضحايا
الارهاب

الأهمية نفسها «نعم»، إذن، إزاء حالة من حالات التصنيف الفئوي غير التيقن، أو الفارق للعالة التي يوصفها أو يتشبه في اللغة».

على أرضية ما سبق يبدأ الكاتب في فتح ملف الفئنة الطائفية في مصر، حيث يؤكد أن هذا الملف دائما ينتج بدون معلومات تفصيلية عن أسباب الفئنة ووقائعها والفاعلين المؤثرين فيها. والمجهول هو العامل الحاكم للأحداث، إنه التعصّب أو في أحسن الأحوال التفسير الجزئي. ويبدأ الكاتب في استجلاء الغامض والمجهول فبيدا في التعرض لمنايات الصراعات ذات الاقنعة الدينية: طبيعة المناطق التي تتم فيها الأحداث. الطبيعة الحضرية للمكان. التكوين الاجتماعي والاقتصادي منظومة القيم الثقافية الحاكمة.

ويصل الكاتب إلى أن الهبات التي تلح فيها الأحداث إنما تعيش في واقع مترد حيث يلعب الدين فيها دورا مميزا سواء في التعبير عن المكائنة أو تحديد الذات في مواجهة الآخر، في ظل غياب معايير عصرية ومدينة، بلورة هوية جماعية خارج إطار الهياكل التقليدية التي تقبل آلية صراعات وزعزاعات بين الفئات الاجتماعية. وفي النهاية الاحتجاج على الأوضاع الذي يأخذ شكل «الوجه الديني»، فيتم اتخاذ عذر سهل وانزال مزينة به. إن الضحية هنا قد تكون الأسفل عددا، وكعبدة الناس من هامة ما تكون الأسفل في هذه المملكة.

إن «لفاتض العنف» الذي يتسارح عن الأشكال المتعددة لسوء الوضع الاقتصادي الاقتصادي، وبالحقاني، وبغياض الأفق حل المشكلات المستعصية عادة ما يتم استشارته أو استشارته، أو توطيئه في المسارات الدينية في مصر عبر آلية الشراة الأولى.

ويختم الكاتب هذا الفصل بمحاولة دراسة ما أسماه «البنا الاجتماعي» لـ «الفئنة الطائفية» على مستوياتها عدة: الوطني، الدولي والاقليمي، مستوى الدولة، وأخيرا مستوى الجماعات السياسية المصرية.

تغلي المستوى الأول نجد، بنظر البيشة الدولية والاقليمية باعتبارها عاملا مساعدا ومنشطا للصراعات الداخلية. وبالنسبة للمستوي الثاني نجد أنه يقر بأن عقيدة الدولة المصرية تاريخيا هي الاسلام ما يترتب عليه فرض الدولة لنظم عدة ومؤسسات اجتماعية وقواعد قانونية مستمدة كلها من النموذج الثاني في لاهل الفئنة، بما يربط فكرة علاقة الفرد بالجماعة على أساس المعيار الديني الأمر الذي قد يعظم في التاريخ الحديث والمعاصر بفكرة حقوق المواطنة التي تربط



المسادات.. الصراع مع الكتيسة

(٣) الفئنة الطائفية والحاجة إلى النظرة الشاملة

في ضوء ما سبق نتنقل مع الكاتب إلى الفصل الثالث المنون «مرايا الفئنة الطائفية» ففي هذا الفصل يقدم الكاتب تأصيلا فكريا شاملا لقضية الفئنة الطائفية، حيث يبدأ بطرح العديد من الأسئلة حول الاستعصاء المتكرر لنفس التفسيرات لظاهرة مستمرة وممتدة على مدى زمني طويل، وعدم القدرة على مواجهة المشكلة والركون إلى السهل من التبريرات والاجابات الجاهزة.

ثم يتجهد الكاتب في معالجة المصطلح نفسه بقوله: «إن التعبير الذي أطلقه البعض على وضع الشقاق الديني في مصر، وهو الفئنة الطائفية، يمثل تعبيراً مضللاً ومستعصاً من صوره ديني، فالفئنة تعبير ديني وجناني في آن».

فالفئنة هي تعبير عن الخروج على المجهور. عن الجماعة في المفهوم الفقهي النسبي. فالتعصير غامض، فصفا الفئنة -لا يعرف المرء- هل هي مستمدة من مفهوم الطائفة بالمعنى القرني، أي الفئنة؟ .. أم أن الطائفة هنا بمعنى طائفة من المؤمنين؟ أم أن التعبير يستمد من الجراثيم الدينية والمفاهيم للدولة العثمانية ومفهوم الملل والطوائف؟ أم أنه مستمد من مفهوم الطائفة بالمعنى الاتني والانثروبولوجي؟

ويقطع الكاتب مجال الشك بتقديم اجابة محددة «الثابت انثروبولوجيا وثقافيا أن ثمة توحدا قوميا يحيط المصريين ولا توجد أية تمايزات عرقية أو ثقافية أو قيسمية بين المصريين جميعا على رغم من اختلاف دياناتهم. ويستتبع ما سبق مقولة غاية في

التشعبد والمعقدة، أصبحت تتحرك في قلب مشتعرو الدولة، وتظم أفكارها وأساطيرها ووعودها الحديثة، وتجريح مشروعياتها، وشروعياتها، وذلك على أسس ومرجعيات وتاويلات فقهية متعددة ومتنقاة، تشكك في الأسس والجذور، قبل الهياكل والأبنية. لم يعد الأمر محض سعي إلى تكيفات، بين الصاويلات والروى الدينية، وبين القسم المصرية، والتحديث السلطوي للقسم وأفام العيش والتفكير .. وإنما هناك رفض كلي لكل هذه القيم السلطوية، والدولة، والنخب الحاملة لها، وهنا تطرح وعده جديدة، تدور حول تأويلات وإعادة صياغة للقيم الاسلامية لتكون بديلا جليزلا لهذه التاريخ، من الحجازات الدولة الحديثة، واخفاقاتها وجزائنها» على هذه الأرضية ينطلق الكاتب في طروحاته على امتداد فصول الكتاب بشكل عام، وفي طروحاته التي تخص الأقباط بشكل خاص. وسوف نحاول أن نرصد بمعالجة قراءة «أوضاع الأقباط المصريين» حسب تعبير الكاتب في إطار «اشكاليات» الدولة القومية الحديثة في علاقتها بظواهر واشكاليات الاسلام السياسي وحركاته السياسية، وكيف ان إحدى عيالات هذه العلاقة كان التضاد بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي حيث عالج هذا الموضوع في الفصل الأول حول «الشريعة الاسلامية في النظام السياسي المصري» الأمر الذي عكس إشكالية كبرى في التاريخ المصري الحديث لانها مست شرعية النظام السياسي في الصميم شكلا ومضمونا كذلك هوية المجتمع والدولة، والافق الفكري والقيمي والفلسفي الذي يطور النظام والصورة الحاكمة وغالبية القوى الاجتماعية حوله. وقد كان لهذا التضاد آثاره السلبية على التكامل القومي بين المسلمين والأقباط والذي تجسد في أمرين:

الصراع بين الكتيسة والنظام السياسي الساداتي.

تعرف الأقباط على الشريعة الاسلامية. ثم تعرض الكاتب للشريعة في إطار الصراع الانتخابي، وتجديدا في الانتخابات ١٩٨٤ و ١٩٨٧، وكيف قامت الصفوة الجزئية في توظيف الشريعة في البرامج الانتخابية وتأكيد على غياب رؤية متبلورة لها في علاقتها بالقانون الوضعي. وهذا الغياب هو تعبير عن غياب رؤية عامة سواء في الحكم أو المجتمع بقوله المتشعبة «حين دور الدين والنص في علاقتها بالعصر».

بمسألة الدولة الحديثة والمراكز والمحقوق القانونية المترتبة عليها.

أما بالنسبة للمستوى الثالث فتجد الكاتب يحاول الكشف عن الخطاب الخفي للجماعات السياسية المصرية والتي يتم فيها التصادق بين الدين والسياسي مما يحدث اختلاطاً بين جوانب المشروع السياسي- الاجتماعي ، وبين الدين وثقافة تأصيل ما يرى على واقع الصلابة بين مكونات الجماعة الوطنية.

(٤)

الأقباط والنظام السياسي : حالات ثلاث

يتناقل الكاتب في الفصل الرابع علاقة «الأقباط بالنظام السياسي المصري» ، ويتتبع هذه العلاقة من حيث تدرجها من الاستبعاد إلى الهامشية إلى المشاركة ، ومن البداية يرصد الكاتب الاتجاهات التي تعترض على خطأ الحديث عن كتلة تصويتية قبطية مندمجة وذات لُحظ تصويتي ، أو لُحظ عزوف عن المشاركة ثابت أو ينطوي على سمات مرحدة ، ومن ناحية أخرى ، عدم دقة الحديث عن كتلة قبطية بشكل متغير الدين السمة الأساسية لها . إلا أن الكاتب ورغم موافقته على ما تقدم إلا أنه يذكر أن الأقباط الصراخ السياسية والتاريخية أدت إلى ظهور لُحظ في السلوك السياسي لدى الأقباط يمكن أن نطلق عليه «لُحظ العزوف السياسي عن المشاركة في مواجهة العد السياسي».

وفي ضوء هذا المدخل رصد الكاتب مسار المشاركة السياسية للأقباط في تاريخ مصر الحديث بداية من المرحلة شبه الليبرالية والتي وصفها بمشروع التحديث السياسي وبدأ المواطن الكاملة . ثم المرحلة الناصرية والتي وصفها بالتأميم والتبعية والازدواج ، السياسي للأقباط . ثم الساداتية وتزييفات الدين في الصراع السياسي وأخيراً المرحلة الحالية والمشاركة القبطية في التسعينيات والتصنيفات وجدلياتها المتشابهة .

ثم ينتقل الكاتب إلى تفسير العوامل التي تهيئ عدم مشاركة الأقباط سياسياً حيث صنفها إلى نوعين : أسباب سياسية مباشرة ، منها ما يتعلق بالناخب الطائفي والأحداث الطائفية وفقدان الأحساس بالأمان وانعدام العدالة وتكاثر القروض ، ومنها ما يتعلق بالظروحات التي قد تنطوي على رؤية تمييزية ضمنية ، تتصنف بعدم الإيمان بمرور الدولة الحديثة وإحجازاتها في مجال تطبيقات مبادئ المساواة . بالإضافة لعوامل خاصة بحرية العقيدة .

كذلك هناك أسباب غير مباشرة ، فقد



عبد الناصر .. الأزوا - السلي

تأثيراتها لتشمل كل المصريين وقد حددوا الكاتب بسبب ، نظام التنشئة الاجتماعية ، وسيادة قيمة النطاعة والأذان .

(٥)

الأقباط وتجربة انتخابات ١٩٩٥ : الدروس المستفادة

وينتقل الكاتب إلى الفصل الخامس حيث يقدم بادرة تجربة انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٥ ودور الأقباط فيها (وهذا الفصل هو الفصل الثالث الذي يتناول الأقباط بشكل مباشر) حيث يرصد ما عبر عنه بخصوصية المشاركة القبطية بحيث مثلت حصة سياسية وحركة للحمود في الموقف السياسي للأقباط ، وتوجيههم على المشاركة في العمليات الانتخابية سواء كمترشحين ، أو كجزء من جماعة الناخبين على تنوعها السياسي والاجتماعي والجيلي والثقافي والتعليمي ، وذلك بالخروج من حالة السلبية واللامبالاة بالمؤسسات السياسية ، وألياتها وفاعليتها وبالفضاء السياسي المصري .

إن الكاتب من خلال دراسته لتجربة مشاركة الأقباط في انتخابات ١٩٩٥ يرصد دور الكنيسة القبطية في تنشيط الشباب لكسر حالة الانعزال والسلبية السياسية لدى الأقباط ، وإن أصراً أجيال جديدة على المشاركة قد وضع إشكالية مشاركة الأقباط في قلب الحوار العام في المجتمع . ومن ناحية أخرى ، أعاد مجدداً وعلى نحو مكثف طرح إشكاليات الدولة الحديثة واستراتيجية إعادة الاندماج القومي ، والعقد السياسي- الاجتماعي- الدستوري الذي يولد الرضا الجماعي والشرعية السياسية .

خصص الكاتب قسماً غير صغير من هذا الفصل في قراءة وتحليل الخطاب التنسياسي للأقباط المصرية في موقفها من الأقباط وقدم تصورا عن وجود اختلالات بنائية عدة ، وظيفية في أدوار ومواقف الأحزاب السياسية المختلفة من منظور الاندماج القومي

بين المصريين . ومن هذه الزاوية فإن هناك ، مؤشرات عن إخفاق الأحزاب السياسية على اختلافها في المساهمة في صناعة قيم التكامل القومي وآلياته .

وقام الكاتب بصهد كبير في قراءة ودراسة محتوى الخطاب / البرامج السياسي لعدد من الأحزاب ، والتي قامت بتوضيح مرشحيها في ضوء . وامتد هذا الجهد ليشمل دراسة شاملة للأرقام والجدول من عدد المرشحين الأقباط في الدوائر المختلفة ، الحزبيين والمستقلين .

ويعد أن تتناول تفاصيل العملية الانتخابية ووضعته الأقباط فيها ، وفي النهاية خلص الكاتب إلى أن الانتخابات الأخيرة كشفت عن أحد أبرز مظاهر أزمة الدولة الحديثة في مصر التي تتمثل في إشكاليات عدة باتت تفتل أبرز مظاهر الخلل في الحياة السياسية والتشريعية في مصر ، وعلى رأسها إشكالية المواطنة والمساواة إزاء الاستبعاد من الحياة السياسية على أساس قبحية تتمثل في اعتبار الانتماء الذي معياراً للتمييز والاختيار للتزويج للمجالس النيابية ، وعلى رأسها الخشب والصور والمجليات ، هذا رغم أصرار الأقباط على المشاركة السياسية رغم الاعتراف البيروقراطية البارزة في الواقع السياسي المصري . أنه «بحث عن تعبير سياسي في واقع غير موات» حينما وصف الكاتب على النتائج النهائية من عملية مشاركة الأقباط في العملية الانتخابية سنة ١٩٩٥ .

(٦)

التفاعل الجدلي .. حاجة ملحة

إن كتاب «النص والرماس» يأتي في مرده محاولاً التأمّل فيما وصلت إليه الإشكالية المركبة بين الدين والدولة في مصر ، وضرورة البحث في حلول مبدعة لهذه القضايا ، هذه الإشكالية ليس تجاوزاً أو تلذيقاً وإنما بالتفاعل الجدلي الخلاق القادر على أن ينقل المجتمع بكل مكوناته إلى الأمام . فليس من المقبول ونحن على مشارف قرن جديد أن نستعمل نفس الإشكاليات والتساؤلات التي تم طرحها منذ استقلالنا للقرن الحالي .

إن النص والرماس محاولة لاقت - الضو - على مواضع الضعف وتجديد رؤانا ومواقفنا من قضايا عدة ، فإضافة إلى موضوع الأقباط الذي قمنا بالتركيز عليه ، هناك قضية التحديث ، والشرعية ، وقضايا الدولة ، وتحمل المجتمع ، الأمن السياسي ، تجديد فكر الإسلام السياسي ، العلاقة مع الغرب ، التطور التكنولوجي ، الأحزاب السياسية . قضايا عديدة يثيرها الكتاب في الواقع وتحتمل إلى قراءة ونقاش وتفاعل ما يتبع أن تشارك جميعاً في بنا - الوطن وإنهائه .



تدهور أوضاع حقوق

الانسان في مصر عام ١٩٩٧

قضايا
حقوق الإنسان
في مصر
١٩٩٧

ترافد
عصام الدين حسن
مدير مركز حقوق
الإنسان في القاهرة



مركز حقوق الإنسان في القاهرة

٣٠ ألف معتقل .. واعتداءات

صارخة على حرية الصحافة

الجماعات (الاسلامية) المسلحة تتحمل ٧٨٪

من أعمال العنف الموجهة ضد الدولة والمجتمع

في النيابة العامة صلاحيتها في الحبس الاحتياطي لأعداد تزيد على الألف شخص من اهتموا بالمشاركة في أعمال العنف في الريف المصري أو المناظرة السلبية لتطبيق احكام القانون.

وعلاوة على ذلك فلقد رصدت بعض التقارير أن اجراءات تطبيق القانون قد اتسمت في العديد من المواقع بالتعسف الشديد والذي وجد صوره في حرب الماشي في الأرض أو اقتلاعها قبل نزعها وهو ما فاقم الحساائر التي تكبدها المستأصرون من جراء هذه الممارسات والتي جرت في بعض المناطق تحت نظر الشرطة وأحيانا بمشاركتها.

حصار العنف

عصرنا فلقد تواصلت انتهاكات حقوق الانسان في مصر خلال عام ١٩٩٧ في كافة المجالات سواء في مجال الحقوق المدنية والسياسية أو في مجال الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

وسجلت تقارير مركز المساعدة القانونية مصر ما لا يقل عن ١٩٩ شخص سواء خلال الصدمات التي وقعت بين أجهزة الأمن والعناصر المسلحة للجماعات الإرهابية ، أو خلال العمليات التي قامت بها تلك الجماعات والتي استهدفت توسيع دائرة الضحايا من المواطنين الايرباء مصريين كانوا اجانب.

وقد قتل في إطار هذه الهجمات ما لا يقل عن ٤٠ من ضباط وجنود الشرطة، و٤٣ من العناصر المشبعة في انتماهم للجماعات الارهابية، و٦٩ من السائحين الاجانب فضلا عن ٤٧ مواطنًا بينهم ٢٧ قتيلا قتل عدد كبير منهم لجرم انهم اقباطة قتل سابقين لم

في معركة القانون ٩٦ لسنة ٩٢ الخاص بالعلاقة الاجارية بين المالك والمستأجر في الأرض الزراعية والذي بدأ تطبيقه الفعلي في شهر أكتوبر الماضي.

وبلغت المركز النظر إلى أن تطبيق هذا القانون قد جاء دون التوصل لحلل بديلة للمستأجرين وأتزمهم أمام مخاطر الحرمان من مورد رزقهم الوحيد وكذلك احتمال التشريد من مساكنهم التي اقاموها على الأرضي المستأجرة وهو ما أدى لظهور واقع جديد للعنف في المجتمع المصري قتل في حدود تحركات عديدة في مواقع مختلفة داخل البلاد.

ولقد استخدمت سلطات التحقيق مثلة

اللواء حبيب العلي



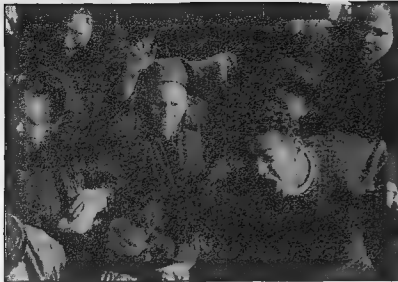
كل المؤشرات تؤكد على أن عام ١٩٩٧ قد شهد مزيداً من التردى في أوضاع حقوق الإنسان في مصر سواء على المستوى التشريعي أو في إطار الممارسة . هذا ما كشفه تقرير مركز المساعدة القانونية حول قضايا حقوق الإنسان في مصر ١٩٩٧ الصادر في ١١ يونيو الماضي ، من خلال متابعته لقضايا وانتهاكات حقوق الإنسان في مصر، ومن واقع القضايا والشكاوى التي تبناها المركز خلال عام ١٩٩٧ والتي وصلت لأكثر من ٦٦٦ قضية تبناها معامو المركز منها ١٠٣ قضية بالمقر الرئيسي بالقاهرة ، ٤٢١ قضية في فرع الاسكندرية ١٨٤ قضية في فرع أسوان . هذا بخلاف مائتي قضية أخرى كانت متداولة في المحاكم قبل عام ١٩٩٧ وكانت لا تزال متداولة خلاله.

أكد المركز في تقريره أن السلطات المصريةواصلت استخفافها بالضمانات الدستورية وبالطلبات المتكررة بانها حالة الطوارئ والتي أفضت تطبيقها على مدى ١٦ عاما إلى تعطيل العديد من الضمانات الدستورية في ظل السلطات الواسعة التي يمنحها القانون للسلطة التنفيذية وأجهزة الأمن ، حيث قررت مد العمل بقانون الطوارئ لمدة ثلاث سنوات جديدة تستمر حتى مايو عام ٢٠٠٠ . وهكذا فإن مصر تكون محكومة بحالة الطوارئ لما يقرب من عشرين عاما متصلة.

قانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢

ومأساة الفلاحين

ورصد المركز سقوط ما يقرب من ٢٠ قتيلا واعتقال مئات الفلاحين وعدد من السياسيين الذين أشتبته في تضامنتهم معهم



أسر ضحايا كنيسة العنكية أثناء تشييع الجنازة

أقسام الشرطة نتيجة التعذيب والاعتداءات التي تعرض لها الضحايا، كما يرصد خمس حالات للوفاة داخل السجون نتيجة للحرمان من الرعاية الصحية أو التعذيب.

وعلى صعيد آخر ظلت الأوضاع داخل السجون مدعاة للقلق في ظل إغلاق بعض السجون ومنع النزلاء داخلها من الاتصال بخويعهم أو محاميهم، أو في ظل التوردي البالغ للأوضاع المعيشية والصحية داخلها وهو ما أدى إلى نفثي بعض الأمراض كالجرب والحساسية والكلبي والدن والكبد هذا فضلا عن عدم توافر أية أدوية داخل مستشفى بعض السجون وهو ما أدى لوفاة بعض السجناء.

صحافة سجنية

وشير التقرير إلى أن حريات الرأي والتعبير والابداق وحرية الفكر والاعتقاد قد ظلت هدفا لاعتداءات جسيمة خلال عام ١٩٩٧، سواء في ظل استخدام الصياغات المضغاضة لجرائم الرأي والنشر في قانون العقوبات والتي أفضت إلى ملاحقة العشرات من الصحفيين والمشتغلين بالرأى وضدور أحكام بالسجن على عدد منهم.

ولا تزال هناك مخاوف عديدة تنور بشأن بعض الصحفيين والكتاب الذين يهددهم تطبيق العقوبات السالبة للحرمان إذا ما انتهت قضاياهم بصور أحكام نهائية بتأييد الأحكام الصادرة بحبسهم أو إذا عززت محكمة النقض تلك الأحكام.

وإذا كانت بداية عام ١٩٩٨ قد شهدت تحقق تلك المخاوف بشأن ٤ من الصحفيين طبقت عليهم العقوبات بالحبس فان العقوبات قد تمتد إلى عشرات آخرين.

السايب التعذيب بين الضرب بالأيدي والأرجل وبالسياط والكراييع والأسلاك الكهربائية والصعق بالكهريا، في مواضع حساسة من الجسم والمحرق باعقاب السجائر وعصب الأعين والتهديب بالاغتصاب والضرب على الرأس وغره في المياه.

واعتمدت ممارسات التعذيب وسوء المعاملة إلى عدد من سجناء الرأي الذين القى القبض عليهم بسبب تضامهم مع مستأجرى الأرض الزراعية، كما طالت أيضا اعداد كبيرة من المستأجرين في إطار الضغوط التي مارسها أجهزة الأمن عليهم لاجبارهم على إخلاء الأرض للمالك دوما انتظارا للمهلة المحددة قانونا ودوما انتظارا لحسم النزاع بينهم قضائيا.

ويرصد التقرير أربع حالات للوفاة داخل

لواء حسن الأنقى



تتكرر في التاريخ المصري الحديث أقدمت بعض عناصر الإرهاب في ١٢ فبراير ١٩٩٧ على اقتحام كنيسة مارى جرجس بقرية الفكرية مركز أبو قرقاص محافظة المنيا وإطلقوا نيرانهم على زواد الكنيسة مما أدى إلى مصرع تسعة مواطنين إقباط وإصابة ستة آخرون.

هذا بخلاف عدد من الحوادث الأخرى التي استهدفت مواطنين إقباط.

وشير التقرير إلى أن الجماعات المسلحة تتحمل المسؤولية المباشرة عن ٧٨٪ من صاء أعمال العنف الموجه ضد الدولة والمجتمع وذلك في إطار سعيها للتواصل إلى الحاق اندع الأضرار باقتصاديات البلاد التي تشكل السياحة واحدا من مواردها الأساسية. كما أظهر التقرير استخفاف بعض عناصر الشرطة بارواح المواطنين واسأتهم لاستخدام الأسلحة النارية دون الالتزام بضوابط قانونية وهو ما نقل في رصد التقرير خمس حالات لقتل مواطنين على أيدي رجال الشرطة.

٣٠ ألف معتقل

وأشار التقرير إلى أنه في خلال عام ١٩٩٧ زعيده قد القى القبض على آلاف الأشخاص لمجرد الاشتباه في انتمائهم إلى الجماعات المسلحة المتأسلمة، أو في إطار التصدي لبعض أعمال العنف التي شهدتها الريف المصري. وامتدت أعمال القبض واللافتة لاعداد واسعة من المرشعين المسجلين لعضوية المجالس المحلية والصارم، كما طالت العشرات من القيادات النقابية والعمال بسبب ممارساتهم لحقهم المشروع في التعبير السلمى عن آرائهم أو بسبب نشاطهم النقابى. ففى يوليو ١٩٩٧ القى القبض على ما لا

يقل عن ٢٧٠ من موظفي جامعة الزقازيق وذلك بعد تفجير الأحداث في الجامعة بعد صدور قرار من رئيس الجامعة بخفض حوافز العاملين وأمرت النيابة بإخلاء سبيلهم فيما عدا ٢٩ أمرت النيابة بحبسهم.

وطبقا للتقرير فلفد وصلت اعداد المعتقلين داخل السجون المصرية إلى ما يقرب من ٢٠ إلى ٣٠ ألف معتقل، أمضى الكثير منهم سنوات طويلة زمن الاعتقال دون تهمة أو محاكمة وذلك نتيجة لاستخدام سلطات الأمن في ظل قانون الطوارئ- لسلح الاعتقال الشكر مستشفى بأحكام القضاء في الإقراج عن المعتقلين.

ولا يزال التعذيب مستمرا

وبالاعتماد على ١٩٩٧ تواصلت ممارسات التعذيب والمعاملات غير الإنسانية للمواطنين داخل مسار الاحتجاز المختلفة. وتراوت

وفي الشهر الأخير من عام ١٩٩٧ بدأت بوادر مواجهة جديدة لتضييق هامش الحريات الصحفية. بدأت بحملة صحفية انتقدت إسبانيا استخدام بعض الصحف والصحفيين لهامش الحرية المتاح وشيخوخة صحافة القضاء والجنس وإلتراز الأجنبي وحملت هذه الحملة بوجه خاص على الصحف التي تصدر بفرنسا بخص أجنبية والتي بلغ عددها ما يقرب من ٢٠٠ صحيفة. وواكب ذلك صدور قرارات من مجلس كتابة الصحفيين في أكتوبر ١٩٩٧ مفادها اتخاذ النفاة للإجراءات الضرورية لتعقب المشتغلين بالصحافة من لم يقيدها بجدول النفاة والبد في دراسة أوضاع الصحف التي تصدر بترخيص أجنبية بهدف التوصل إلى اقتراحات محددة لتقسيم سوق العمل الصحفي.

ولقد واكب ذلك صدور قرار من وزارة الإعلام على طبع وتوزيع ٤١ صحيفة يدهوى عدم توليق أوضاعها مع جهات الإدارة في المناطق الحرة التي يجري فيها طبع الصحف. ومن المجدد بالذكر أن مركز المساعدة القانونية قد تبني ما يقرب من ١٠٠ قضية من قضايا النشر كان من ضمنها الدفاع عن ٣٩ من الصحفيين ورسامي الكاريكاتير العاملين سواء في صحف المعارضة أو الصحف القومية أو المستقلة أو المحلية أو الأجنبية وشملت صحفها الأقاليم والشعب والستور وروزاليوس والأحرار والأهرام والسياسي المصري... وغيرها».

تكفير التفكير

أما الكتاب والمفكرين والمبدعين فلم يكونوا خلال عام ١٩٩٧ أحسن حالا من الصحفيين ولم يسلموا بدورهم من الملاحقة القضائية أو من مصادرة أصنامهم بزعم الإسائة إلى الاسلام والمسلمين أو مخالفة الاداب العامة. وتواصلت حملات التكفير بحق بعض المفكرين وفي مقدمتهم د. حسن حنفي ود. سيد القمني. وكان الالات للفرق هو ضلوع جهة علماء الأهرام بملة في شخص أمينها العام ومجمع البحوث الاسلامية في الحملات التي تجعل من المفكرين هدفا لفسار التعصب الديني وتنادي القتل. وعلى صعيد آخر طالبت قضايا حرية الرأي عدداً من الاعمال السينمائية والمسرحية مثل أفلام المهاجر والنوم في العسل وأبو الذهب.

ويذكر المركز أنه قد تبني ٨٨ قضية في مسجلات الدفاع عن حرية الرأي والتعبير والابداع والفكر والاعتقاد خلال

عام ١٩٩٧.

محاكمات بلا ضمانات

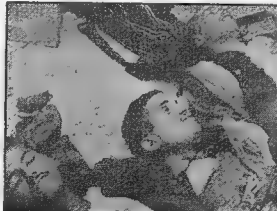
استمر إهدار حقوق المواطنين في محاكمة منتقصة والمثول أمام قاضيه الطبيعي خلال عام ١٩٩٧ وذلك عبر احوالهم للمحاكمة أمام المحاكم العسكرية ومحاكم أمن الدولة وهو ما يؤدى خرقان للمائتين أمامهما من المزيد من الضمانات الأساسية المكفولة لغيرهم من يظلون أمام المحاكم العادية وفي مقدمة هذه الضمانات حق المتهمين في استئناف الاحكام الصادرة بحقهم أمام محكمة أعلى.

ويسجل التقرير في هذا الصدد أن عام ١٩٩٧ قد شهد خمس محاكمات عسكرية لمئتين شملت ٢٢٢ متهماً وانتهت إلى صدور أحكام بالاعدام بحق ١٣ منهم والسجن بحق ١٤٨ والبراءة لصالح ٦٢ متهماً. أما محاكم أمن الدولة «طوارئ» فلقد أصدرت بدورها اثني عشر حكماً بالاعدام في أربعة من قضايا العنف والارهاب.

ولاحظ التقرير أن عام ١٩٩٧ قد شهد إحالة عدد من المدنيين الذين لم تشملهم اتهامات بالارهاب أو تشكيل تنظيمات غير مشروعة إلى المحاكم العسكرية لمجرد اتهامهم بالتسبيح والاهمال أو قاضي الرشوة لتسهيل خروج أحد الأشخاص المعتجزين بمستشفى الأمراض العقلية.

ومن الملاحظ في عام ١٩٩٧ أن رئيس الجمهورية قد استخدم صلاحياته المنوطة له في ظل قانون الطوارئ في التدخل في المحاكمات في القضية المعروفة باسم «تنظيم طما» والتي كانت محكمة أمن الدولة طوارئ قد حكمت ببراءة المتهمين فيها في أكتوبر ١٩٩٥. فاستخدم الرئيس صلاحياته في عدم التصديق على الحكم وإعادة محاكمتهم أمام دائرة أخرى والتي حكمت باعدام اثنين من المتهمين والاشغال الشاقة المؤبدة لاثنتين ائخرين

جث بعض ارايى الاصر



وانتقضا. الدعوى الجنائية ضد المتهم الخامس بعد وفاته داخل زنازته.

والعروف أن العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الذي صادق عليه مصر ينص صراحة على حظر إعادة محاكمة أي شخص على ذات الجرم أو الإتهام طالما سبق وأن صدر بحقه حكم نهائي بالبراءة، وهو الأمر الذي يفترض وأن يمسى على احكام محاكم أمن الدولة طوارئ باعتباره أن احكامها نهائية لا يجوز الطعن فيها، على أن السلطات المصرية لا تأخذ بهذا الاعتبار استناداً إلى أن الحكم لا يصبح نهائياً الا بعد التصديق عليه من رئيس الجمهورية.

أزمة المجتمع المدني

بالنسبة للحق في تكوين الاحزاب والجمعيات والتقابات بشير التقرير إلى أن القيد الصارمة على حق التنظيم ما زالت تحاصر مختلف اشكال مؤسسات المجتمع المدني.

فما زال الخطر على تأسيس الاحزاب والجمعيات السياسية مستمراً. وما زالت لجنة شؤون الاحزاب السياسية ذات التشكيل شبه الحكومي تستخدم صلاحياتها في رفض تكوين احزاب جديدة وخلال عام ١٩٩٧ رفضت اللجنة طلب تأسيس حزب أكتوبر يدهوى عدم تمزير برنامجهم من برامج القوائم ليرتفع عدد الاحزاب التي رفضت اللجنة الترخيص لها منذ انشائها إلى ٣٣ حزبا. هذا وما تزال الطعن المقدمة من مؤسس عشرة احزاب ضد قرارات اللجنة موضوعا للمداولة أمام المحكمة الادارية العليا.

إذا كان ذلك هو حال الاحزاب السياسية فان الجمعيات والمنظمات الحكومية ليست بافضل حال. حيث ما يزال قانون الجمعيات الأهلية رقم ٣٧ لسنة ١٩٩٤ يمارس دوره في محاصرة النشاط الأعلى وفي حجب التشريعية عن العديد من المنظمات الأهلية غير الحكومية وفي مقدمتها المنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان والتنمية وحقوق المرأة، والتي اتجه معظمها إلى اتخاذ صيغة الشركات المدنية الغير هادفة للربح تناديا لضغوط قانون الجمعيات ومشيرة بذلك الكثير من المشكلات حول مصادره تمويلها.

وتكتمل مظاهر الأزمة التي تعيشها مؤسسات المجتمع المدني بخالة الحصار التي تعيشها التقابات المهنية في ظل تطبيقات القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٩٣ وتعديلاته والتي أقضت إلى مصادرة حق الجمعيات العمومية في وضع نظمها



سيارة مصفحة في شوارع الصعيد لمواجهة العنف

النسب المسحوق بها بنسبة تتراوح بين ٧ إلى ٢٥ ضعفاً نتيجة لعدم التزام المنشآت الصناعية وخاصة مصانع الاسمنت في حلوان بقانون البيئة رقم ٤ لسنة ٩٣ وهو ما أدى إلى انخفاض الأشعة البنفسجية فوق حلوان بنسبة ٢٠٪ كما أدى لارتفاع نسبة الاصابة بالأمراض الصدرية إلى ٢٩٪ من بين لأمراض الدارس القريية من الصناع.

وأظهرت الدراسة أن ٩٠٪ من حالات الاصابة بالأمراض التي استقبلها مستشفى القلم كانت من حلوان.

تطور ايجابي

عموماً فإن التطور الإيجابي الوحيد في مجال حقوق الإنسان في مصر - كما يقول التقرير - لم يأت من جانب الحكومة وإنما قامت به المحكمة الدستورية العليا والتي أبطلت ما لا يقل عن ٢٧ نصاً من نصوص القوانين واللوائح والقرارات الوزارية والقرارات بقوانين بعد أن ثبت مخالفتها لـ ٢٧ مادة من مواد الدستور البالغ عددها ٢١١ مادة.

وكانت أبرز الأحكام في هذا الصدد هو ما أنتهت إليه المحكمة من بطلان دستورية الفقرة الأولى من المادة ٩٥ من قانون العقوبات والتي كانت تخضع رؤساء تحرير الصحف للمسألة الجنائية عن مخالقات النشر التي تقع بواسطة الصحف. وكان المركز قد تراقع في ٥٧ قضية من قضايا النشر لصالح ٢٢ من رؤساء مجالس إدارة الصحف ورؤساء التحرير باعتبارهم متضامنين في المسؤولية تجاه كل ما نشر في صحفهم وذلك قبل صدور حكم المحكمة الدستورية ببطان ذلك.

عرض: خالد البلشي

ملعون عاطل بين صفوف المتعلمين وحدهم.

ويغاث من الوضع غوء الدولة إلى تطبيق بعض السياسات مثل التوسع في نظام المخصصة والذي يدفع بأعداد كبيرة من القوي العاملة إلى طابور المتعلمين سواء بتشجيع نظام العاش المبكر أو من خلال عمليات الفصل الجماعي أو تصاداة بعض الحفرق العمالية المكتسبة.

وقد ضمت هذه الأوضاع مجتمعة إلى تنامي حركة الاحتجاج في صفوف الحركة العمالية والتي أخذت أشكال التجمع والاعتصام والأضراب السلمي. وهو ما واجهته السلطات بأغلاق بعض المنشآت ومعاصرتها بقوات الأمن والتهديد باستغلال القوة لضل الأضراب أو اللجوء إلى احتجاز العاملين والتحقيق معهم.

وقد تبني المركز قضايا مئات العمال الذين طالبتهم إجراءات الفصل التعميم إلى تعرضوا لاهيار بعض حقوقهم في العمل، ويكن في العديد من قضايا الفصل سواء القودية أو الجماعية من الحصول على أحكام قضائية بالفا تلك القرارات والتوصل إلى إتفاق بتعرض العاملين في بعض المناطق.

وفي ظل أزمة الاسكان الحالية وارتفاع القيمة الإيجارية وتخلي الدولة عن مسؤوليتها الاجتماعية في توفير الاسكان الشعبي واتجاهها لتأمسة القطاع الخاص في الاسكان الفاخر والتعليم. وعرض المركز اتجاه متزايداً لأجهزة الدولة للإخلاء القسري للسكان في العديد من المناطق وذلك اعتباراً لحق المقيمين في هذه المناطق سواء في التعويض أو توفير سكني بديل الأمر الذي سيؤدي إلى تشريد مئات الأسر وجرائمهم من حقهم في مأوى ومسكن ملائم.

وفيسا يتجلى بالحقوق الصحية والبيئية أظهرت دراسة ميدانية قام بها المركز أن الأزمة المتساقطة على جلولاء قد تجاوزت

الانتخابية وأسيغرت عن تعطيل إجراءات الانتخابات النيابية في أكثر من نقابة وقادت إلى قرض الحراسة على اثنين من كبرى النقابات هما نقابة المهنيين ونقابة العاميين.

بالإضافة لذلك فقد رصد التقرير مظاهر العوار التي احاطت بتشكيل مجالس النقابات العمالية من خلال ٢٧ قضية تبنها محاموا المركز وطلابوا فيها ببطان نتائج الانتخابات العمالية في عشرات من اللجان النيابية لما شهدته من صبر للتلاعب بحقوق المرشحين وأصوات الناخبين.

كما تضامن المركز مع العديد من قيادات العمل النقابي في مواجهة الإجراءات التعسفية التي استهدفتهم بسبب نشاطهم النقابي على مدار العام.

انتخابات تكريس السلطة

ولقد شهد عام ١٩٩٧ مزيداً من الدلائل على اهدار حق المواطنين في المشاركة السياسية عبر انتخابات حرة نزيهة وقدمت انتخابات الحليات أكبر دليل على ذلك حيث يسجل التقرير العديد من التجاوزات الخطيرة التي شهدتها انتخابات الحليات والتي شملت القيص على: إسبات المرشحين وأنصارهم لاجبارهم على التنازل حيث اجبر ٦٠٠ مرشح على التنازل في القهيلية بعد أن قادت أجهزة الأمن حملة اعتقالات بالمحافظة طالت ما يقرب من ٦٠٠ من المرشحين ومتدوبيهم. كل ذلك يدور في إطار رسمي الحزب الحاكم إلى التكريس على السلطة.

ولقد شملت التجاوزات التي شهدتها انتخابات الحليات الصور المألوفة للتزوير وتسويد البطاقات لصالح مرشحي الحزب الوطني في ظل عمليات استبعاد وطرد متدوبي المرشحين.

وعلى صعيد آخر فالد واصل مجلس الشعب استخفافه بنتائج تحقيقات محكمة النقض في الطعون على الانتخابات مجلس الشعب والتي جرت في نوفمبر ١٩٩٥ والتي قضت فيها ببطان عشرين عشرات النواب داخل المجلس. وذلك بزعم أن المجلس سيهد قراره امتداداً لحكام المادة ٩٢ من الدستور.

كلني الأوضاع المعيشية

ويشكل عام فإن التقرير يشير إلى أن اقتساماً متزايداً من السكان في مصر في زالت تعاني من تروى الأوضاع المعيشية في ظل تراجع الدور الخدمي للدولة وبخاصة في مجالات الصحة العامة والتعليم والاسكان. ففضلاً عن تخليها عن مسؤوليتها في تأمين حق العمل لحملة الموهلات العليا والمتوسطة حيث تقدر بعض التقارير بوجود نحو ١٥٠

مبارك .. الدولة والثورة والمستقبل



لارتباطها بعلاقة تبادلية وثيقة مما جعل هذه الثورة التي لامحيل لها في مصر تعزز مضامينها الاجتماعية ويسر وسهولة في حضنة الدولة بقيام دولة رأس المال المالي الكبير التي تتشخص في مؤسسات البورصة وسوق المال التي يتداول بها فئة مليار جنيه وفي عدد ٨٩ بنكاً تبلغ فروعها ١٥٤ فرعاً تجاوزت موازنتها ٣١٦ مليار جنيه وودائعها ٢٠٦ مليار جنيه وقرضها ١٥٩ مليار جنيه..

هكذا استطاع الرئيس جنى مبارك بدولته القوية وفورته الجذرية البيضاء تحقيق امبراطورية في رأس المال المالي لأول مرة في مصر الحديثة والمعاصرة مستعبداً منها كل مظاهر الديمقراطية والعدل الاجتماعي ..

عندئذ فقط توفقت رسالة الرئيس مبارك رجل الدولة والثورة .. ولم يبق أمامه إلا تنويع دولته وتنويع ثورته باعداد مستقبل مصر في مواجهة القرن الواحد والعشرين باستغلال غير بطرقة ديمقراطية وباختيار ديمقراطي لاشتهور شوائب العسكرية والسلطوية والقرابة العائلية ..

إن ذلك الاستغلال الديمقراطي هو ضرورة وطنية وواجب اجتماعي ومسئولية أخلاقية تجاه الشعب المصري والأجيال القادمة .. إذ أنه الطريق المصري الوحيد المؤدى إلى قيام مجتمع ديمقراطي مدني تتقدم في ظل التنمية ويتوافر فيه الرخاء والخير والحرية .. وبين ثم يتجنب شعبنا المصري حدوث قارعة تأتي بها العفوية ذات الحضور المباغت كرتج صرصر عاتية ..

يلج في سم الحياط ..

وبواسطة تلك الدولة الجبارة يادر الرئيس مبارك بتحقيق ثورة رأسمالية مُنقنة في كل شيء وبدأها وريداً وريداً وخطوة خطوة من خلال إحداث تغييرات جذرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع وفي مجمل القيم الروحية للشعب المصري ..

ولقد قتل تلك التغييرات في ظهور أمثلي في المجتمع المصري أمة رأس المال المالي - والمحخصة والبورصة والسوق الحرة في مواجهة أمة مصرية بروتيتارية عمالية كادحة ينقش في صفوفها الفقر المدقع والبطالة الصارخة وغياب الحريات العامة والنقابية ..

ومن هنا برزت عقيرة الرئيس مبارك من خلال توظيف دولته في تحقيق ثورته الرأسمالية الطموحة التي حدثت بدون ضجة وبغير جبهة .. فالشعب المصري لم يتقبل بها أو ضدها تبعا لمزاجه الحالي من السخط والرضى في ظاهرها حيال تلك الثورة من جراء تقييده وتغريبه مما أدى إلى اختفاء مظاهر صراعه الطبقي واحتجاجاته الاجتماعية ..

الأمير الغريب أن الثورات الوطنية والشعبية قد قوبلت بضجة إيجابية وثورة وجبهة راضية حيث انتقل الشعب المصري بها قشاراً في أحداثها .. كما أن الثورات والانتفاضات والسياسات الرجعية والمضادة قد قوبلت أيضاً بضجة سلبية رافضة وجبهة سلبية غاضبة وانتقل الشعب المصري ضدها باضرائها ومظاهرها ..

إذن فلا توجد ثورات أو انقلابات أو سياسات جذرية بدون ضجة سلبية أو إيجابية وبغير جبهة رافضة أو راضية .. مما يعني أن ثورة الرئيس مبارك الرأسمالية التي استغلها الشعب المصري بشكل معادي في الظاهر دون أن يماركها مباركة واقعية ومعموسة قتل ظاهراً وأن الدولة التي حققتها بعيداً عن مشاركة الشعب المصري قتل ظاهراً أيضاً. وكلا الظاهرتين وجهان لعملة واحدة

إن عيد ميلاد الرئيس جنى مبارك وتحتية الرئيس سوهارتو في أندونيسيا مسالكتان توجبان التفكير المجاد في شخصية الرئيس مبارك كظاهرة سلطوية فريدة في تاريخ مصر المعاصر والحديث ..

وباعتباري عاملاً يسارياً فأننى أوجه النقد الشديد للمقننين والمفكرين في صفوف القوى الوطنية والديمقراطية المصرية لأنهم جميعاً قد غفلوا أو عجزوا عن رؤية ظاهرة مبارك الدولة والثورة والمستقبل .. وبالتالي فلم يقرئوا للشعب المصري شيئاً عن أسباب وجود هذه الظاهرة السلطوية البالغة الأهمية ومدى تأثيرها في الحياة والمجتمع ..

ولذلك فقد صرفوا النظر عن كيفية نشوء الدولة المصرية المعاصرة بقيادة الرئيس مبارك ذات الطبيعة الخاصة في تحقيق ثورة مصرية جذرية رأسمالية ذات مضامين مادية وروحية عميقة ..

فإذا كان وإلى مصر محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة والاشتراكية الحكومية .. والرئيس جمال عبد الناصر مؤسس مصر التحرر والاشتراكية الناصرية .. والرئيس أنور السادات مؤسس مصر الانفتاح الاقتصادي والصلح مع إسرائيل .. فإن الرئيس مبارك هو مؤسس مصر رأس المال المالي والمحخصة والسوق الحرة ..

وهؤلاء الحكام كانوا ضباطاً عسكريين فالأول والثاني والثالث كانوا ضباطاً برتبة بكباشي في حين أن الرئيس مبارك كان يحظى برتبة جنرال أي أنه أعلاهم رتبة عسكرية وأكثرهم حفظاً وفهماً للقاموس العسكري ومبتون التكتيك والاستراتيجية العسكرية .. هذه الثروة العسكرية التي طبقها في إدارة شئون مصر فور وصوله إلى منصب رئيس الجمهورية ..

ولقد تجلّى ذلك في قيامه بتأسيس دولة مركزية شمولية مغمورة من مفاهيم ثورة ٢٣ يوليو الاقتصادية والاجتماعية .. دولة تجاوزت الدستور دون تعديل للمستور .. دولة قوية ذات دكتاتورية برلمانية وحزبية ونقابية وإعلام خرافي يخفق إعلام هوبز ألف مرة بحيث يجعل المرء يرى الديك حماماً والجمل

عظيمة الصير في

تحتوى والعولمة

لهموم

بين التفسير التأمري.. والخوف..

والسياسة.. والاقتصاد.. والامركة

وأن انتقال الرأسمال والعصالة بسرعة وسهولة في ظل العولمة، هو نوع من إعادة التوزيع الجغرافى في العالم ، وأنه لن يتحقق توازن بين الثقافة المحلية والرافعة إلا إذا حدث توازن في الجوانب الاقتصادية بين الشمال والجنوب ، وأن الثقافة العالمية لن تتم أبداً ، وختم كلامه بأن العولمة ظاهرة موضوعية حتمية تاريخية يجب ترويضها ساحتها.

وعرفت من الأستاذ محمد سيد أحمد أن السؤال عن خصوصية الهوية هو سؤال المزهز داتما ، فعن نيسال منذ قرنين من الزمان ، نسال من نحن ؟ وأن آدم سميت كتب عام ١٨٠٠ يقول أن المادة الحام لم تعد أساساً للصناعة بل المهارة في العامل الحدى ، ونحن ما زلنا كعرب نتبع المادة الحام ، وأن الدول العربية متضررة تماماً عن العلم والقرارة ، ومتضررة أيضاً عن التصديق وبذل الجهد والاتناج ، وأن العالم العربى كله (٢٥٠ مليون نسمة) في أوائل التسعينيات ، يعزى ٢٥ ككتاب في السنة ، في حين إسرائيل ٤٥ مليون نسمة تترجم ٥٠٠ كتاب في السنة ، وأسبانيا (٢٨٥ مليون نسمة) تترجم في السنة تسعة آلاف كتاب ، وأن في عام ٩٤ صدر في مصر ٣٠٠٠ عنوان ككتاب في الشهوره والجل ، ولقت اقبالاً شديداً وأن نسبة ما يتفقه العالم العربى كله على البحث العلمى حوالى ٢٠٠٠ من الدخل القومى العربى ، وأن الأمية الجهانية في مصر ٧٧،٢ هذا غير الأمية الثقافية ، وأن نسبة الأمية بين العرب حوالى ٦٠،٢ وأن العالم العربى يصدر عنه في السنة حوالى ٦٥٠ عنوان ككتاب ، في حين أسبانيا يصدر عنها حوالى ١٥٠ ألف ككتاب في السنة ، وأن عناوين الكتب التى تكلم عن العلم منضلة للغاية ..

ويعد كل هذه الاحصائيات كان من الطبيعى أن يؤكد مرة ثانية الأستاذ شوقى جلال بأن المهزوم هو الذى يسأل عن خصوصيته؟ والقوى يفعل داتما ولا يسأل ، وأنتا ما لم تغير الفلاح المصرى لن تغير مصرنا اطلالا.

وصلوا بعد الميعاد المعلن بنصف ساعة ووضعت كل منهم أمامه مجموعة أوراقه التى سوف يتحدث منها عن العولمة ، وتأكدت أنها مكتوبة بخط اليد ، وليست مكتوبة بالكمبيوتر ، وكانت مفارقة طريفة تملن فعلا المسافة الكبيرة بين خصوصية المتحدثين ونحن ومعهم والعولمة.

وعرفت من الأستاذ محمد سيد أحمد أن العولمة هي أقرب ترجمة للمصطلح الفرنسى ، والكوكبة ترجمة للمصطلح الإنجليزى ، وأنها عملية تاريخية موضوعية ، ولها فقد الدولة الكثير من أطيئتها ، لدعوة أن الشركات المتعددة الجنسيات أصبحت تتصرف بحكومات الدول ، وأنه في ظل التقدم الشديد في تكنولوجيات الاعلام هناك صعوبة شديدة أمام الدولة في وضع رقابة على الأفكار الالكترونية التى تصل إليها ، فلا توجد حواجز في الزمان والمكان ، بل العالم يتجه نحو الشعور من المهجم ، وأن الإنسان الآن يعيش أحداث العالم كله من موقعه ، وأن الدولة يمثلها الهرم رأس واحدة وقاعدة ، أما العولمة فهي شبكة من عدة رؤوس.

وأن صانع الكمبيوتر اليوم ينشئ تصورات يتحكم خلالها على حائز الكمبيوتر الذى أصبح ضحية للآل ، وهو نوع من الاستعمار لتفكيرك يهدو وبالراحة ، وأن تكنولوجيات الاتصال التفاعلى سوف تتيح فرصة للديمقراطية أوسع ، رغم ذلك فإن العالم الثالث لا تستطيع أن تنم فيه ديمقراطية كما في الغرب ، لأنها هناك نتيجة تضال تاريخى وطبيعى للتطور الداخلى في الغرب ، لكن الدول في العالم الثالث لم تحصل على الاستقلال نتيجة كفاف داخلى فقط ، بل نتيجة إعادة توازنات بين الدول المستعمرة وبأذن منها قهيدا لنوع جديد من الاستعمار .

هل يسأل الإنسان لماذا يذكر اسمه متبوعا باسم أبيه وجده ؟ وهل إذا رفع علما ينظر منه أن يرفع علما غير علم وطنه ؟ وهل إذا سئل عن أصله أنراه ينتسب لغير أرضه وناسه وتاريخه ؟

إن الإجابة على تلك التساؤلات من التديهيات ، فلا نطن أننا في حاجة بعد ذلك للتساؤل عما يدعو جماعة مصرية أن تختار لنفسها اسما ورمزا مفرقا في مصريته ، فتحتوى عند الأجداد رمز للحكمة والمعرفة ، وراع للباحثين عن الحق والساعين إلى الحقيقة ، فبز إله الحكمة ، وكاتب الآله ، الناطق بالحق ، واسم يطلق على أول شهر السنة المصرية «توت» شهر الخير وذروة الفيضان .

الكلمات السابقة مكتوبة خلف بطاقة التعريف بجماعة هجرى للدراسات المصرية بالاسكندرية ، وهي جمعية ثقافية غير حكومية ، تحاول تقديم رؤى عقلانية متكاملة تستند على مرجعية ذاتية مصرية لمشروع النهضة المصرى ، يديرها مجموعة من الرجال الكبار والشباب المثقفين في الاسكندرية ، ومعظمهم مرتبط بالتجمع بطريقة أو أخرى ، وأعني حماسهم وصبرهم على المعوقات ، وأعرف بعض نشاطاتهم مثل الأستاذ معطوف هلال، الأستاذ قصى سيد فرج ، الأستاذ سليمان أبو حجاج الحامى ، الأستاذ حملى صهى الحامى ، وغيرهم كثير .

نظمت الجمعية مسبا الخامس ٢٨-٥-١٩٩٨ للملتقى الثقافى الثالث عشر ، بقصر ثقافة الأنفوش حول الموضوعية والعولمة-أقرأ تحتوى والعولمة-وكان تحتوى هنا هو رمز للخصوصية ، وكان المتحدثون في الملتقى : الأستاذ محمد سيد أحمد ، وتناول مفهوم ونشأة وسبات العولمة ، الأستاذ شوقى جلال عرسى مظاهر الوهن والقسوة في الخصوصية المصرية ، والأستاذ محمد السيد سعيد حلل العلاقة بين الخصوصية والعولمة ، ولقت نظرى أن الأستاذة المتحدتين ،

د. أحمد محمد صالح

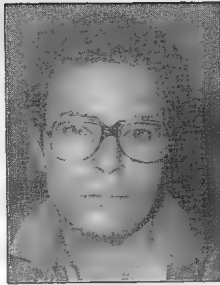
وكان تعليق من المحاضرين ان السؤال عن الهوية سؤال مشروع فبعلا وتقرير بالهوية ، وان الهند دخلت العملة بطريقها بالتفجير النوى الأخير لها فالعالم لا يعرف غير لغة القوة .وثاني يوم الندوة انضمت باكستان أيضا للعبة بتفجيرها النوى وشروطها.

وكان آخر المتحدثين هو الدكتور محمد السيد سعيد ، وأعلن بداية صنعته موقفه ، فالخضبر لم يحصل مزيدا من الكلام ، وبدأ كلامه أن العالم يناقش قضايا العملة وهو فعال فيها ، ونحن ناقش قضايا العملة ونحن خارج عنها تماما ، وعرفت منه أن العملة عملية قديمة منذ الامبراطورية الرومانية وبمعدا الاسلامية ، وكانت وقته عولة سياسية ولكنها الآن عولة اقتصادية ، فهي اصلا في الاقتصاد وقليل منها في السياسة والثقافة، وان بعض دول العالم الثالث دخلت العملة فعلا ، لكن كيف تدخل مصر ودخلنا القرمي ٩٠٪ من الدخل العالمي ، فمصر ليست على الخريطة الاقتصادية للعالم.

عولة الاقتصاد تقوم على تدويل الانتاج ، أو ما يسمى بالمصنع العالمي ، وإعادة هيكلة الاقتصاد الدولي حيث تنتقل فيه الصناعات الكلاسيكية من الشمال إلى الجنوب ، وأن يجانس المعايير الفنية سهل عمليات التسويق العلمي والانتاج وحذف التكلفة ، وإن نظام التجارة العالمي خضع اقتصادية مبراكش ١٩٩٥ ، لم يعط أي استثناءات للعالم الثالث مثل ما سمع بها في اتفاقية طرير من قبل ، فالمعاملة بالمثل بين الشمال والجنوب، وأن عمليات العولة الاقتصادية قابلة للتكاس في أي وقت لأن اتجاهات العولة متزايدة وهناك تناقض شديد بين عولة الاقتصاد وعولة السياسية والثقافة، ورغم ذلك كل عمليات العولة ، وكسر الحواجز والمساكن بين الدول زادت الكراهية العنصرية ، وزادت حوادث العنف العرقي، والديني.

والعولة توظف المحصورة قنطير الاستثمارات إلى كوريا لأن العولة رخصت للغاية مع ارتفاع مستوى انتاجها ومهاراتها ، وأيضا توظف الشركات العالمية لبرامج الكمبيوتر المحصورة الدينية في انتاج السوفت وير أو البرامج الخاصة بالقرآن والأحاديث والسيرة حيث تجد لها سوقا ضخما بين المسلمين ، وهناك أيضا صناعة السياحة المتعة ، فهي صناعات تتم فيها توظيف المحصورة لصالح العولة (مثل أوروبا عايدة في الاقصر ، واحتفالية أبو الهول الأخيرة عند سفح الازهر) .

وسترسمل: إن اللعبة الكبرى الآن هي اصطياد الاستثمار التغير الطارئ في سماء العالم وخاصة في التكنولوجيا المتقدمة، فهي



محمد السيد سعيد
مصر ليست على الخريطة الاقتصادية للعالم

أساس الصراع الآن، ومع تدويل وأسمال يحدث قومة للحركات العالمية ، وأن الصين ودول جنوب شرق آسيا تسرق الألقان بإغراقها بالبضاعة الجيدة والرخيصة ولا نستطيع أن نتنافس معها ، وأن أماننا فرصة في الابداع التكنولوجي في اللحظة الأخيرة من السلسلة-أعتقد كان يقصد انتاج برامج الكمبيوتر- لكن بواجبنا مشاكل في نظم التعليم والأخلاقيات والنسق القيمي.

العولة والتفسير التامري

لاحظت في الندوة السابقة أن مشاعر الانزعاج والجور من العولة ، اخفت بين أعضاء المنصة الذين طالبوا كل بطريقته بالتفاعل الإيجابي معها ، في حين سادت فقط المشاعر بين الحضور في تعليقاتهم ، وقدمت مداخلتي مكتوبة للمنصة ، بينت فيها ان مصطلح العولة في كل مكان هذه الأيام، في الخطاب الرسمي والشعبي، في المؤتمرات السياسية والاجتماعية ، في التقارير الدولية في أجهزة الاعلام في المقالات المهنية، في ندوات الجمعيات الأهلية ، وقرأنا سيلا من المقالات والتحقيقات الصحفية لصريين وعرب، ما هي هذه العولة التي يشهدون بها الجميع وماذا تعني لنا ؟.

بداية يجب أن نفرق بين العولة والأهركة ، فالأهركة هي فعل وممارسة لدولة واحدة فقط بالعولة لم تنشأ نتيجة فعل دولة واحدة فقط بل هي عملية تاريخية تكونت بفعل منظومة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية التي مر وير بها العالم ، وهي تعني بالمعنى الشامل

كسر الحواجز السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدول، وهنا يجب أن نتعرف أن عمليات العولة الآن تتم على حساب الجنوب الفقير ولصالح الشمال الغني ، لذلك كانت نقية الخوف منها سائدة بين تلك الكتابات ، لكن هل اعلان الخوف يكفي ؟

إننا نتعامل كمشقيين مع مصطلح العولة كما نتعامل الآن مع جوبوت الفاجرا بالصور العالي والهرجة الاعلامية والمبالغة والخوف المسبق ، بل بالتسهيل والتسهيل كل ذلك في حزمة واحدة يروجية افتقاد التفكير العلمي في سلوكنا وفي مواجهة المستجدات والمشاكل ، وعدم التفكير العلمي خاصة في خصائص الهوية، والتي تجتمع اليوم لثقافة كنيهة المحافظة عليها أمام العولة .

وإذا كان أيضا من خصوصية هويتنا غير التاريخ القهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وعدم احترام الآخر ، بل غنم رؤية الآخر تماما ، فهل تلك الخصائص يجب أن نحافظ عليها أمام العولة؟ وإذا افترضنا ان المحصورة لها إيجابيات وسلبيات، فما هي تلك الإيجابيات التي نسمي حمايتها من العولة؟ أسع من يقول الدين والفضيلة، وهل منعنا أحد من الجور الحقيقي للدين؟ لنناحر الفلوبي يشكاه المتصدد الذي نعانى منه صناعة محلية ، وإذا دخلت الانترنت تجد حوالي ٩٠٪ من وثائقها باللغة الإنجليزية ، والنسبة الباقية موزعة على دول العالم اصغرها العربية بنسبة لا تذكر على الاطلاق ، فهل منعنا أحد من تطوير واستعمال لغتنا في أدوات القرن الحادي والعشرين ، في أدوات العولة؟ في الانترنت والكمبيوتر ، أن الذي منعنا هو جهلنا بأدوات العولة .

والتفسير التامري جاهز دائما لتبرير عجزنا وجهلنا فالعولة مزمنة ، والفاجرا كدواء خطة للقضاء على بقية فحولة مزمنة لرجال العولم الاثناوي، والكمبيوتر والانترنت وكل تكنولوجيا الاتصال والمعلومات فعل من عمل الشيطان.

دعونا نعرف أننا نخاف من العولة لأنها لا فلك ، ولجهل أدواتها ، نحن نخاف العولة لأنها سوف تكشف كذب وتضليل اعلاناتها التي يقدم على الاعلانات السياسية عن الاتجاهات الرسمية ، سوف تكشف لنا العولة كذب وافتراء الاغاني الوطنية عن جنة الوطن والحاكم.

والآن ماذا يجد كل هذا الكلا في الندوات والمؤتمرات من العولة والهوية ؟ إن الممارسة الكلامية كسلوك مسيطر خاصة من خصائص هويتنا ، وسوف ينتهي الكلام بصفير كبير في الجيل ، ثم يتجدد مرة أخرى عن الفاجرا ، وعن كل شيء جديد صنيعة الغرب ؟



محمد سيد احمد
لشركات المتعددة الجنسية
تستوعب الحكومات والبلد

انتاجية جزئية على حدة، أو مع بعض الصناعات الأخرى شديدة الارتباط بها كمنظومة واحدة.

والشكل الأخير لعملية العملة يستطيع أن يعطي تحولات وتغييرات إيجابية للموارد خاصة في العمالة، فزاد الطلب على الكوادر البشرية، والأدارة، وايضا على الدولة الوطنية التي حدث فيها تحول قوى في ادوارها، واتجهت إلى تقديم الخدمات بفعالية وبناء البنيات التحتية.

ويختم مقالته قائلا: في اعتقادي الراسخ بأن العملة واجبة وحتمية في بيتنا التنافسية برأنا يجب أن نتحرك مع التغييرات العميقة والسريعة للشعوب، وهنا نذكر أنه في ضوء المستخدمين والمهاجرين.

معنى ذلك أن منطق عملة الاقتصاد قائم على الصلابة التي تحقق أقصى قدر من الربح والمكسب من أي مكان بصرف النظر عن كافة التغيرات الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية للشعوب، وهنا نذكر أنه في ضوء ما يسمى بعملية الاستثمارات لن تستطيع دولة ما أن يكون في العالم أن تحسن نفسها من أسباب أزمة دول شرق آسيا الأخيرة.

تقليص لأدوار الدولة الوطنية التي فبقت الكثير من وظائفها وتعميم لأدوار الأقاليم وتنظيماتهم الدولية.

أما الموقع الثاني حول عملة الاقتصاد، ولن نخوض في مصطلحات علمية وفي عناوين الكتب والتقارير الدولية بل نجد معناها واضحا عند أحد أعضاء مجلس إدارة إحدى كبرى الشركات المتعددة الجنسيات يدعى فرست هيلش والذي كتب يقول: إن العملة بدأت من سنين طويلة مضت، حين بدأ التوزيع السريع جدا في ميقات التصدير، فمنذ الحرب العالمية الثانية زادت سرعة التجارة المحورة من القيود، وتحول شكل عملية التوزيع من وكالات الاستيراد والتصدير إلى شركات كبيرة لديها مندوبون مبيعات في الاسواق الرئيسية، وبحلول الانتاج تدريجيا

إلى التصدير، وأصبحت الشركات متعددة الجنسيات يبتثق منها مراكز مالية رئيسية منتشرة على مستوى العالم، ومركزه حول الاسواق، وأصبح رأسمال يطير بسرعة شديدة حول العالم متخطيا جميع الحدود، ويبحث عن أقصى عائد ممكن في أي بقعة على وجه الأرض، والتقدم المذهل في تكنولوجيا المعلومات وانتشار هذه التكنولوجيات ينشأ المعلومات لتدبرها في كل من دول الشمال والجنوب، نشأ عنه نظم معلومات متقدمة ومتشابهة ومتجانسة بين دول العالم المتقدم والنامي، وساعد ذلك الشركات على أن تستغل من أي مكان، بحيث يسهل إدارة الانتاج والاسواق وإدارة رأسمال من على بعد. وأصبحت الخطوة المستقبلية المتوقعة والمفترضة، هي توزيع الموارد العالمية بما يكفل وصول البضائع والخدمات للمستهلك بشكل فعال، وأصبح الجيل الجديد من عمليات الانتاج، أو الشكل الجديد للانتاج الآن هو جيل جديد من الصناعات الانتاجية المجزأة على قطع صغيرة، حيث تجري كل عملية إنتاجية جزئية في مكانها الأمثل والنموذجي الذي يتحقق من خلاله أقصى انتاج بأقل تكلفة، مراعيًا ومعمداً على كل عملية على التطلعات المحددة لكان انتاج تلك العملية مثل التكاليف، والتخصص المطلوب، وتكلفة العمالة، وسرعة توفير المهارات والتدريب، وسرعة الخطط، وكفاءة البنية التحتية، والخدمات الحكومية الخ بحيث يمكن حساب كفاءة كل عملية

وهكذا تستبصر حياتنا كلام في كلام، لكي يجمع الجميع أننا غارس الحرية وأنا في ازهي عصور الديمقراطية.

فمن المضحك أننا نمارس الكلام عن العملة في نفس الوقت يسجن فيه صحتيون بسبب وأهمهم، ومن المضحك البكى أننا غارس العملة في أكثنا وشرينا وعلينا، ولكنكم أن تنظروا حولكم في الشاعة، ثم تقول إنها مؤامرة، أن السفيرة أن تسمح الدعوات للاستعداد للقرن القادم، في نفس الوقت الذي تصدر الكتب والصحف تحت مؤامرات دينية. يا سادة يجب أن نعرف أنه ليس إمامنا سبيل إلا التفاعل الإيجابي مع التغيرات والتحديات العالمية وهذا التفاعل الإيجابي يبدأ باصلاح سياسي وتعليمي شامل، ومع اعترافنا أن منظومة التخلف التي نعيشها لها أسبابها الخارجية والداخلية، لكن لا نستطيع أي مؤثر خارجي أن يؤثر علينا بالسلب إلا بنفس القدر الذي تسمح به الظروف الداخلية، فإسرائيل لم تشك من العملة ولم تملن خوفها، فإسرائيل لم تر عليها فقط خسران عاما تعتبر نفسها جزءا فعالا من النظام العالمي الجديد، وبقتصر أنها ثاني دولة في العالم بعد أمريكا لديها وادي السليكون لتكنولوجيا المعلومات المتقدمة، وبالها تنفق على البحث العلمي نسبة أكبر من أمريكا نفسها إلا أن لا قائد من الكلام، دعونا نعمل اصلاحا حقيقيا للوطن قبل أن نصبح سادة لعلم الانثروبولوجيا.

العملة بين السياسة والاقتصاد

بعد البانورما السابقة التي تعكس كيفية مناقشة العملة في الجنوب، أبعثنا داخل الانترنت لتتعرف على كيفية التي ينظر بها الغرب ممارس العملة لتلك القضية؟ وهذا الاف المواقع التي تتكلم من قريب أو بعيد عن العملة، سوف نقدم منها مرفعين، الأول عن عملة السياسية في كتاب إيفان لورد، وهو باحث بجامعة أكسفورد نشر في أوائل التسعينيات وهو كتاب يركز على التغيرات في الفعل والآراء السياسية في العالم الحديث، حيث يصف الأداء السياسي التقليدي بأنه الذي يتم تحت مناخ الأنظمة السياسية الوطنية، فالأفراد، والجماعات يتناقصان على القرع من خلال الدولة وبعثاتها.

وناقش الكتاب احتياجات المواطنين في العصر الحديث، الذي يستدعي ممارسة الأنشطة السياسية تحت مناخ السلطة الدولية، ويقرر أن الفعل أو الأداء السياسي الفعال اليوم يجب أن يكون أداء دوليا ذا ترجمة عالمي، وإذا كان الأفراد يسعون لحماية اجتماعاتهم وحقوقهم، فيجب عليهم أن يفعلوا ذلك بشكل مباشر وليس فقط من خلال الوكالات الحكومية للدولة، فعملية السياسة في رايه هي



كان متوقعا أن ترتفع مكانة المستوطنين اليهود المستعمرين في الأراضي الفلسطينية مع وصول تنبهاؤهم إلى الحكم. ولكن ما جرى حالها على الأرض هو أكثر من «رفع مكانة». إنهم يتحولون إلى جزء رسمي من سلطة الاحتلال. وهم «قانون» في لمة «أخذ السلطة»

المستوطنون.. درجة أعلى في سلم السلطة الإسرائيلية



الأحوال ستم ادانتهم بالقتل غير المتعمد وبحيثان بحكم مخلف. تنتظر فيما بعد ، الجريمة القادمة، التي يرتكبها مستوطنون يهود ضد الفلسطينيين.

مجرد نموذج

هذه القصة ، تدل على القفزة في مكانة المستوطنين في ظل حكم تنبهاؤهم.

هو الطبع ، لم يرسل أولئك المستوطنين في مهمة قتل الفلسطينيين. وإن منع الشرطة من القيام بواجبها في التحقيق مع القتلة. لكن سياسته خلقت أجواء من الشعور بالقوة والطمع لدى المستوطنين ، والمزيد من الاستعلاء على العرب. والمسألة لا تقتصر على جرائم القتل ، إنما تلك الجريمة مجرد نموذج. وقد جاءت في أسبوع ، تم خلاله قتل ثلاثة فلسطينيين بأيدي مستوطنين يهود في الضفة الغربية لذلك قدمناها مثلا.

لقد جاءت فترة ، خلال حكم رايبن سهرس ، شعر فيها المستوطنون بأنهم مصابون بشلل جزئي ، وذلك في مرحلة التوقيع على اتفاقات أوسلو. الكثير منهم بدأوا يستعدون نفسيا وماديا إلى مغادرة بورتهم في المستوطنات والعودة إلى حدود إسرائيل ١٩٦٧. وبعضهم

ذنبه أخف. فقر التوجه إلى الشرطة وإعطا. بلاغ عما جرى.

وحسابه كان صحيحا. وعلى الرغم من أن شركته في الجريمة واضحة ، وأنه كان بإمكانه منع ارتكابها وأنه كان الوحيد بين المشبهين الذي يستمر بالثبات من حيث العمر ، إلا أن الشرطة أعلنت أنها قد تغلق الملف ضده.

وإنها ستكتفي بحماية المستوطنين القتيين. وعندما انتشر أول خبر عن نتائج التحقيق الأولية ، قيل أن القتيين قاصران. ليس فقط من حيث الجليل إنما عقليا أيضا. فقد تبين أنهما من نزلاء الإصاحية المذكورة ، التي تضم قرعا للمتخلفين عقليا. ولن يكون غريبا أن يعاملا كمتخلفين عقليا ، مثلما حدث في جرائم قتل أخرى ارتكبتها يهود بحق عرب. وبحصلان على براءة. وفي أحسن

جريمة القتل التي ارتكبتها المستوطنون الثلاثة اليهود وراح ضحيتها المواطن الفلسطيني عبيد المجيد خالد أبو تركيبة أواسط يونيو (حزيران) الماضي ، هي نموذج يدل على الواقع الجديد للمستوطنين ، وعموما لحياة الفلسطينيين في ظل الاحتلال. واليكم قصتها :

أحمد المستوطنين ، شاب في الثانية والعشرين من العمر ، يقود سيارته من القدس إلى مستوطنة «بيت حجاب» قرب مدينة الخليل. في الطريق يوقفه مستوطنان آخران ، هما فتیان لم يتجاوز أي منهما السابعة عشرة من العمر. يطلبان منه مرافقته في السيارة ، فيوافق بالطبع. ويسير معا بالحاء الخليل. على الطريق يخبر الفتیان السابق بأنهما خرجا من بيت حجاب قاصدين قتل مواطن فلسطيني فيوهران أمام عصا كبيرة بخفياتها ، كانا قد فصلهما تفصيلا في المنجرة التي يعملون فيها داخل مدرسة الإصاحية في مستوطنتهما ، بيت حجاب. فيضحك معهما ويواصلن السير. فيما بعد سيقتول في الشرطة أنه لم يفصلهما. ولم يفتتح بأنهما جديان إلا حين نكلا التلوم بالقتل.

فتعمدا شاهدنا عبد المجيد ، وهو مزارع عمره ٥٢ عاما كان يسير على يمين الشارع بعد يوم عمل مرهق في الأرض ، فتح أحدهما الشباك ، ووجه ضربه بالعصا ، والسيارة ما زالت تسير. فكان أثر الضربة مضاعفا ، وقد اجتاحت العصا رأس الرجل. فبات خلال وقت قصير.

بالضبط ، شاهد بعض المواطنين الفلسطينيين الحادثة وراحوا يصرخون. فهرب المستوطنون ، كل إلى هله. وانتشر التبا في فلسطين وفي إسرائيل ، ومن ثم في العالم الواسع. وأصبح على الشرطة الإسرائيلية أن تعطي تفسير لما جرى. وراحت تفتق.

في هذه الأثناء ، راجع المستوطن السابق فكري. ويقرر أن يتكلم. فنادا وصلت إليه الشرطة بجهودها ليصبح متعها ويشريكا كاملا في الجريمة. وإذا وصل هو إليها ، يكون

رسالة حيفا

نظير مجلي



تنتهاه

أبو غنيم ،جنوب شرق المدينة المحتلة) بل توسيع المنطقة شمالا في المساحة الممتدة ما بين رام الله والقدس. والهدف الملن: إضافة بضعة ألوف ، وربما عشرات الألوف من اليهود إلى المدينة لرفع نسبة اليهود على العرب) الواقع اليوم ٦٨٪ يهود و٣٢٪ عرب).

-القائمة جيش رسمي مسلح للمستوطنين هو عبارة عن «جيش الحرس المدني» ، ولكن أفرادها يكونون عسادة من قوى الحشبرات العسكرية . وسيلسبون الأسلحة. ويتصرفون كمحاربين . ويارسون عملهم في الحراسة تحت اشراف الشرطة.

-توسيع المستوطنات الاستعمارية القائمة بضم مساحات جديدة من الأراضي الفلسطينية وأقامة المئات من وحدات السكن مع العلم بأن هناك ٣٠٠٠ شقة فارغة في المستوطنات ، لا تجد من يسكنها.

-إفصاح المجال أمامهم للسيطرة على يهودات عربية في القدس القديمة أو مساحات يهودات أو باحة دار أو أي شيء آخر، وذلك بهدف التجارب مع مطالبهم التهودية.

-سن قانون يضمن تساهل الشرطة مع أي مخالف من المستوطنين ، وتقبله أي الشرطة في التعامل معهم.

-إدراجهم في كل مناحي الحياة السياسية والرابضية والتعليمية والاجتماعية . كقوة سياسية يحسب حسابها (ومعالجة دمجهم هذه تلقى الرضف من الأوساط المتضاربة من هذه الحكومة) . وقد حدث وان جرت الانتخابات ، واخذوا دورهم بشكل فعال.

-رصد ميزانيات لدعم المستوطنات كمكبات هائلة.

وهذا عيض من فيض توجه انتتياهر ، الذي أدى ليس فقط إلى زعيمهم ستوبا بدرجة بل هناك مبلغ من أعتمال يغطي نفقاتهم المالية السابقة.

الكنتيست وفيران وثاني وزير في الحكومة) . وهناك مجموعة متطرفة تدعى «جبهة أرض إسرائيل» تضم ١٧ عضو كنيست (بينهم ثواب المقدال) يضفون علي تنتهاه حتى لا يفلذ أي أئسحاب.

وتنتهاه يستطيع التنازل عن دعم هذه القري من اليمين المتطرف ، من أجل تمرير قرار الانسحاب في الكنيست وفي الحكومة ، إذ أن المعارضة فشرت له شبكة أمان لأي انسحاب ، وأعلنت انها لن تصوت ضد الحكومة في حالة جلب اقتراح كهذا.

لكن تنتهاه ظل متمسكا بجلوره . فهو يريد لحكومته أن تظل يمينية صرف، وأن احتاج دعم المعارضة فهذا سيكون أمر صلاح له . وهو في العلاقة مع المستوطنين ، يتعامل على اعتبار أنهم وأياه من نفس العائلة وفي نفس الخندق. فالاستيطان اليهودي في فلسطين هو هدف بعد ذاته، من أجل تحقيقه يطلع أي شمن ، بما في ذلك اشغال الحريق في هذه الأرض. لذلك ،حصر على ارضاء المستوطنين وتقديم «الهدايا» لهم مع كل تقدم في عملية المفاوضات(والتقدم يسمى في لغة اليمين الاسرائيلي: تنازلا) ولكن الهدايا لم تكن رمزية ، إنما هي بمثابة اجراءات وقوانين وأصول تضمن فرض الأمر الواقع اليهودي على المزيد والمزيد من أرض فلسطين. والأجارات التي يقدم عليها لارضائهم كثيرة، منها:

-القائمة مشروع تهويد جديد لمناطق أخرى من القدس العربية المحتلة بهدف إقامة القدس الكبرى.

ويتضمن هذا المشروع ، ليس فقط إقامة مستوطنة «هار حوصاة» (على أرض جبل

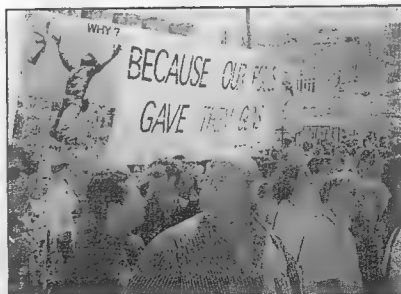
واحد) يراجعون ملفات الاستيطان الاسرائيلي في سيناء المصرية قبل تحريرها، حيث حصل مستوطنو «بيت» (المدينة الاستيطانية التي اقامتها اسرائيل آنذاك شمالي سيناء) على تعويضات مالية كبيرة.

إلا أن مجموعة من المتطرفين بينهم قروت مسجابهة اتفاقات أوسلو بالعتف . فنقلت مدينة الخليل بأيدي طهيب مستوطنات قريات أريج «باروخ غولشتاين. وتم اغتيال رئيس الحكومة، اسحق رابين. ونفذت عدة اعتداءات دموية أخرى.

ثم جاءت انتصخابات الكنيست وروثاسة الحكومة ، لتضع حدا لشعورهم بالشلل ، وتعيد لهم آمال التطور الاستيطاني. فترس الحكومة ، يتهاين تنتهاه ، هو متحيزهم. بذلوا كل جهد ممكن لأجل انتصا به . والتفروه مرآت ومسات . ومجلسي المستوطنات الذي يقودهم يعتبر «ابن العائلة» في بيت تنتهاه ودويوانه . وحتى عندما يتخذ قرارا لا يعجبهم ،مثل الانسحاب من ٨٥٪ من مدينة الخليل، يجتمع بهم ويحاول إقناعهم بأنه مرغم على تنفيذ الانسحاب. وها هو يحاول في تنفيذ انتصاها الأخر المقرر من الضفة الغربية، ويتباهى أمامهم بأنه نجح في تخفيض مطالب الفلسطينيين من ٨٠ - ٩٠٪ انسحاب إلى ١٣٪.

وقبل أن يخطو الخطوة الخامسة في التبول بهذا الانسحاب ،وليس قبل أن يفرض شروطا تعسفية جديدة ، راح يتفاوض معهم حول الشن الذي سيدفعه لهم حتى لا يعلوا على اسقاط حكومته. فهناك حزب في الائتلال الحكومي يعتبر حزبهم المباشر ، هو المقدال (الحزب الديني القومي) وله ٩ ثواب في

مظاهرات للمستوطنين في الخليل ضد تسليم الشرطة الفلسطينية





إلى أين تسير العملية التفاوضية؟

مطلوب قمة عربية.. واعتراف جماعي عربي بالدولة الفلسطينية

الأكثر ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن وفي المستقبل المتصور أيضا هو: إلى أين تسير العملية التفاوضية الحالية؟ وهل يمكن -لأية أفكار أمريكية أو غيرها- جسر الفجوة بين الحد الأعلى للعرض الإسرائيلي وبين الحد الأدنى الذي يمكن القبول به من قبلها وفلسطينيا؟

لقد أدى تشدد حكومة نتنياهو إلى اتساع هذه الفجوة... ولم يحد هناك أي تنازلات يمكن تقديمها. في اتجاه تسوية الأمر مع حكومة عقدت العزم على طي صفحة جميع الاتفاقات الانتقالية ، والتشكيك لها ورصد الاتفاق أمام أي تسوية نهائية عادلة.

وما دام الأمر كذلك ، فإن الجهد الفلسطيني يجب أن يتركز على تعزيز الجبهة الداخلية ، والبدء باتخاذ خطوات عملية ، باتجاه الإعلان عن دولة فلسطينية باعتبارها هدفا فعليا ، وليس مجرد ورقة تفاوضية ، وإعادة تعريف وتحديد مفاوضات المرحلة النهائية ، التي انتزعت منها العديد من مرتكزاتها بعد أن ألغت الحكومة الإسرائيلية جميع استحقاقاتها ، ونهاى رئيسها بأن حديث الفلسطينيين لم يمسد الآن عن كل الأرض الفلسطينية وإنما عن نسبة بسيطة منها وهذا اهم الجار يحققه.

ومهما كانت ردود فعل إسرائيل على خطوة إعلان الدولة ، وحتى لو قامت بفرض حصار عسكري شامل عليها ، أو أية إجراءات انتقامية أخرى ، فإن دولة قطي على اعتراف وتأييد ضاحل على الصعيدين العربي والدولي ، وتستند إلى تأييد جماهيري واسع ، يمكنها أن تتجس في فك الحصار بوظف أجواء محلية وعربية ودولية ضاحقة ، وورد فعل لا يمكن أن يحتملها إسرائيل لفترة طويلة.

إن هذا مثل الاعلان ، يجب أن تسبقه خطوات تحضيرية شاملة ، ولعل الدفعة لعقد قمة عربية ، يصدر عنها إعلان جماعي بصيغته وبالرعاية الفلسطينية ، ويحدد خطوات عملية في سبيل دعمها ورصد يد الصون لها ، ويخفف الوسائل والأشكال ، يمكن أن يشكل مدخلا مناسباً ، لبدء الحلقة المفرغة ، ويعمل مسار العملية التفاوضية بمسكن الانجذاب الذي يحاول أن تفرضه حكرنة نتيناهو.



ياسر عرفات

الجدول الزمني المقرر.

وعلى سبيل المثال ، فبالا لم يتم الجانب الفلسطيني بالإفا ، يهود الميثاق الوطني الفلسطيني مرة أخرى ، ويؤكد جميع أشكال التحريض ضد إسرائيل ، ويكافح الإتهاب على المستويين المحلي والإقليمي ، ويصادرة الأسلحة غير المرخصة ، وتسليم المطلوبين ، وغيرها قائمة طويلة من المطالب ، التي لا يمكن للسلطة الوطنية الفلسطينية تنفيذها ، فإن إسرائيل لم تقوم بإعادة انتشار جيشها من ١٣٢ بالمائة من مساحة الضفة ، وقد تكفى يش أقل من ذلك بكثير ، إن يتجاوز نصف هذه النسبة على أحسن تقدير. ولذا كانت هذه الأفكار الأمريكية غير قابلة للتنفيذ الكامل ، أو أنها قابلة للتنفيذ الجزئي على

جاءت الأفكار الأمريكية ، والتي ، هي من حيث المضمون والشكل مشروع مفصل ومتكامل ، وليس مجرد أفكار ، لتشكل امتداداً مطورا ، لاتفاق أوسلو ٢ واتفاق الحليل ، من جهة تكريس شروط إسرائيل الأمنية ، ولأول مرة وفق توازن واليات عملية في جدول زمني على ثلاث مراحل ، بالإضافة إلى مطالب سياسية جديدة ، من شأنها أن تؤثر في حالة تطبيقها حتى النهاية ، على مسار العملية التفاوضية ، وتسهم في زيادة عزلتها عن مرحمتها وأهدافها ، محلة بتنفيذ قرارى مجلس الأمن ٢٤٧ و٣٣٨.

وكما ورد في بيان السلطة الوطنية الفلسطينية الذي صدر بهذا الشأن بعد الاعلان عن التفكير الأمريكية ، فإن هذه الأفكار هي أقرب للصوف الاسرائيلي منها للصوف الفلسطيني ، وهذا ما أشار إليه أيضا لمرافق أمريكي كبير ، عندما قال «إن معارضة نتيناهو لهذه الأفكار تظهرها وكأنها تقدم هدفا للفلسطينيين ، لكن الحقيقة مغايرة لذلك».

وبكلمات قليلة فبالا هذه الأفكار ، تطالب الفلسطينيين بأن كامل ، مقابل ١٣٢ بالمائة من الأرض ، وتضع مجموعة من المطالب السياسية كحل محركهم السياسي ، باتجاه الإعلان عن دولة فلسطينية ذات سيادة على كامل الأرض الفلسطينية المحتلة منذ حزيران عام ١٩٦٧ ، ولقى هذه القيام بأى خطوات فلسطينية تغير مكانة الضفة والقطاع ، أو التشكيك بمكانة إسرائيل في الأمم المتحدة على الصعيد الخارجي. كما أنها تطالب بالبدء فوراً بمفاوضات الحل النهائي ، ودون أن تقوم إسرائيل بتنفيذ اتفاقات المرحلة الانتقالية ، بما في ذلك اختصار عملية إعادة الانتشار الثانية إلى أبعد مدى ، وبالتالي عملية إعادة الانتشار الثالثة ، التي تركت للجنة تاتية تبت فيها في وقت لاحق.

ولما كانت مطالبة الجانب الفلسطيني بتقديم «أمن كامل» ، تنطج بالمقابل ولاية جغرافية فلسطينية كاملة ، وهذا ما لا تؤمنه الأفكار الأمريكية ، فإن تطبيق هذه الأفكار من الناحية العملية يصبح مسألة افتراضية ، وحتى نسبة إلى ١٣٢ بالمائة من إعادة الانتشار ، قد لا يتم تنفيذها ، أو يجري اختصارها إلى ٦ بالمائة ، وذلك وفق التقييم الإسرائيلي للأمر الفلسطيني الأمني ، في كل مرحلة من مراحل التنفيذ حسب

رسالة القدس

حنا عسدة



الخطيئة الأولى لإسرائيل

سعد الطويل



معلم الدوحة في بيت لحم عقب نكبة ١٩٤٨

صدر في باريس مؤخرًا كتاب للصفي دوميك لفيال المحرر بالموند دبلوماسيك يعرض فيه النتيجة المجمع لعدد من دراسات " المؤرخين الجدد " في إسرائيل ، ومنهم يعني موريس وألي شلايم وإيلان بايه عن سذر لهم عدد من الكتب في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات ، وكذلك مؤرخون آخرون ممن سبقهم مثل سمحلا فلانان ، والتي تكشف زيف أهم الأساطير المؤسسة لإسرائيل ، وخاصة تلك التي تشبه حرب ١٩٤٨ بالمركبة بين الشباب الضميف داود وانتصاره على الحياة على بحر العاء العربي السلع والذي يملك أقوى الجيوش . كذلك ينتهي الكتاب بمناقشة بين الصفي يوسف أهازى المحرر بها أرتس مع بعض هؤلاء المؤرخين الجدد حول نتائج دراساتهم .

والمؤسف أن شيئا من نتائج هذه الدراسات المدعمة برؤاى العدو الصهيوني نفسه والتي صدر بعضها من عشر سنوات لم تصل إلينا في العالم العربي ، وذلك بفضل المواقف الحقما التي يتصمسك بها الكثيرون منا باعتبار كل ما يصدر عن إسرائيل والإسرائيليين " رجسا من عمل الشيطان " مع أن هذه الدراسات نفسها هي التي كانت وراء البرامج التلفزيوني الإسرائيلي " تيكوما " التي أثار جنون الصهاينة المتعصبين لكشفه

للجرائم التي ارتكبت - وما تزال - بحق الشعب الفلسطيني على يد الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة - سواء أكانت من العمل " الاشتراكيين " أو الليكود " اليمينيين " .

وسبب سيادة العقيدة الصهيونية بلع بعض هؤلاء المؤرخين في تناقض ذاتي يكاد يصل إلى حد الشذوولي ، فيحي موريس مثلا ، الذي أثبت في كتابه " مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧ - ١٩٤٩ " وبالأرقام أن ٧٣٪ من الفلسطينيين غادروا قراهم تحت الضغط المباشر والمخايع التي قام بها الهاجاناه جيش الدفاع الإسرائيلي فيما بعد) وعصابات شتيرن والإرجون ، وأن ٢٢٪ منهم رحلوا بسبب الحواف من بطش الإسرائيليين ، وأن ٥٠٪ فقط هم الذين رحلوا تحت تأثير الوهم الذي خلقته الدعاية العربية بأنهم سيهودون مع الجيوش العربية المنتصرة ، والذي يذكر أن الحكومة الإسرائيلية قامت بعد رحيل الفلسطينيين بتمير ٤٠٠ قرية وإزالتها بالكامل من على وجه الأرض واستولت على أراضيها ووزعتها على الكيبوتزات كما استولت على ممتلكات الفلسطينيين وحساباتهم بالبنوك ، ولكنه بعد كل ذلك يصل في كتابه إلى النتيجة أن رحيل الفلسطينيين تم " جزئيا " تحت ضغط القوى الصهيونية !

ولكن ما يعطى قليلا من الأمل أنه في مناقشة عقدت بباريس في الشهر الماضي تحت

إشراف مجلة الموند دبلوماسيك ومركز الدراسات الفلسطينية ، أخذ يتراجع عن هذا الرأي تحت ضغط مناقشيه من الفلسطينيين ومنهم الدكتور ادوارد سعيد الأستاذ الأمريكي الفلسطيني الأصل ، وإيلون بايه المؤرخ الإسرائيلي

وفي هذه المناقشة نفسها يعترف زيف سترنهيال - مع أنه يعني الترجمة - بأن المجتمع الإسرائيلي غير ليبرالي ، وشبه فاشي ، ومعاد تماما للاشتراكية ، ويصل في كتابه إلى الاعتراف بأن أعمالا تصفية كثيرة ارتكبت ضد الفلسطينيين وإن كان يعتبر أنها كانت ضرورية ، ومع ذلك فللمناقشة دفعته هو أيضا إلى التراجع عن بعض هذه الآراء .

ويؤدي هذا الاتجاه لمراجعة النفس لدى بعض المثقفين والشباب في المجتمع الإسرائيلي إلى طلب المزيد من المعلومات الحقيقية عن تأسيس الدولة ومأصاحبه من أعمال عنصرية على العرب سكان البلاد الأصليين . يقول إيلون بايه وهو أستاذ تاريخ بجامعة حيفا إن كثيرا من المدارس الثانوية في أنحاء إسرائيل تطلب منه إلقاء محاضرات عن هذه الموضوعات لتلقى الضوء على التاريخ الحقيقي للبلاد . في حين أن كتب التاريخ الرسمية التي تدرس لهم لا تذكر الفلسطينيين أصلا .

وقد نشأت هذه الاتجاهات المراجعة للتاريخ الإسرائيلي بعد هزة جرب أكتوبر سنة

٧٣: وتلتها حرب لبنان ثم الانتفاضة وما أدت إليه من فقدان الثقة بقيادة ومؤسسي إسرائيل والذين بدأت ميثرتهم بهتزاز وضور البطولة محل محلها صور أخرى يضل بعضها إلى حد الزاوية:

- فتهزرت تبى الصهيونية والمثل الأعلى " لليهودي الجديد" تبين أنه ترصيص ومصائب بالعدو المنتفصا

١- ومن جورجون المسئول الأول بالوكالة اليهودية ، ظهر أنه تقاعس عن مد يد العون إلى ضحايا الهولوكوست ، كما أنه كان يتبنى سياسة الترانستيفر (أى الترحيل القسرى) للبرع الفلسطينيين .

٢- وجعلنا ماثير اتخذت مواقف الجسود الكامل تجاه العرب والفلسطينيين (ما أدى إلى خيبة سنة ٧٣)

- وموشيه ديان كان مصابا بجنون العظمة وثر نسا .

- وحتى أبطال قضاء مثل يوسف اميلهورا الذي قتل في معركة تل ص في (١٩٢١) والأبطال التاريخيين مثل الكمايين والبعازار بن يثير الذي انتحر هو ورجاله في الماسادا منذ ألفي عام ، وحتى يشوع بن تون الذي قاد بني إسرائيل في الاستيلاء على أرض كتان من ٣٥٠٠ عام ، جميعهم أصبحوا محلا لانتقاد والتحليل بل والتسفيه في بعض الأحيان .

كذلك لعب دورا كبيرا في فقدان الثقة بالقيادة القديمة للهستادروت (اتحاد النقابات " الاشتراكي") والتي كانت على رأس الوكالة اليهودية قبل إنشاء دولة إسرائيل ، الحكم الذي أصدره القاضي هاليفي في قضية كاستنر والذي دفعه فيه بالتعاون مع النازي في الوقت الذي كان فيه مسئول الوكالة اليهودية بالجر . وقد قال شومثيل ميكونيس (زعيم الحزب الشيوعي) في اجتماع انتخابي في ١٩٥٥ : " إن الحكم ضد كاستنر هو حكم ضد الوكالة اليهودية وقضاء دولة إسرائيل وكل صلاطاتهم الذين شاركوا في مشرقة " الكوردرات " خلال الهولوكوست ، إنه حكم على أولئك الذين رفضهم حزبا على مر الستين والذين نقلوا سياسات أعداء السلام وأعداء الأمة ، أي قري الاصحالية السوداء " .

وقد رد بن جورجون على هذه الاتهامات الخطيرة بردود ضعيفة جدا معاولا تهدئة القضية وميتجديا عن الاعان التي مر بها من غائنا هذه التجربة الخ وكثيره رتب لدر عليها بالقيام بعملية خطف أدولف ايخمان من

الأرجنتين ومحاكمته في جو مسرحي دعائي) وهو الزعيم النازي الذي كان كاستنر يتفاوض مع مساعديه على مقايضة مليون يهودي في المعتقلات النازية مقابل عشرة آلاف شاحنة أمريكية ، قلما تثلت الصفقة لرفض الأمريكيان تزويد النازي بشاحنات تدعم مجهودهم الحربي اكتفى بصفقة أصغر وهي الإخراج عن حوالي ١٣٠٠ يهودي من الزخما والقادة وأقاربهم مقابل ألف دولار عن كل رأس ! ثم حكم عليه بالإعدام وبذلك غطى على القضية . وكان كاستنر نفسه قد اغتيل رميا بالرصاص في تل أبيب في ١٩٥٥ كمحاولة أولى لتفطية القضية .

والواقع أن العلاقة بين الجناح اليميني من الحركة الصهيونية وبين ألمانيا النازية والأفكار المعاصرة قديمة ، فكثير من المفكرين الصهيونيين كانوا من المعجبين بفكار تيمشه المعاصرة وكانوا يحملون بأن يكون " اليهودي الجديد" هو السريمان ، وكان حاييم وايزمان من بين هؤلاء . وكان من القريبين جدا إلى توجهات المحور ابراهيم شتيرن مؤسس عصابة شتيرن والتي خرجت من عيائها عصابة الإرجون بقيادة مناحم بيغن . وهي التي اغتالت اللورد مورين أثناء الحرب العالمية وبعد ذلك الكونت برنادوت . وكان شتيرن يذلل المحاولات لاقناع هتلر بأرسال اليهود الألمان إلى فلسطين بدلا من إبادةهم وأرسل عدة رسائل ومندوبين بهذا المعنى ولكنه قوبل بالتجاهل .

ومن نتائج هذه " الرامجة " للفكر الرسمي الإسرائيلي والأدعاء بأن إسرائيل هي واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط ، كشف الطبيعة اللاديمقراطية للدولة اليهودية بالضبط لأنها تصف نفسها بأنها يهودية أي أنها دولة ٨٠٪ فقط من السكان متجاهلة الحقوق الأساسية لحصص عدد السكان . وقد عرف القاضي هارون باراك (الذي يبرع عن النجباء " الليبرالي" في المحكمة العليا) الدولة اليهودية قائلا :

اشتبك بين مناضحي الحرب وأنصارها



" الدولة اليهودية هي إذن دولة الشعب اليهودي .. إنها الدولة التي لكل اليهود الحق في العودة إليها .. إنها دولة لغتها العبرية وأغلب أعيادها تعبر عن إعادة الإحياء القومي .. الدولة اليهودية هي دولة تبني الثقافة اليهودية والتعليم اليهودي والشعب اليهودي المحب .. والدولة اليهودية هي كذلك الدولة التي يلعب فيها القانون اليهودي دورا محمرا .. أنها الدولة التي تقوم القيم فيها على أساس قيم إسرائيل : الثورة والإراث اليهودي وقوانين الهالاخاة (الشريعة اليهودية) " .

والطبع يترتب على مثل هذا التعريف إهدار كل حقوق المواطنة لسكان إسرائيل من العرب (حرب ١٩٤٨ ومن باب أولى عرب ١٩٦٧) فعلى الرغم من الاعتراف لهم بحقوق المواطنة نظريا فإن عشرات من القبرد والحقوقات تقهقر من ممارسة هذه الحقوق (لدواعي الأمن طبعا) وعلى سبيل المثال فتنسبة ٩٣٪ من المساحة الكلية لفلسطين تعتبر اليوم ملكا لدولة إسرائيل وعلى ذلك فقير مسجوع بالبقاء عليها للحرب ، وحتى السبعة بالمائة المتبقية لاتصير لهم التصاريح اللازمة للبناء عليها إلا بشق الأنفس .

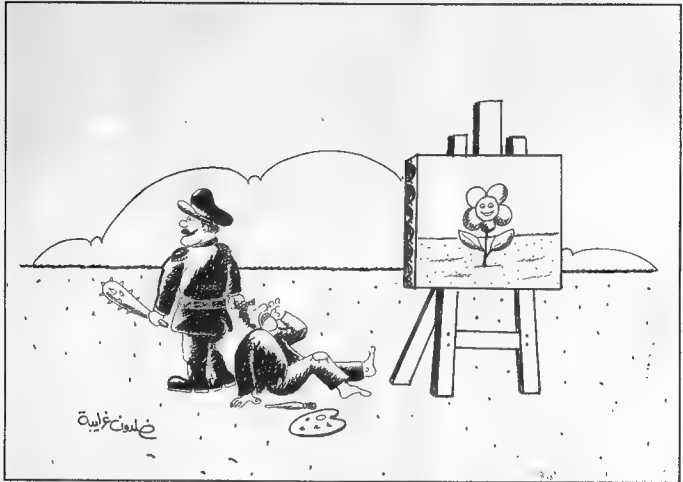
ويقترب على إعطاء هذه الأولوية لقوانين الشريعة اليهودية الانتفاص حتى من الحقوق الديمقراطية للمواطنين اليهود وبصفة خاصة النساء ، فالرجل له الحق في الزواج من أكثر من زوجة وله وحده حق الطلاق ، وملاكية العائلة من كل الزوج الخ . ولاغربة في كل ذلك عندما تعلم أن رجال الدين في إسرائيل لهم السيطرة الكاملة على كل شئون الزواج والطلاق وقيد المواليد والدفن .

خلاصة القول إن علينا أن نتابع عن قرب كل التطورات - والتشتقات - التي تطرأ على المجتمع الإسرائيلي وأن نستغلها لمصلحة قضية تحرير الشعب الفلسطيني . ولا يخفى هذا بطبيعة الحال أن هذه التناقضات هي التي تستعر الفلسطينيين ولما هي مجرد طرق مساعنة للضلال الذي يجب أن يخوضه الشعب الفلسطيني والانتفاضة التي يجب احيائها ، على العكس من سياسة السلطة الفلسطينية التي تتجهد في احتوائها بل ووقفها الأمر الذي لا يستفيد منه إلا العدو الغاصب للأرض .

* البودرات : هي المجالس اليهودية التي أنشأها النازي من زعماء اليهود في المدن المحتلة ، وكانوا الأدوات لتسليم بقية اليهود ونقلهم إلى معسكرات الاعتقال والإبادة .

في الأردن .. قانون للعقوبات يسمى

زورا قانون المطبوعات والنشر



به بعد رد قانون مجحف أصدرته الحكومة الحالية في صيف العام الماضي، وطبقته في غيبة البرلمان بذريعة أن إصداره تم بهضبة استعمال، وهو ما نقضه القضاء الأردني فأعيد العمل بقانون العام ١٩٩٣ المطبق حاليا والذي كان عند صدوره خطرة إلى الأسماء مقارنة بما كان عليه الوضع في الماضي في ظل قانون كان صتري في ظل الاحكام العرفية في العام ١٩٧٣.

وقد حاولت الحكومة التمهيد لإصدار القانون وطرحه على مجلس النواب بحملة غير موفقة لإظهار أن بعض الصحف الأسبوعية تجاوز الخطوط الحمراء الأخلاقية «للمجتمع الأردني» المحافظ، ووصل الأمر عند

في الحال، فهد أقرب إلى أن يكون قانونا للعقوبات وليس قانونا للمطبوعات والنشر. وكانت الحكومة أعدت هذا القانون في ظل سرية مطلقة، مما أثار شكوك المرصين على ما لديهم من حرية تسمية يكتلها لهم قانون المطبوعات والنشر الذي صدر في العام ١٩٩٣، والذي أعاد القضاء الأردني العمل

بعد أسابيع من التكميم والسرية والتضوية والتعمية وإضفاء طابع من الغموض على مشروع قانون المطبوعات والنشر، قامت صحيفتان أردنيتان بنشر القانون قبيل تقديمه لمجلس النواب لمناقشته ثم إقراره، وتبعتهما الصحف الأخرى حتى أصبح مشروع القانون في مستأهل الجمع، ومنذ ذلك الحين أصبح حديث الجميع وسوف يبقى كذلك إلى حين إقراره، وفي هذه الحالة فإن الصحافة الأردنية ستتحول إلى «مصحفة»، أو نجاح كل القوى المرصصة على وجود الحد الأدنى من حرية التعبير في الأردن، من في ذلك أعضاء مجلس النواب، في منع تمر هذا القانون الذي أتى أسوأ مما تخيل أكثر المتشائمين جموحا

رسالة عمان

صلاح يوسف

استخدام بعض الانتقادات التي وجهها أعضاء في البرلمان السابق يخلون جبهة العمل الإسلامي المعارضة للصحافة بحجراتها، وبخاصة الصف الاسودعي، لتبرير اصدار القانون الجديد.

ومن الطريف أن الأسباب الموجبة لاصدار القانون التي تصدرت مشروع القانون الجديد قد بدأت بالحدوث عن التطورات التقنية الواسعة التي شهدتها قطاع الصحافة والاعلام، والتي كان من أبرز نتائجها ودخول الصحافة الالكترونية بالإضافة إلى المحطات الفضائية، الأمر الذي يستدعي أن يتطور التشريع ليركب هذه التطورات ويسعى إلى تنظيمها. وما إن انتهت هذه الفترة حتى بدأت الأسباب الموجبة تتحول إلى عريضة اتهام للصحافة بأنها «أخذت تتشرقصا» و«كأن عن الجرمية والاحلال تتناهي عن القيم الدينية والاخلاقية للمجتمع الأردني» و«تقت الاساءة للآخرين من خلال الرسائل الصحفية المرفوعة والسوءة والمزينة التي تبث من داخل الأردن» كما «تجولت بعض الصحف إلى سبب مسلط على رغبة المجتمع وصيلة اعزاز لمؤسساته العامة بالإضافة إلى التناول على السلطات العامة وفي مقدمتها السلطة التشريعية والسلطة القضائية»... إلخ.

أنا أعيدتها؟

وبناء على أمر من الملك حسين قامت الحكومة بإكمال مهمة إصدار قانون للطبوعات والنشر إلى عدد من المسترلين برئاسة وزير الاعلام الدكتور عبد الله النور. وقد ضمت اللجنة المكلفة باعداد مسودة مشروع القانون عددا من المسؤولين والزمين ليس من بينهم نقيب الصحفيين سيف الشريف الذي كان له دور استشاري غير فاعل، وذلك لحسن الخط الصحفي برأس نقابة نقابة الصحفيين بالضعف وبهوت الدور واتهام الاتحازات. ورغم ذلك فإن نقيب الصحفيين قد اضطر حين رأى مشروع القانون منشورا بمواده ذات الطابع والعرفي، نسبة إلى عدد الاحكام العرفية، إلى أن يغسل يديه من المشروع موضحا أن مشروع القانون لا يختلف كثيرا عن مسودة المشروع، وأن ملاحظات النقيب وأعضاء اللجنة لم يتركها، وذلك من دون توضيح هذه الملاحظات.

لكن الأمر الأكثر أهمية هو أن الدور البارز في وضع هذا المشروع كان من نصيب المذيع العام للثورة الطبوعات والنشر، وهو شخصية تذكّر الصحفيين وغير الصحفيين بأنه قادم من عهد الاحكام العرفية، فهو صاحب فكرة عجيبة ترى أن الأردن مستهدف، لذا



الملك حسين
أمر بدخول بدخل كافة الطبوعات
الخارجية

فإن واجب الصحفيين أن يكونوا كتابين ومعتدين للرد عن حيال الوطن».

وكان قد أثار منذ مجيئه مديرا لهذه الدائرة عددا من الزوايا بعضها يندرج تحت بند المساءة والآخر تحت بند الملهمة، وذلك فضلا عن الطريقة القظة والفجة في التعامل مع قضايا في حساسية الاعلام في عصر الاتصالات والانترنت والبريد الالكتروني والكمبيوتر الصناعية التي زحمت الفضاء، والتي أشار إليها في بيان «الأسباب الموجبة لصدر قانون الطبوعات والنشر».

ولاعطاء فكرة عن المدي الذي ذهب إليه الشخص المذكور في عماراته المصايدة للطبوعات والنشر نسوق محالا عن منتهى ولرات عديدة ومعركة لصحيفة مثل المهابة لم تعرف يوما بأنها واديكالية أو مجرعية، بل عرفت على الدوام بأنها قريبة من الأردن، ومن الملك حسين في صورة خاصة، وذلك منذ كتبت تصدر في بصوت في الخمسينيات والستينيات.

ولقد تم منحها مرتين بسبب حلقات عن الحرب العربية الاسرائيلية في العام ١٩٤٨ كتبها المؤرخ الفلسطيني الدكتور ولده الحائلي، والطريف أن الدكتور الحائلي ورغم كونه فلسطينيا، كان عضوا في الوفد العربي المناوئ في مؤتمر مدريد في العام ١٩٩١، وبالتالي لا يمكن اتهامه بالعداء للأردن.

وعما كانت هذه المبدئية عن مدير دائرة الطبوعات والنشر، ضرورة لقرعة العقيلة التي طبع خلف مشروع القانون، فقد ذكرت إحدى الصحف أن بلال التل، وهذا هو اسمه، أجاب على سؤال لندوبة عن القانون بقوله

«أنا الذي وضعته».

ومن لا يرغب في تصديق التل في نسبته وضع القانون إلى نفسه فإنه سيصدق ذلك بالتأكيد حين يقرأ مشروع القانون الذي يقص بالصلاحات التي أعطاه لنفسه في القانون والتي تمتد من تسلمه طيات إصدار الصحف وحتى تدخله في تغيب رئيس التحرير عن عمله وقريره ما إذا كان تغيبه هذا تم بعذر مقبول أو غير مقبول، إذ تنص المادة ٢٨ من مشروع القانون على أن «رئيس التحرير يفقد صفته هذه في أي من الحالات التالية:

١) الاستقالة.

٢) إذا انتقض عن عمله لمدة شهرين متتاليين من دون علم بقيله المدير، أو أي مدير دائرة الطبوعات والنشر».

ولدى الكتابة عن مشروع القانون الجديد فإن الكاتب يحار حقا من أين يبدأ، لذا فإن جميع من أدلى برأيه في المشروع في الصحف بدون استثناء قد هاجمه، ولم يذكره أحد بالإيجاب بكلمة واحدة، مع ملاحظة أن عددا كبيرا من هؤلاء قد جاء إلى السفارة من القانون لأهمهم، وبعدها أن مثل هذا المشروع لا يستحق حتى المناقشة الجديدة، وذلك على الرغم من ظهوره الحقيقي على الحياة الديمقراطية التي بدأ الأردن يشهدها، وإن في صفة هذه في أي من الحالات التالية:

١) صورة متوقعة منذ العام ١٩٨٩. وعلى أي حال فإن هؤلاء الساعرين قد اعتدوا جميعا على نصرة القانون نفسه ولم يأثروا به عن عندهم. فقد تنبه بعضهم إلى أن المادة (٤٢) من تنظيم «قانون نشر أي مادة تتضمن تحقيرا أو تشهيرا أو ذما لرؤساء الدول العربية أو الاسلامية أو الشخصية أو تكرار صلات الملكية بالعدل الأخرى شرط المصالحاة بالمثل» والشككة بالطبع في أي المعاملة بالمثل، فدون يمكن أن يعينه من اعداد مواد تتخضع كل المحظورات السابق ذكرها وتوجهها إلى تلك الدول العربية الاسلامية والصديقة تحت بند المعاملة بالمثل.

وتنبه آخرون إلى أن تعريف الطبوعية قد جاء، على النحو التالي: «هي كل وسيلة دوت فيها المعاني أو الأفكار أو الكلمات بالحروف أو الأشكال أو الأرقام أو الرسومات أو الرسوم أو بالخط أو بالخط» فقد استقط التعريف من القانون السابق كلمة نشر بعد كلمة وسيلة، فانتصفتها كلمة نشر لتصبح إلى وسيلة، وذلك بدخل تحت تعريف الطبوعات والنشر والرسائل الغرامية وفاتر الحسابات في البقالات، بل وحتى مسودات المقالات التي يمكن أن يعثر عليها في سلال المهملات، فكلها ينطبق عليها

مبادئ الحرية والمسؤولية الوطنية وحقوق الانبياء وقيم الأمة العربية والإسلامية. وفي المادة (٧) يحدد القانون آداب مهنة الصحافة وأخلاقياتها، وتتضمن الدقة والتزاهة والموضوعية في العرض والتحليل والتعليق والتوازن في عرض المادة الصحفية في صورة موضوعية ومبتكاملة وغير ذلك من ذلك من كلمات وتعابير غير محددة.

غير أن المشروع يوضح محمداً عندما يريد: ففي الفقرة (ب) من المادة السادسة يقول المشروع إن حرية الصحافة تشمل «إسراح المجال للمواطنين والأحزاب والنقابات والهيئات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للصحفيين عن أفكارهم وآرائهم وإمجازاتهم في مجال نشاطاتهم المختلفة» والجمللة الأخيرة تعني أن لكل من هذه الهيئات والنقابات والأحزاب أن تشر ما يتعلق بمجال نشاطها فقط. وهو نص لا يمكن لهما قاما إلا في إطار محاولات الدولة تطبيق ما تسميه «مهنة النقابات» وعدم تسميها أي أن يطر عليها ممارسة نشاط غير مهني كأن تعلن هذه النقابات موقفاً سياسياً مثلاً، وفي هذه الحالة فإن المطبوعات عنوة من تغطية هذا النشاط لأنه ليس من النشاطات النقابية مثلاً.

وفي باب شروط الترخيص يمكن للمطلع على القانون أن يلاحظ الشروط التعجيزية التي وضعت للحصول على تراخيص لإصدار الصحف. فقد اشترط القانون ألا يقل رأسمال المطبوعة اليومية عن نصف مليون دينار مع تقديم ضمانات نقدية أو كفالة بنكية متجددة للوزير قيمتها ١٠٠ ألف دينار (الدينار يساوي ٣٢ دولار)، وذلك «لضمان ما قد يشترط على المطبوعة من غرامات أو تعويضات أو رسوم» وفرض على الصحيفة الأسبوعية رأسمال مقداره ١٥ ألف دينار مع كفالة بنكية متجددة مقداره ٥٠ ألف دينار. ولم تنص المطبوعة المتخصصة من رأس المال أو من القرامة فيقرر المشروع ألا يقل رأسمالها عن ٢٠ ألف دينار مع كفالة بنكية متجددة يبلغ مائلاً.

وفي باب تنظيم عمل الصحافة والنشر يمنع مدير دائرة المطبوعات لنفسه سلطات يصحب عليها أعلى المحاكم العسكرية لكنها ستبقى عند الفقرة (أ) من المادة (٣٤) والتي تجيز «للمدير» أن يمنع أي مطبوعة



أبواب القانون

جاء مشروع قانون المطبوعات والنشر في ثمانية أبواب هي: «التعريفات» و«حقوق الصحافة وواجباتها» و«الترخيص» و«تنظيم عمل الصحافة والنشر» و«المطبوعات» و«إجراءات التفتيش» و«العقوبات» و«أحكام عامة». ولأننا عرضنا عينة من التعريفات فيما سبق فإننا سنلاحظ حين نأتي إلى حقوق الصحافة وواجباتها أن هذا الباب تضمن مواداً أجمع كل من قرأ القانون على أنها عامة ومطابقة لمهنة الصحافة (٥) من المشروع تنص على أنه على المطبوعات احترام الحقيقة والامتناع عن نشر ما يتعارض مع

عبد السلام المجالي... رئيس الوزراء

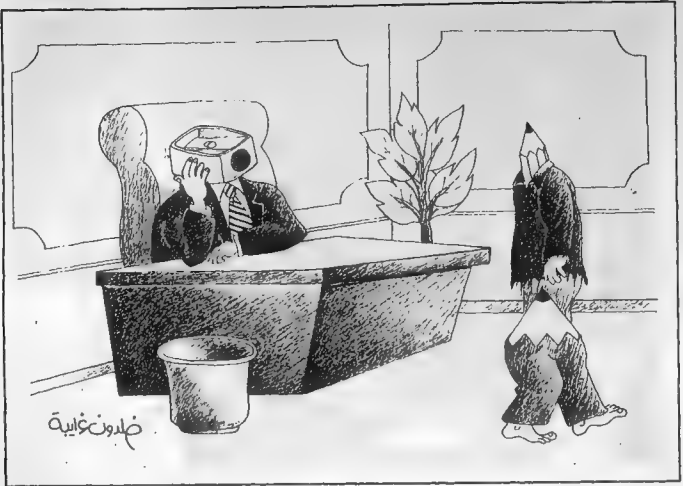


تعريف المطبوعة.

وما دمتا في باب الحديث عن التعريفات فإن من الملفت للانتباه أن تعريف الصحفي الذي كان بحاجة إلى تعديل قد بقي كما هو فالصحة هي «عضو نقابة الصحفيين المسجل في سجلهم واتخذ الصحافة مهنة له وفق أحكام هذا القانون». وبالطبع غير أن المشكلة هنا في ربط المهنة بممارسة بعضوية النقابة وعضوية النقابة لا تعطي إلا لمن عمل في الصحافة المحلية، مما يعني أن بعض كبار الصحفيين ممن عملوا لسنوات طويلة في الخارج وراكبوا خبرات أكبر من نظرائهم في الأردن محرومين من التمتع بعضوية النقابة، وعليه فهم ليسوا صحفيين كما أنه محظور عليهم تقديم أنفسهم بهذه الصفة.

والطريف أن تعريف الصحفي على هذه الصورة غير المسبوق هو الذي وضعت نقابة الصحفيين الأردنية والذي يستثمت نقباء الصحفيين في النطاق عنه وعدم تعديله وأخرهم التفتيش المجالي سيف الشريف.

وتنص المادة ١٠ من القانون على أنه «ولا يجوز لأي شخص لا ينطبق عليه تعريف الصحفي الوارد في هذا القانون ممارسة مهنة الصحافة بأي شكل من أشكالها بما في ذلك مراسلة وسائل الإعلام الخارجية أو تقديم نفسه على أنه صحفي». ويضيق القانون خطوة أخرى بتعريضه على كل من تسول له نفسه تزوير صحيفي لديه. تقول الفقرة (ب) من المادة نفسها إنه لا يجوز لأي مطبوعة أن تستخدم شخصاً لا ينطبق عليه تعريف الصحفي للعمل صحفياً».



زهاير نجية

أن مجلس النواب الحالي ضئيل من حيث تركيبه السياسية والحزبية ، فمن المعروف أن حزب جبهة العمل الإسلامي الذي يعتبر أكبر الأحزاب المعارضة في الأردن لم يشارك في الانتخابات الأخيرة وأن عدداً من الأحزاب القومية واليسارية قد حلوا حذوها مما أفسح المجال للقوى العشائرية القريبة من الحكومة والتي تفقد الوعي الديمقراطي لتتبع في الانتخابات وتسيطر بالتالي على مجلس الأمة . وقد دفعت هذه الحقيقة البعض إلى اليأس والكتابة عن مشروع القانون بوصفه قانوناً يعني أن إقراره من جانب مجلس بهذه التركيبة أمر مفروغ منه.

لقد فُتح نَشْر مواد مشروع القانون الباب أمام نقاشات حامية ، فأقره بعض أن وكنا أساساً من أركان الديمقراطية تقوض ، هو وكن حرية التعبير . أما الخطير حقاً فإن الحكومة تتوى تقديم عدد آخر من القوانين التي تحس الحريات السياسية للشعب الأردني فإذا لم تحت الحكومة في تقرير هذا المشروع ونموذله إلى قانون فإن القوانين الأخرى على الأبواب ، وإن دخلت من هذا الباب فإن الديمقراطية ستخرج من الباب نفسه.

عقوبة السجن، كما كان الأمر في قانون العام ١٩٩٣ ، ولكنه تضمن عقوبات مالية باهظة تجعل السجن أرخص بكثير . فهي تصل إلى ٥٠ ألف دينار بتكديدها الناشر إذا ارتكب إحدى المحظورات القامضة التي ذكرنا شيئاً منها فيما سبق . أما القرعة البسيطة التي تتراوح بين ألفين وثلاث آلاف دينار فستطبق على كل من أدخل إلى المملكة بطريقة غير مشروعة مطبوعة وأسهم في توزيعها .

القانون والبرلمان

منذ اليوم الأول لنشر مشروع القانون في الصحف بدأت الهيئات المختلفة من نقابات وجمعيات واتحادات وروابط في نقد المشروع والدعوة إلى الفشاله . ودعمتها في ذلك الأحزاب والتنظيمات والقوى الأخرى في مساعيها هذه ، وقد توجهت هذه القوى جميعاً بأصهارها إلى مجلس النواب حيث سيجد مناقشة المشروع ومن هناك سيحال إلى مجلس الأعيان ثم يرفع إلى الملك الذي يقره أو يعيده . وهذا يعني أن المشروع قد أصبح في المراحل النهائية للإقرار . ما يزيد الأمر خطورة

تصدر في الخارج من دخول البلاد ، وذلك على الرغم من أن الملك حسين نفسه قد أمر في خطاب القاء في الصحفيين وشبه التلفزيون الأردني أكثر من مرة بدخول كافة المطبوعات من الخارج.

وفي باب المحظور تتكرر التصميمات ويرجع الإيهام إلى مواد مشروع القانون، ولكن مرة أخرى أيضاً تتحدد التعابير إذا كانت في مجال العقوبات ، فالفقرة (أ) من المادة ٤٣ تنص من دون لبس أو إيهام على أن « تعامل المادة الصحفية المفحشة أو التضمنية معاملة المادة المؤلفة أو الأصلية فنال الكفر كفر بالنسبة لمشروع القانون الجديد ».

وتتضمن المحظورات نشر إعلانات تروج للأدوية والمستحضرات الطبية دون أن يجاز نشرها من قبل وزارة الصحة . ومرة أخرى يهمل القانون الإشارة إلى البلد الذي صنعت فيه الأدوية والمستحضرات الطبية التي يمنع نشر إعلانات عنها مما يعني إزال العقوبة على نشر إعلانات عن أدوية أمريكية الصنع إذا لم تكن مجازة من وزارة الصحة .

لكن كل ما ذكرناه سابقاً يستتبعه حين نصل إلى باب العقوبات التي لم تتضمن



الحرب

الأهلية

في

جنوب

السودان



مؤامرة امريكية صهيونية ضد العرب.. ام حركة ديمقراطية لإقامة سودان موحد وديمقراطي؟

القومية- في المشرق خاصة- والقوى
الاسلامية العربية كذلك، يرون في هذه الحرب
مؤامرة امريكية صهيونية ضد العرب
-الاسلام- تشارك فيها دول افريقية مجاورة
للسودان - اريتريا واثيوبيا واروغندا محديدا-
والتي تخضع بدورها للمخطط الامريكي
الصهيوني، زمن ثم «لجئون شرق» زعيم
الحركة الشعبية لتحرير السودان ، مجرد عميل
لامريكا واسرائيل- وأحيانا أداة لصليبية
مسيحية معادية للاسلام - يسعى لانفصال
جنوب السودان وتهديد الامن القومي العربي.
وجهة النظر الثاقبة ترى فيما يجرى بين
جنوب السودان حربا أهلية لها أسبابها
الداخلية، وأنها في جوهرها حركة ديمقراطية
تسعى لإقامة سودان موحد وديمقراطي ولا
تشكل أي تهديد لأصدقاء الأمة العربية أو

الآخرى محدثا الياس مطران» الحسامي
النهائي ، الذي وصف ما يجري في الجنوب
بأنه مؤامرة استعمارية ضد العرب أطرافها
أمريكا واسرائيل وأثيوبيا واريتريا وأوغندا .
وعكس هذا النقاش وجود وجهتي نظر
متناقضتين تماما في صفوف القوى الوطنية
العربية بالنسبة للاوضاع في السودان عامة،
وصفة خاصة بالنسبة للحرب الأهلية في
جنوب السودان.
أصحاب وجهة النظر الأولى والتي ينحاز
لها تيار يسار غالبا في صفوف القوى

في الجلسة الختامية للمؤتمر القومي العربي
الثامن الذي عقد بالقاهرة (٢٧، ٣٠ أبريل
١٩٩٨)، وأثناء مناقشة مشروع البيان
الختامي (بيان إلى الأمة) لفت نظري نقاش
حاد حول فقرة في مشروع البيان الختامي
تتعلق بالحرب الدائرة في جنوب السودان،
وتقول نصا .. «ويرى المؤتمر .. في التحركات
الامريكية الصهيونية في جنوب السودان
وأفريقيا خطرا جسيما على الأمن القومي
العربي» ،ولفت نظري أكثر أطراف الحوار فقد
اعترض بشدة على هذه الفقرة- طحسني
شمراني- مدير مركز البحوث العربية
للدراسات والتوثيق والنشر، وأحد المحجرات
المصريين المبدعين في شؤون السودان والشئون
الافريقية ، وتدخل إلى جانبه وعبد الله
صبيح السبهي السوداني. على الضفة

حسن عبد الرزاق



التفاني.. الانتصار على وحدة السودان

الطهيبة إلى واحد من أقدس بلدان القارة الأفريقية. ويكنى كمؤشر وأحد لهذا التدهور الفادح أن نذكر أن الجيش السوداني كان يساري أكثر من ثلاثة دولارات صبيحة الاستقلال (١٩٥٦)، وقد أصبح الدولار الواحد يساوي حالياً ١٨٠٠ جنيه سوداني. وقد أصدرت الأمم المتحدة منذ أسابيع نداء لتقديم مساعدات إنسانية طارئة للسودان. خلال عام ١٩٩٨ يبلغ ١٠٩٤٤ مليون. وجاء في النداء أن استمرار الحرب واتساع نطاق الخلف في الجنوب يهددان بتزوح مئات الآلاف من المواطنين من ديارهم ويعرضان المجتمعات المتأثرة بانتشار الأوبئة والجوع. وأكدت الأمم المتحدة أن أكثر من ٤ ملايين سوداني يتأثرون بالحرب والجفاف. وأنه يوجد حالياً ١٣٦ ألف لاجئ ينتشرون في ٢٥ معسكراً في السودان.

جاء أن الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامه «جون قرنق» تختلف جذرياً عن كافة الحركات المسلحة التي قامت في جنوب السودان، وقد غيرت من مسار النضال في الجنوب الذي بدأ مع حركة (أنانيا) الأولى وهذه الحركة الانفصال، ليصبح نضالاً ووحيداً، بمعنى فرصة السودان «على أسس محترمة متعددة الأعراق»، وتشمل في طياتها جميع السودانيين شماليين وجنوبيين، ذوي الأصول العربية والأصول الإفريقية، المسلمين والمسيحيين وأصحاب الديانات الأخرى.

ويتنحى د. «جون قرنق» إلى نزع «دينكا» بوهي نخبة مثقفة وأكثر تعليماً داخل قبيلة الدينكا، وأكثر ثراءً أيضاً، وأغلبهم من المسيحيين، ولا يشكلون أكثر

السودان، وهي أول حركة في تاريخ الجنوب لا ترفع شعار الانفصال، وإنما ترفع شعار: «بناء السودان موحد جديد يحقق العدالة والمساواة والديمقراطية لكل السودانيين». جاء إذا كان هناك توحد في الجنوب في مواجهة النظام التي حاق بها في ظل الأنظمة الشمالية، فلا يمكن إلغاء وجود عوامل تنافس قبلي وسياسي واجتماعي في الساحة السياسية لجنوب السودان، تستند إلى وجود تنوع كبير قبلي وعرقي وديني وثقافي في الجنوب.

فهناك قبيلة «الغوسا» شرق النهر، وقبائل «الزائدي» و«المروي» و«الفرييت» غرب النهر، والقبائل النيلية الكبرى، وأهمها وأكبرها قبيلة «الدينكا» التي تشكل وحدها نصف السكان في الجنوب، وقبيلة «النوير» وقبيلة «الشلك» والتناقضات بين هذه القبائل واسعة وكبيرة.

حرب أهلية

جاء إن أسرار الأنظمة الشمالية المختلفة التي حكمت السودان من الحسروط على استمرار المظالم في الجنوب ورفض الاستجابة للمطالب بالمساواة والديمقراطية والمشاركة الحقيقية في السلطة والتوزيع العادل للثروة بين الجنوب والشمال، وبالتالي استمرار الحرب الأهلية طوال ٣١ عاماً منها ١٥ عاماً متصلة منذ عام ١٩٨٣ وحتى الآن، كلقت الشعب السوداني ما لا يطاق.. فقد فقد خلال هذه الحرب أكثر من مليوني نسمة، واقتلع فيها وهدر أكثر من أربعة ملايين نسمة، وتكلفت الحرب -حتى الآن- أكثر من ثلاثين مليار دولار، وتحمل السودان الغنى أصلاً بشرواته

للأمن القومي العربي. وأنه من الخطأ أن تسقط على أية ظاهرة لا يلقاها البعض - أو لا يفهمها - الاتهام الجائر بالمؤامرة الصهيونية الأمريكية.

وقد يكون مفيداً لمسح هذا الجبال الماسك ببعض الحقائق التاريخية والجغرافية والسياسية التي تفسر ما يجري اليوم في السودان، وفي الجنوب خاصة.

تعددية .. ومظالم تاريخية

جاء فهناك تباين اثني (عرقي) وديني وثقافي وتاريخي بين الشمال والجنوب، وهناك مظالم تاريخية عالت سكان جنوب السودان لم تكن وليدة فترة ما بعد الاستقلال فحسب، بل بدأت مع صراع الانبساطيات في نهاية القرن الثامن عشر للسيطرة على منابع النيل، وتعمزت خلال فترة الاستعمار البريطاني وصدور قانون المناطق المغلقة عام ١٩٣٦.

واستمرت هذه المظالم وتعمقت بعد الاستقلال حيث تعرض سكان السودان-جنوب خط العرض الذي يمر بمنطقة البحيرات الاستوائية وحتى حدود السودان الجنوبية- للظلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والمخضوع للهيمنة من الشمال والسلطة المركزية في الخرطوم.

ولذلك لم يكن صدفة استمرار الحرب الأهلية لما يزيد عن ٣١ عاماً منذ الاستقلال الذي لا يتجاوز عمر ٤٧ عاماً، وقيام حركات مسلحة مثل حركة (أنانيا) الأولى، ثم حركة «(أنانيا) الثانية بزعامه جوزيف لاجو» التي وجدت ٣ أهداف واضحة.

- ١- تحقيق ذاتية الجنوبيين ومساواتهم في الحقوق المدنية والوظيفية.
- ٢- إعطاء الجنوبيين قدراً «مستحقاً» من الحكم الذاتي، ولو في إطار فيدرالي.
- ٣- وضع برنامج واضح للملاحق لتعسيف الجنوب اقتصادياً واجتماعياً.

وفي حالة استحالة تحقيق هذه الأهداف، فالحل هو الانفصال.

وقد توقفت الحرب الأهلية في الجنوب بعد توقيع جعفر نمري لاتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢، وشارك زعيمها «جوزيف لاجو» في التمثيل السياسي في السودان الموحد، وأصبح النائب الثاني لرئيس الجمهورية.

ولكن عدم تنفيذ نمري لاتفاقية أديس أبابا وتكرسه منها، ثم الغائه الفعلي لهذه الاتفاقية، وفرضه ما يسمى بقوانين الشريعة (الإسلامية) أدى إلى انفجار الحرب الأهلية (الحالية) والتي بدأت عام ١٩٨٣ بقيادة «جون قرنق» زعيم «الحركة الشعبية لتحرير

من ٧٠٪ من قبائل الدنكا.

وقد بدأت الحركة الشعبية عام ١٩٨٣ عقب الغاء بحرية انتخابية أديس أبابا وأصدار القوانين المسماة قوانين الشريعة. بشمسرد الكنيسة ١٠٥ التي يقودها اللواء «كارينو كوانين» -وهي من قبائل الدنكا في بحر الغزال- ثم التحقت به الكتائب ٦، ٧، ١٠، والتي كانت أصلاً ضمن قوات أنانيا (٢) بقيادة «جوزيف لاجو» وتم استجباؤها في الجيش السوداني بعد اتفاق أديس أبابا. وتزعم «فرقة» الحركة الشعبية وواصل قيادتها على أسس فكرية واضحة. دعواته للوحدة والتعددية تستند إلى حقائق ثابتة في الواقع السوداني.

-منها ما أسماه التعددية الأولى أو التعددية الناصرية والتي تشمل في آن حضارة السودان تبدأ بحضارة النوبة مروراً بالحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية، والحكم المصري التركي، والحكم المصري الإنجليزي، انتهاءً بالاستقلال. ومنها التعددية المحاصرة والتي تشمل الاثنية (العرقية) والقبلية، والتعددية الدينية والتعددية الثقافية. وقد برز في السنوات الأخيرة تياران داخل الحركة الشعبية

تبار انفصالي عبر عنه اشتقاق مجموعة الناصر بزعامة د. «رياح مشار» وينتمي إلى قبيلة «النوير» ود. «لام أكول» وينتمي إلى «الشلوك».

وتبار «مجموعة تويت» أو ما تعارف عليه باسم الفصيل الرئيسي أو الحركة الأم، ويقوده «جون فرقة» والتي يدافع عن وحدة كل أراضي السودان بصورها الحالية، كما نعت عليه «سانفستو» الحركة الشعبية الصادر في السنة الأولى لاعتلائها.

وقد انشق «رياح مشار» لأم أكول، عام ١٩٩١ عن الحركة الشعبية لتحرير السودان رافعين شعار الانفصال في مواجهة شعار «سودان موحد على أسس تعددية». وطرح الحركة الشعبية في مواجهة الانفصاليين شعار «حق تقرير المصير» كقاسم مشترك للتضامن في إطار الجنوب، حتى لا يتغير الصراع بين الجنوبيين أنفسهم بصورة تصب في مصلحة النظام الحاكم في الخرطوم (نظام البشير الترابي).

معارضة مسلحة

بحسب تحولت الحركة الشعبية لتحرير السودان من حركة جنوبية (وحدوية) في الأساس إلى جزء أو طليعة حركة معارضة مسلحة تضم أحزاباً وشخصيات وقبائل عسكرية من كافة مناطق السودان.



جون فرقة. وحدة السودان والالتزام العربي

فمنذب انقلاب «البشير الترابي» واستيلاء الجبهة القومية الإسلامية على الحكم في يونيو ١٩٨٩، تكون «التجمع الوطني الديمقراطي» -أكتوبر ١٩٨٩- ليضم الأحزاب السودانية الرئيسية حزب الأمة بزعامة «صافق المهدي» والحزب الوطني الديمقراطي بزعامة محمد عثمان الميرغني -رما الحزبان اللذان تداولوا السلطة فيما بين الانقلابات العسكرية- والحزب الشيوعي السوداني بزعامة «محمد إبراهيم نقي» وعدد من الأحزاب الجنوبية والشخصيات الوطنية المعارضة، والقيادة الشرعية للقوات المسلحة. وقد انضمت الحركة الشعبية إلى «التجمع الوطني الديمقراطي» وواصلت عملياتها العسكرية كالفرة الرئيسية للمعارضة الوطنية المسلحة، وإلى جانبها قوات مسلحة تابعة للحزب الأمة، وقوات مسلحة تابعة للحزب الوطني الديمقراطي، وقوات القيادة الشرعية للقوات المسلحة السودانية، وقوات مؤتمر «البحر» و«جمع جبال النوبة» (والنقشاني) مطروحان تنمويًا، «بقرات التحالف بزعامة الصمد عبد العزيز خال» في شرق السودان (ويتمتع الاقتصاد السوداني على المنطقة الشرقية بنصيب ٥٠٪، فهناك الميناء الرئيسي والطريق الجوي بين بورتسودان والخرطوم)، وتنشط قوى المعارضة المسلحة -بدرجات متفاوتة- في الجنوب والشرق والغرب والوسط والشمال.

والهدف سودان جديد ديمقراطي تعددي يحفظ حقوق المواطنة ويضمن العدالة والمساواة في السلطة والثروة لكل مواطنيه.

تتأقضاات الخرطوم

يضم موقف الحكم القائم في الخرطوم «البشير الترابي» بالتناقض. ففي الوقت الذي يشن حملة إعلامية وسياسية ضد فرقة والحركة الشعبية والتجمع الوطني

الديمقراطي، ويتهم فرقة بالانفصالية -رغم طرحه الودي- يوقع في أبريل ١٩٩٧ اتفاق «سلام» مع المجموعات الانفصالية التي انشقت على فرقة والحركة الشعبية وطالبت بالانفصال بزعامة (لام أكول ورياح مشار).

وفي الوقت الذي يدين فيه شعار حق تقرير المصير الذي رفعه فرقة في مواجهة شعار الانفصال الذي طرحه الشنشون، يوقع في ١١ نوفمبر ١٩٩٧ على مبادئ المفاوضات التي طرحتها «الإيجاد» الهيئة الحكومية للتعمية ومكافسة الجفاف» وتضم «جيموتي» -إريشيا- «السويبا» -كينيا- السودان -أوغندا- «السومرا» -والتي تنص على إجراء استفتاء على حق تقرير المصير في جنوب السودان، والاعتراف بالسودان كبديل متعدد الأعراق والديانات والثقافات.

وهو في العصور الجديدة ليقوض كل ما يدع عليه برفقه استثناء الجنوب من تطبيق ما يسمى بقوانين الشريعة والإسلامية، وعدم النص صراحة على حرية قيام الأحزاب، وهو الأمر الذي دفع ٦٠ عضواً في البرلمان بزعامة «صمويل أوي» نائب رئيس الوزراء، إلى العهد الديمقراطي السابق للتقدم بذكره طالب بالمحافظة على خصوصية جنوب السودان، وسحب عيصارة «الشريعة الإسلامية» واستبدالها بعبارة «الشريعة»، وأن يكون أحد نواب رئيس الجمهورية من الجنوب، ولتث الحشاقب الزارية لجنوبيين على أن يكون من بينها وزاران سياديتان (مثل الخارجية والداخلية والعدل والمال والأعلام).

ثم يعود مرة أخرى في مؤتمر الإيجاد الأخير بتبرير بالموافقة على إجراء استفتاء حول حق تقرير المصير.

ورغم وضوح هذه الحقائق والتي تؤكد أن ما يجري في السودان حرباً أهلية تتحمل مسؤوليتها السلطة «الشمالية» في الخرطوم خاصة سلطة بحرية التي الفت اتفاقية أديس أبابا، وفيرضت على السودان ما يسمى بقوانين الشريعة الإسلامية، وبلغت في الترابي، التي دفعت كل الفرق الديمقراطية في الشمال والجنوب والشرق والغرب والوسط للاتحاق بهذه الحرب. فهناك ثلاثة تنازلات أو قضايا ملتبسة تحتاج إلى توضيح.

الانصرار على الحرب .. لماذا؟

التضيق الأولى: تتعلق برفض «التجمع الوطني الديمقراطي» بكل أحزابه وفصائله أي محاولة للصالح بينه وبين النظام القائم والانصرار على استمرار الحرب.

ومتلعل «التجمع» في هذا الأمر واضح. فالسلطة القائمة (سلطة الجبهة القومية الإسلامية) أغلقت الباب طوال السنوات الماضية، وحتى الآن أمام إمكانية التفاوض بالديمقراطية. فبالإضافة إلى إصرارها على نظام الحزب الواحد، وسيطرتها المطلقة على

الحركة الشعبية وتوجه جديداً للاتصال بالجنوب.

وقد تبرر «جون قرتق» هذا الطرح المجافى بأنه متناورة تفاوضية أو موقف تفاوضي تكتيكي، قصد به مواجهة رفض حكومة الجبهة الأساسية فصل الدين عن الدولة وأخراج حكومة الخرطوم التي وقعت اتفاق سلام مع الانفصاليين عن الحركة الشعبية المطالبين بتشميس السودان، مع تأكيد أن الموقف البدئي للحركة والخيال الأساسي هو «سودان موحد من دون تمييز أو عنصرية».

وما يؤكد طبيعة المناورة التكتيكية لهذا الطرح، الخريطة التي تسديها وفد الحركة الشعبية للدولة الكونغرفالية، فلم تقتصر على الاقاليم الجنوبية التقليدية - حتى لا يبدو الأمر وكأنه مغالاة بالانفصال - وإنما ضمت أيضاً مناطق كل إقليم جيبال النوبة، وكل إقليم جنوب دارفور وجنوب كردفان، وكل منطقة جنوب النيل الأزرق، وسهل الكنانة الجنوبي حتى مدينتي الروصيرص والدامزين، والمنطقة جنوب كوستي حتى مدينة الجبلين، أي أن الدولة الجنوبية في هذه الكونغرفالية تسطر على مصادر مياه النيل، وكل مناطق الزراعة الآلية والشارع الكبرى الزراعية ومشاريع إنتاج الكسيرا (٧٠٪ من طاقة السودان الكهربائي)، وحقول مصروفة جاهزة لإنتاج النفط، ومناطق إنتاج النحاس، ومراعي جنوب دارفور وجنوب كردفان.

القضية العاشقة: تدور حول موقف قرتق من عروبة السودان والوحدة العربية. وقد دارت نقاشات طويلة حول هذا الموضوع خلال زيارة قرتق للقاهرة في نوفمبر من العام الماضي، سواء في لقاءاته مع الأحزاب الوحدوية - مثل حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي - أو في الندوات التي عقدها أو خلال الاحاديث التي أدلى بها للصحافة المصرية. وقد أكد قرتق بصورة حاسمة التزامه الخالص بوحدة أراضي السودان، والتزامه بالارتباط العربي للسودان، والدور الذي يمكن أن يقوم به السودان الموحد التعددي الديمقراطي في البعق الوثيق بين الأمن القومي العربي، والأمن القومي الإفريقي.

وأثن أن التزامه بهذا الموقف الصحيح يقتضي أن يكون هناك موقف عربي مساعد للديمقراطية والتعددية والفصل بين الدين والدولة في السودان.. شريف متحاز لشعب السودان كله، بكل مكوناته العربية والنوبية والثقافية والجفرافية.

وقد فضح هذه الممارسات واقعتان. الأولى: المفارقة التناسية خلال العام الماضي التي قامت بها الجهات احتجاجاً على التجنيد الإجباري لابنتائهن، وتصدى قوات الأمن لها وضرب النساء وركلهن في الطريق العام والقبض على ٢٧ منهن وتقيدهن لحامسة ميدانية عاجلة قبضت بغيرهن ٢٥ ألف جنيه سوداني وبعده ٦ محاضرات عشر جلسات، علماً وأحدة ٤٠ جلسة لأنها كانت ترتدي بظلم.

الثانية: وفاة ما بين ٦٠ و١٢٩ من الطلاب المجندين في أبريل الماضي اثر احتجاجهم على رفض السلطات السماح لهم بقضاء عطلة الصيف مع ذويهم واطلاق السلطات النار عليهم ومحاولة الهروب وغرق ٥٥ منهم حاولوا الهروب عن طريق النهر.

ولم يعد أمام قوى المعارضة الوطنية إلا اللجوء إلى السلاح، بهدف تهمة الأجراء للانفصالية الشعبية لاسقاط النظام القائم إلى يشكل خطراً حقيقياً على وحدة السودان.. وإنهاء الحرب الأهلية، وإقامة لا مركزية حقيقية تنتهي عبرها هيمنة المركز على الاقاليم، وتوزيع السلطة والثروة توزيعاً عادلاً، وحمل قيام أحزاب سياسية على أساس ديني أو عرقي، والاحتكام للشعب في حل رقابة الهيمنة أو دولة، وتفكيك كل مؤسسات التجمع والهيمنة ومحاسبة كل من اتفرق جرماً في حق الشعب والمواطنين خاصة جرائم الحرب.

القضية الثانية: قضية الكونغرفالية التي طرحها «جون قرتق» خلال المفاوضات مع حكومة البشير تحت رعاية «الإيجاد» في نيروبي في نوفمبر الماضي، والتي أثارَت ضجة هائلة باعتبارها تراجعاً في موقف

نوبى... الغاء اتفاقية أدس لها



مؤسسات الحكم، وانتهاكها الواضح للحريات العامة وحقوق الإنسان، وهو ما أكدته لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في قراراتها وأجزها منذ أسابيع حيث صبرت عن قلقها للانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان في السودان مشيرة إلى وعمليات تزوج تسرية للأفراد - اعتقالات دون محاكمة - تهليل - الاتجار بالأطفال وبيعهم - المذابح الجماعية القمعية... فقد أعلن الفريق «عمر البشير» على الملأ رفضه لمشاركة التجمع الوطني الديمقراطي في مفاوضات نيروبي مع الحركة الشعبية لتحرير السودان وقال أنه لا يفاوض إلا من يرفع السلاح، وأن نظامه جاء إلى الحكم بالقوة، وأن من يريدون التغيير فعلوهم استخدام القوة».

ويشرح قادة التجمع والحركة الشعبية الأسباب التي جعلتهم يستبعدون الأسلوب التقليدي للتغيير في السودان أي الانقلاب العسكري والانفصالية الشعبية.

نظام «البشير» - التبراي - هو أول انقلاب عسكري ينتج على نحو أوضح من سابقيه أبديولوبيا. ومن ثم فقد عمل على إخماد جيش وعقائدي، ووجه ضربة قاتلة للجيش الوطني السوداني عن طريق تنحبه كل العناصر الوطنية فيه، وتحمله إلى جيش خاص للهيئة القومية للأسلامي.

وقام بنفس الشيء على مستوى أجهزة الدولة، فنحس كل أجهزة الدولة الحديثة واستبدلها بأجهزة حزبية تخضع كل مقدرات البلاد لمصالح الحزب الحاكم وأعضائه. وعلى مستوى المنظمات الجماهيرية التي لعبت دائماً دوراً رئيسياً في الانتفاضة للشعبية، قام بتصفية مستمرة للقيادات النقابية والسياسية المؤهلة لقيادة انتفاضة شعبية، وقام باختراقات أمنية واسعة لصرف المواطنين عامة.

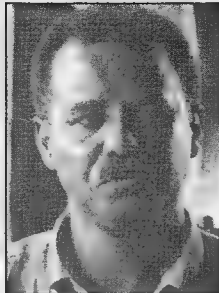
ولعل ممارسات الحكم مع الطلاب تقدم نموذجاً لتعامله مع القوى المحتملة للانتفاضة. فبعد فشله في السيطرة على الحركة الطلابية، وبهجة الحرب الأهلية، أصدر الفريق عمر البشير في يونيو ١٩٩٧ مرسوماً يصير طلاب شهادة إتمام الدراسة الثانوية على أداء الخدمة العسكرية الإلزامية كشرط مسبق للقبول بالجامعات.

وتلى صدور القرار انتشار حملات في العاصمة للقبض على الشباب المطلوبين وإرسالهم إلى معسكرات التدريب، حيث يرحدون منها مباشرة إلى ميادين القتال. وفي كثير من الأحيان لا يتاح الفرصة أمام الشباب المجند لاختطاف ذويهم بالقبض عليه وتجنيد، بل إن بعضهم لاقى حتفه في العمليات العسكرية دون أن تعرف أسرته بمر اختفائه.

الصراع الاثيوبي الاريتري



زيناوي



افوركي

تناقض الاصدقاء .. وتوافق المتصارعين

بعيده السنوي مفاجرا بتدريبات متقدمة امتدت لعشرة آلاف ساعة بدون خسائر ، يسارع لضرب مواقع عسكرية تجسسية لاثيوبيا في « زالاامبيسا » وأدهجرات ومحاولة قطع الطريق الرئيسي لأديس أبابا إلى أسمرة .

«ولمقت النظر هنا أيضا مسارعة الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها من الدول الغربية أساسا إلى مطالبة رعاياهم بالرحيل عن أسمرة بوجه خاص بشكل حاشد يعطى إشارة إلى توقع الهجوم الاثيوبي الواسع ، أو في رأي البعض- تشجيع اثيوبيا على القيام بالهزيمة التأديبية لاريتريا « المتعجرفة » .. وأعقب ذلك بالتالي .. وتأكيد له- بداية هروب بشسري واسع من المدن الاريتيرية والاثيوبية على السواء ، بل وبدء محاصرة مصالح نصف مليون اريتري في اثيوبيا ، مقابل ما ترد عن قلق مائة ألف اثيوبي في اريتريا رغم نفي الطريق لاجراءات متعددة في هذا الصدد . ولا شك أن العلاقات الاجتماعية الواسعة بين الشعبين ، خاصة مع صداقة النظامين السابقين واشتركا القيادين في الاصول التجريبية يهدد بحدوث حلات تطهير عرقي كما نسمع عن « شومبي » في مناطق أخرى حتى « أوروميا » .. لقد بدت المفاجأة للعالم إزاء أن هذه

المجمل للصوت الذي تحول إلى هجوم جوي اثيوبي مفاجئ على مطارات « أسمرة » ومحاولة تدمير بنيتها العسكرية الجوية الأساسية ، مما جعل الرد الاريتري يتسم بنفس العنف على مناطق تكتيف القوة العسكرية الاثيوبية القريبة من اريتريا (مع احتلال قضات أرضية أوسع في « يادى وماكيلى » .. الخ .

تطورت أهداف القتال المحدودي أيضا من مجرد السيطرة على مملكت يادى المتنازع عليه إلى شعور لدى الاريتريين بأن اثيوبيا تنهجه بسرعة للقفز من أكثر من موقع حدودي في جنوبها (خاصة بين جماعات العفر) لتتوحد منطقة عصب بالقوة العسكرية بما بدأ محاولة لعزل المينا وقضله لصالح اثيوبيا باعتباره المنفذ القريب لها على البحر الأحمر بعد أزمت استخدامها المينا - مصوع وعصب معا إزاء الاجراءات الاريترية التي تبدل لها متعنتة .

وهذه النقلة الاستراتيجية للقتال جعلت الطيران الاريتري الذي كان يحتفل قريبا

فجأة .. احتلدمت المصارك في مواقع بالقدر الأفريقي لم تكن مرشحة بحال لهذا التطور المفاجئ . انتقل الصراع في هذه المنطقة نقلة نوعية من الصراع العرقي والقبلي والديني إلى صراع دول وطنية ذات خطط واستراتيجيات قومية مثل « اثيوبيا واريتريا » لتتقل بذلك الصراعات في افريقيا إلى ما يقرب من الصراع الذي شهده العالم في نفس الفترة تقريبا بين دولتين كبيرتين أخريين كالفند وباكستان في آسيا .

مفاجآت ذات أبعاد

ولا شك أن المفاجأة كانت كبيرة بالفعل ، وبدون عودة لتفاصيل تناقضاتها مختلف المصادر بين الأسبوع الثاني من مايو ومثله في يونيو ١٩٩٨ ، يمكن للمراقب أن يسجل الوقائع الكبيرة الدالة الأتية إشارة إلى حجم المفاجأة :

« فمن تعديلات محدودة في منطقة حدودية مثل « يادى » جنوب غرب اريتريا سواء أوردتها اثيوبيا تحتها في خرائط جديدة عام ١٩٩٧ أعقبها تسلل للسيطرة على إدارة المنطقة كما تقول المصادر الاريترية . أو تسلل القوات الاريترية المفاجئ بقوات عسكرية إلى منطقة مختلف عليها كما تقول المصادر الاثيوبية ، فان ذلك لم يكن يؤدي إلى هذا

على شعراوى



متطوعون يستعملون للفرجة ليهان القتال

الشيعي في ميكنو وأديس أبابا في نفس الوقت، وهش الكشيرون مؤخرًا من تقدير الاستثمارات وتسييرات المؤسسات المالية الدولية لاثيوبيا بما زاد عن مليار دولار في وقت لا تتمتع فيه دول القارة جميعًا بمثل هذا التخصص، كما أن شركات إسرائيلية كبيرة تستثمر الكثير في مجال الاتصالات والطاقة وقطع الغيار العسكرية.. إلخ.

هذه الطاقة الكامنة الكبيرة لاثيوبيا لا تستطيع أن تبقى محاصرة بعيدًا عن المتألق البحرية، التي تقع تحت حكم دولة محدودة الامكانيات مثل اريتريا بسبب «صداقة قديمة» بين فئات قبلية مثل التيجري ووزعائهما في أديس أبابا وأسمره، ولابد أن ترى النخب البرجوازية الاثيوبية الأخذة في الصمود في عصر سقوط الطبقة الوسطى، وأيا آخر في هذا الوضع، ولابد أن يشغلها التفكير العميق في اختراق «الحائط الصد».. الجنوب اريتري الممتد على ساحل البحر الأحمر مانعًا هذا الصلاق من طريقه إلى ميناء غضب على الأقل - أقصى الجنوب - بينما المراقب العسكرية الاثيوبية على حدودها على بعد بضعة مئات من الكيلو مترات، أن حق اريتريا جنوبا للوصول إلى البحر الأحمر قريب باب المنفذ يشكل حلما اثيوبيًا البرجوازية والعسكرية على السواء، بل وللوقى المستقبلية من كل ذلك.

لنا تقف الوظيفية الارترية الصاعدة بدورها، والمختصة بجيش المقاتلين الذين هم جيش مستعمر القوى، والسعيدة بقرعها وسط هذا الخضم من المصالح المتصاعدة أملة أن يكون ذلك هو الجذاب للاستثمارات والمساعدات، الأوروبية منها والأجنبية والاسرائيلية والصربية على السواء، هذه

والتيجري على الإمساك بصوليها قيادة الوحدة الوظيفية، ويجري تفسير انعكاس ذلك بأن تراخي الرئيس زيناو مع جناح التيجري اريتري بسبب زعامته القديمة لحركة التحرير المشتركة بسبب نفوقا لا يتحسب للمعسكر الجدد طرفا مناسيا في أديس أبابا نفسها، يوم ثم يجب ودع جناح أسمره هذا الذي يبدو ذا نفوذ في أديس أبابا.

ويبدو أن الجناح اريتري نفسه لم يكن أقل تأملًا لهذه المسألة، حيث ثمة رغبة في ألا تؤدي ضرورة وجود نظام الحزب الواحد «الجهة الشعبية للديمقراطية والمعالجة» إلى تفرد التيجريين بالسلطة أو اقامة التحالفات على أساس الوحدة العرقية في وقت يضرب ذلك بمصالح وطنية، ومعنى ذلك أن مسألة الوحدة الوظيفية.. ومن ثم الاندفاع الوطني في القتال.. أصبحت عاملا جديدا في الصراع الثنائي بينما استعملت في الأصل تحقيق الاستقرار لكل على حدة.

ومع تصاعد الاحداث وغموضها في نفس الوقت يبدو تصارع الارادات السياسية والمصالح الاستراتيجية كاشفا لمخاطر أكبر تؤدي فضلا إلى تمسيق الصراع لا تهدئته بالوساطات الجارية، إن حجم ووزن اثيويا في القارة لا تقطعه عين رغم أنها من أقرق الدول الافريقية وأقلها في الامكانيات، لكنها تملك نخبة طبقية وتقنية ذات تراث يعتز به كل الافريقيين، كما يشتمل في التجارة والادارة والعسكرية والديبلوماسية، لذلك كانت موضع اهتمام واستثمار أيضا من قبل الأمريكيين والاسرائيليين ثم السوفيت كما كانت موضع تقدير عهد التنصير، وكذا كل البرجوازيين الافارقة، وقد اهتم بها الأمريكيون والاسرائيليون مرة أخرى بعد سقوط النظام

التطورات الكبيرة تشير إلى أبعد من ظهورها الحدودية أوائل مايو ١٩٩٨ حيث كانت جان مشتركة تجتمع في البلدين حول مسائل الحدود، وقيل إن بعضها كان على مستوى وادري، كما ظل الاعلام اريتري هادئا حتى بعد ثورة الاعلام الاثيوبي لما بعد منتصف مايو.. وفي هذه الاثناء كان كوفي عنان أمين عام الأمم المتحدة مارا بالبلدين في الاسبوع الثاني من مايو.. دون إشارة لهذا الموضوع. كما كان الرئيس ليهاس افورقي في السعدية على رأس وفد وادري كبير تأكيدا لملاقات حميمة دون اشارات أيضا في هذا المجال. وفي الاثناء أيضا لم تتوقف هجمات السودان الاعلامية على اريتريا لتساعد دعمها للبعراضة في المناطق الشمالية مع تخفيف الهجوم على اثيويا التي بردت علاقاتها نسبيا مع جبرق. كما لم تتوقف المعارك القبلية في الصومال في اشارات إلى الدور الاثيوبي الفاعل هناك لتأكيد حضورها الخاص على الساحة الصومالية

أسباب تقليدية .. لتوايا أبعد

هكذا نرى أن الأسباب التي تتعدد حتى الآن لتفسير تغير هذا الصراع، لا تبدو أكثر من أسبابا تقليدية لتوترات عادية بين عدد كبير من الدول لا تصل بها إلى التفسير المتبادل، وكانت يمكن أن تؤدي إلى الفشور أو الصريح في البنى الاتصالية لا التوسعية تدريجيا، ولكنها لا تهمل مثل هذا الاقتتال. هناك مسألة استقلال عملة اريتريا «تقشف» عن الاثيوبية «الهر» وهذا اجراء منطقي بعد ثلاث سنوات من الاستقلال اريتري، لكنها بالطبع أدت لتوترات نتيجة «تعت» اريتريا في مطالبة اثيويا بالتعامل بالعملية الصعبة في المسائل المتعلقة باستخدام موانئها (البحر - البترول .. إلخ) بينما تتفق ثمن المراء الغدائية من اثيويا بالعملية المحلية. ومثل هذه التصادمات والحيواتها محكمها تطورات المصالح البرجوازية التجارية في مثل هذه الحالات فسيلا عن استنزاف عوائد الاستثمارات أو القروض الأجنبية.. إلخ.

وهناك أيضا مسائل المناطق المحيطة المتنازع عليها، وباعتبار السلطة الاثيوبية تيجريية ومن مناطق كان يغطيها الاسمر من قبل، فإن هذه المنطقة تحظى بمعاية متزايدة قد تكون امتدت بها المناطق تيجريية اريتري، مع رؤية ضئيلة بما يشير خراوات لا تقوى، لكن الاهم من ذلك هو الاشارات في بعض المصادر عن وجود مناطق تعدد المذهب أيضا في مثلث «ياضي» متروك النزاع ما يغري البلدين في استثمارها لصالحه.

هناك بالطبع مسائل أكثر حساسية تعود عليها المحللون، كانت من قبل حول عسكرية الاسمر الاستبدادية من جول فيلاستيلاسي ثم منجستو، وأصبحت الآن منافسة الاوروبي

الوطنية ما زالت تحتفظ بكل قياداتها القديمة. وحتى المعارضة عندها لا تقل حرصا على هذه الوطنية من الحكم المركزي القائم في وجهها، وقد يكون ذلك وراء عودة بعضهم سريعا إلى أسيرة بعد الاستقلال، كما أن باناتهم خلال تفجر الصراع الأخير لم تخل من تسليم عروق الحكم الوطني. هذا التصور على الجانب الأخرى مع استمرار الدولة في التخطيط وغلبها الوطني هو الذي يمتد ما يسميه بعض المحللين «المعجزة الأثرية» ويعتمد في المعركة الأخيرة ما يبدو «تحتا ارتريا» إزاء بعد التوازي الأثيوبي عن الاضطراب.

ويقولون إن هذه المعجزة قادت من قبل إلى تحدي العرب في شكل المصالحة مع إسرائيل، ثم في حنيش، بل وإلى تحدي الأميركيين حين رفض أسقروفي الذهاب إلى أوغندا لمقابلة كليتون في احتفالية هناك وتعليه على الرئيس الأفارقة باستدعائهم إلى كيبالا. وهو التعتن نفسه مع مهمات الوساطة المختلفة.

ولقد لفت نظري أن تهاجم القوات الجوية الارتية مواقع ترسانة عسكرية أثيوبية قريبة من حدودها بظفارة «سبح» ما يشير إلي استمرار الصراع القديم الذي استرسل عليه من اثيوبيا، وهذه كفاية، أو إلى تحويلها على قنبل كبير - لا يستبعد أنه عربي - لشراء طائرات روسية من سوق السلاح الكبير الآن وكل ذلك إنما يكشف عن رغبة تحد قد تكون مرة ناجية، ومرة فاجعة في صراع بهذا الحجم مع دولة مثل اثيوبيا.

توافقات مثيرة

لا بد أن يواجه الارتريون الإسرائيليون والاوربيون عسمرما - تهايك - عن الاسرائيليين - أزمة في التوفيق بين المصالح الاستراتيجية في كل من اثيوبيا وارتريا على السواء، وبين هذا الموقف الطارئ والذي يصعب أن يكون مصنوعا - جتفكير تأمري - من طرف واحد - ولا شك أن أي «وسيط» سيحدد نفسه في موقف صعب، وللجميع مصالح متنوعة غير خافية.

وشكلا يجد أصحاب التحليل القبلي والعرفي أنفسهم في مأزق تحليل خلاقات «التبجيرية» واندماجهم الوطنية مثلما رفضوا من قبل التسليم باندماجات التوتسي في روتادا ويورولدي لمصالح أي تفسيير اجتماعي اقتصادي وطني آخر، فإن أصحاب الصراع الأمريكي الفرنسي في أفريقيا - وليس حتى تنافسهم - سيجدون أنفسهم في مأزق بدورهم، فهنا لا بد أن يكون الأمريكيون والفرنسيون مع اثيوبيا بدرجة أو بأخرى. قد تكون الولايات المتحدة أقدر على التوسط لظروف كثيرة لصالحها في البلدين،

ولكن فرنسا الحريصة على جريثيوبيا إلى استخدام مرافق جيويتي التي تحكمها فضلا عن ميوروت الثقافة الفرنسية لدى البرجوازية الاثيوبية، والروحية في تأييد «العقر» من حول المرفأ الجيويتي، كل ذلك لابد سيعمل توافق المصالح سابقا على التنافس أو الصراع الأمريكي الفرنسي، وقد يساعد ذلك على إخماد التنهتة حتى لا تنجح اثيوبيا في فصل عصب وتهديد مصالح جيويتي. وسوف تكون اسرائيل في نفس الموقف تقريبا حفاظا على المارد الاثيوبي مهما كانت توافقاتها مع ارتريا.

والتوافق السوداني هو الأولي بالرعاية الآن والأشارات الاثيوبية منهكة في هذا الصدد. ويرجع ذلك لما تردد عن بدور علاقاتها مع الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جرق لحمد من تقدمه عبر حدودها المناطق السودانية المجاورة. ومع انفجار الموقف مع ارتريا فسوف تكون اثيوبيا أكثر حذرة للسودان، والموقف الاثيوبي في الصومال يمكن أن يلتقي بدوره مع الموقف السوداني لمواجهة المصالحة المصرية هناك، ويقتي سؤال عن مدى تلاقيهما لدعم التيار الاسلامي في كل من ارتريا والصومال على السواء، وهل سيستخدم التوافق الأمريكي الفرنسي هذا التوافق السوداني الاثيوبي؟ وإذا ضعف التوافق مع جرق من الجنوب هل سيؤدي ذلك إلى قوة توافقة مع المعارضة السيوالية بعد موجة الشكوك التي احاطت بذلك لبعض الوقت منذ اجتماع نيربي؟

وماذا عن التوافقات والصراعات العربية.

فناجتي كثير من المصادر الاعلامية العربية بمواقف لا تخلو من مسلسلتها الساذجة، فهي دائية الصاوال والدعشة لورقة ارتريا في وجه اثيوبيا، أو التفوق عليها في بعض المواقع، أو أن الشيطان الاسرائيلي لا وراء ارتريا تحدينا، والملفت أن هذه المصادر بعضها خليجي والأخر مصري. وكلامها يعلم كثيرا من الحقائق ويتابعها. فانارتريا هذه هزمت الجيش الاثيوبي منذ بضع سنوات، وهو في أحسن حالاته تسليحا وسلطة، وهي ما زالت في حالة أقرب لحالات حركات التحرر من جيش يغير تسليحه ولااته ما يستقر قرة على الأمل.

والعلاقة بين ارتريا واسرائيل ليست أنشط من علاقة اسرائيل بكثير من الدول العربية الآن، ولا يعقل أن نطل على تسليحا بان العبرة الاسرائيلية في الأقدار دائما مع هزتنا ومواجهتنا في كل المواقع حتى ارتريا، ولا بقي مشال هزعة اسرائيل الصغيرة للعرب الكبار هو الأكثر مصداقية (لكن مع استبعاد هذه المباحكات، فإن أمام الجميع أنها اقتراب النظام الارتري من عدم من

بلدان الخليج - من العلاج في المصححات السعودية حتى أفضل الاستثمارات الكويتية، وهناك اقترابات أخرى متنوعة مع مصر، والتفسيرات لهذه الاقترابات العربية كثيرة بعضها على الأقل بسبب الموقف الخليجي من اليمن، والمقصود هنا، أنه لا مجال لهذا الاندفاعات الاعلاقية ضد أو مع أي من الطرفين الآن، أتينا أن لن نكون المستفيدين من اضطراب في هذه المنطقة من ناحية، ولأننا لا ندير المعركة من مواقع تميز مع هذا أو ذاك من ناحية أخرى. ولأن جعل المصالح العربية هي مع الطرفين كطهير للمنتفعة العربية، اقتصاديا وسياسيا من ناحية ثالثة، ولأن عناصر الصراع الداخلية لدى كل من اثيوبيا وارتريا تبدو واضحة ما يجعل للمصر المحلى - وليس التأمير الحارجي - حلبة في التحليل. إذن فالاعلام العربي مطالب أن يفهم أكثر، الرسائل العديدة التي فرشت على اللومبيين أنفسهم هدوا ملحوظا لا يخلو من غيره الآن.

والرسائل من كلا الطرفين الاثيوبي والارتري للسلطة العربية متوافقة، سواء في أحداث الرئيس زهاوي منذ فصرة مع موضوعية فهم لقضايا المياه والعلاقات مع مصر والسودان، أو في زيارات الرئيس أسقروفي وعدد من بلدان الخليج ومصر، بل إن إعلان انتماء الكنيسة الارتية مؤرخا للكنيسة الأرثوذكسية المصرية كان رسالة عميقة وجدها جذيرة بالانتماء. ومعنى ذلك في النهاية أن اللحظة العربية تلك إكسباتات الاقتراب بشكل أفضل من متقلة الصراع، ودخل عالم التوافقات الذي دخلته أمريكا وفرنسا سريعا بدلا من أن تحول الموقف إلى مزنة من تصديق الصراعات، ليس فقط بين اثيوبيا وارتريا، ولكن بين السودان وجيرانه أو بين اليمن وجيرانه أو بين مصر ومصالحها المتزعة.

ولعل قرب تصالح الهند وبكاستن حماية لمصالحها تجاه الآخرين، أن يكون مثالا لتصلب اثيوبي ارتري، ليثبت ذلك أمام التصرب أن تصالح الدول الوطنية لا أن تحكمه في النهاية المصالح الوطنية، والخطر الدائم هو أن تستغل القوى التبعية أو العرقية أو الأجنبية الموقف لتفجير أبعاد أخرى في الصراع. والرقن الأفريقي مهيا دائما لهذا الموقف للأول، وستكون الولايات المتحدة والغرب عموما مع تهينة القرن الاقريقي للرئيس زينباوي المستبد بدلا من حسان ارتريا الطوم.



أمريكا تدخل القرن ٢١ وسرطان العنصرية بلا علاج

★ جريمة سحل العجوز الأسود مكبلا من ساقيه بالسلاسل
خلف سيارة ثلاثة من الشباب البيض.. ليست «حادثة
منعزلة».. إنها ظاهرة متكررة.

★ لماذا حدثت انتفاضة لوس انجليوس بسبب ضرب وركل رجل
أسود على أيدي خمسة من رجال الشرطة .. ولم تحت انتفاضة
مماثلة بسبب جريمة القتل البشعة في تكساس؟

تعمل اسم «واشنطن سيناتور» تصدر كل
أسبوعين في أربع صفحات وتعالج في كل مرة
مرضعا واحدا . بدأ شيلر مقاله على النحو
التالي:

«كنت في واشنطن مؤخرا، وبعد حلقة
نقاشية حول العنصرية تقدم منى حمام أسود
وقص على ما يلي: لقد ترأس لتواء مشروعا
لحساب إحدى الوكالات الحكومية الاتحادية
في منتصف الطريق إلى انتهاء المشروع
أسرت سيدة من العنصرية ممن يعملون معه إلى
بعض زملائها البيض في مجموعة العمل بأنها
لا تطبق أن تتلقى أوامر من شخص أسود . ثم
بيع البيض - بين فيهم واحد .. يعتبره هذا
الحامي الأسود صديقا له - بشئ عن ما قالته
هذه السيدة . ولكن بعد شهر وقرب الانتهاء
من تنفيذ المشروع - قرر هذا الصديق في
النهاية أن يخبره عن الملاحظة (لتنعصبة لهذه
السيدة البيضاء .. وعندها أدرك أنها كانت
تقوم بعملية تخريب بهدوء داخل العمل . وقد
انتهى الأمر بأن فصلت الوكالة الحكومية هذه
السيدة».

ويقول شيلر «إن حوادث كثيرة كهذه
تكسب سطح المجتمع الأمريكي ، ولكنها نادرا
ما تشاهد . فالبيض يهونون مصيبتهم

الأمريكي شيلر، ولا هدف عرض كتابه
الجديد . إذا اعتقد أن اتجاه شيلر إلى المسألة
العنصرية في أمريكا بعد أن عاد للاستقرار
في وطنه تعني أنه وجد موازنة في أهميتها
«الأمري» - ظروفها للأوضاع التي سبقت
انهيار النظام السوفيتي ، وللأوضاع المتعقدة
في الصراع بين العرب واليهود في فلسطين
والشرق الأوسط.

ومن الواضح أن الأمر بالنسبة لشيلر
ليس مجرد اهتمام بوضع كتاب عن مشكلة
تعد من أبرز مشاكل وطنه ومجتمعه .. لقد
أسعد كتابه عن العلاقات العنصرية في
أمريكا ، لكنه لم يهجر المشكلة . لم يقل
كلمته وعشي - كما يقول التعبير الشائع - لقد
بقى مشغولا بالمشكلة يكتب عنها في
الدوريات والمجلات السياسية والاجتماعية.
قبل أسابيع كتب مقالا في نشرة تقديمية

فيقيد شيلر كاتب صغرى أمريكي ،
تتفل بين عدد من أهم عواصم العالم كمراسل
لصحيفة «نيوزويك» . أهم العظات التي
توقف فيها كانت موسكو في ذروة الحرب
الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد
السوفيتي (السابق) وعن خبراته في تلك
الفترة في موسكو ألف كتابا بعنوان «روسيا
الآلة المحطية بالأحلام الخيئة» بعد ذلك كان
مراسلا في القدس ، وأنهى الفترة التي قضاه
بين إسرائيل والعرب كمراسل أمريكي بتأليف
كتاب بعنوان: «عرب ويهود: أرواح جريحة
في الأرض الموعودة» وقد فاز عن هذا الكتاب
بجائزة بوليتزر . أتلى جوائز التفوق الأدبي
في المجالات المختلفة في أمريكا.
لم يعد شيلر مراسلا أجنبيا في أي من
بلاد العالم . شيلر يقسم الآن في وطنه ،
الولايات المتحدة . لكنه لم يقطع صلته
بالكتابة . لكن ماذا يكتب؟

آخر كتاب لشيلر صدر قبل فترة وجيزة
بعنوان «بلد من الأجنبي: السود والبيض في
أمريكا» . وقد جرب على أن يؤكد في
مقدمته أنه نتيجة خمس سنوات من البحث
في العلاقات العنصرية في أمريكا.
لكن موضوعي في هذه الرسالة الكاتب

رسالة واشنطن

سمير كرم

*** قبل سنة أطلق كليتون مبادرة من أجل التكامل العنصري .. فحاصرها اليمين الجمهوري في الكونغرس ولم تتحرك خطوة واحدة حتى الآن**

لا يوجد سجن إحصائي واحد يتخلو من سجن من البيض المتطرفة أسرار الشرق العنصري الأبيض فكم يوجد منهم خارجها؟



الطموح في كرامته وطبعه وبقرة بالسلاسل من كعبه .. (ل ثمة إجابة على السؤال لماذا توجد السلاسل دائما في سيارات الشبان البيض الأمريكيين؟)

وريطا الطرف الآخر من السلسلة الحديثة- الحقيقية لا الرمز- مؤخرة السيارة ثم ساقوا السيارة مسافة أربعة كيلومتر متعرجا ارتطم طرأها جسد جيمس بيرة الممق مثل ثيابها بكل شبر. عند نقطة ما من هذه المسافة انفصل رأس الضحية عن جسده .. ورأى عندها لحظا تأكد الشبان البيض الضالعة من أن جيمس بيرة قد مات .. ولم يكن قد تأكد لهم ذلك من قرق جسده إلى ٧٥ قطعة (...).

مع ذلك فإن كبريتات البيض بعد الجريمة كانت على- جاسبر- نوعا من عتق شعورها بالأساة. صف البلدة قالت: «جاسبر فقلت توازنها بعد هذه الجريمة» «هي لا تزال تتسأل إذا كانت الجريمة قد ارتكبت بدوافع الحقد العنصري» .. وكان الضحية هي بلدة جاسبر .. وكان الجريمة لم تتزعززع طرفة عين اجتماعات ونساء وأطفالا ولم تتركهم على اجتماعات كانوا قد فعلوا أنها غابت.

فيلرون من كتاب التحقيقات الصحفية. هم الذين حاولوا أن يعسر قرارا أثر جسيمة «سجل جيمس بيرة حتى الموت على السرد في «جاسبر» .. ولم يحاول أيهم استطلاع رأيهم خارجها.

رد فعل السود في عبارة واحدة قالتها سيدة بسيطة- واحدة من تشادهم بقربون بهمهمه تلميع أرضية «البتاجرين» تحت الأحذية العسكرية: «أبدا لن تعود حياتنا كما كانت قبل أن يقع هذا الحادث».

رد الفعل من من جانب السود في «جاسبر» وفي أمريكا كلها يبدو خافتا إذا قيس برد الفعل الذي أعقب أذاعة الفيدرالية الذي سجل واقعة الضرب والركل التي تعرض

بطريقة مختلفة فاما. جيمس بيرة أمريكي أسود في الحصين من عمره- أكتفيه الشقاء ملامح رجل قارب السبعين- فقير إلى حد قياسي .. إلى حد أنه لا يملك سيارة. وفي أمريكا حين لا تملك سيارة لمعتني هذا أنك بلا هوية. بلا مركز اجتماعي .. وبلا صراخ .. بعرفه أهل البلدة بأنه الرجل الذي يشاهدونه يقضي مشاويره الطويلة (كل المشاوير في أمريكا طويلة) سيرا على الأقدام .. حتى في حر تكساس الرهيب. عرفوه أيضا بأنه الرجل الذي لا يبدو أبدا مستبسا أو متوجها .. يقولون عنه: إنه كان يشاهد ماشيا ذاهبا إلى عمله أو عائدا منه وتعابير وجهه تنم عن أنه يستمتع داخله إلى موسيقى هادئة حائلة. دون أن يكون على أذنيه جهاز راديو أو مسجل (...).

في آخر مشوار له في «جاسبر» استوقفه ثلاثة من الشبان البيض بسيارة «نصف نقل» وغرضوا عليه أن يوصلوه إلى حيث هو ذاهب. ولابد أن مشاعر غزيرة من المودة والرفق والجميل والشعور بأن الدنيا بخير غمرت قلب عريضهم. ركب السيارة في الخلف. بينما جلس الشبان الثلاثة في مقعد السيارة الأمامي.

أخذا جيمس بيرة إلى مكان مهجور خارج البلدة .. أنزلوه من السيارة وأنهاروا عليه ضرا وركلا. من يدري ماذا دار بذهن الكهل الأسود الساكن ساعتهما ماذا ظن؟ ماذا تمنى؟

.. من بين كل الناس المتطرفا هذا الرجل .. ضربه وأهانوه وعلموه وتركوا آثار الأوجاع على كل بقعة من جسدهم. ثم جاء الرمز الباقي من أعماق التاريخ الأمريكي .. بل من أعماق الوجدان العنصري في الإنسان الأبيض. قبيدا جيمس بيرة الشفن بالمحراج

بسرعة .. زائدة ولهذا نادوا ما يفصلون من أصالهم بينهما .. ولكن هذه الحادثة تقف شاهدا على الانحياز المناهض للعنصرية الذي انطلق منذ حركة الحقوق المدنية (أي منذ أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات). غير أن الجذور الخفية للعنصب والتوتر العنصريين قد انكشفت .. فالمرأة البيضاء قالت ما يشعر به كثيرون من البيض دون أن يقولوه. وهو أن وجود السود في مواقع السلطة يسبب لهم شعورا بعدم الارتياح .. وكثيرون من البيض -مثل صديق المحامي الأسود- يشكهم الصمت بفعل تعبيرات الآخرين عن عنصريتهم. فأين كان ولا .. الصديق الأبيض لرئيسه الأسود؟ هل بقيت الصداقة بينهما؟ لقد سألت المحامي الأسود هذا السؤال فأجابني: «انتا تبتل جهندا للالقاء عليها».

لكن الأمور ليست دائما بهذه البساطة .. وبالأخص ليست دائما بهذا الهدوء.

لقد ظهرت عنصرية السيدة البيضاء في عبارة صريحة أسرت بها لبعض زملائها .. والحكاية انتهت بفصلها من عملها .. وهذا لا يعني أنها لم تنمذ عنصرية. إنه عقاب من شأنه على الرزم من مشاعرها العنصرية- شمل- على الرزم من مشاعرها العنصرية- متحضرة وأخلاقية إلى درجة كبيرة.

يوم ٧ يونيو الماضي .. في بلدة أو مدينة صغيرة اسمها «جاسبر» في شرق ولاية تكساس الأمريكية غير ثلاثة من الشبان البيض عن مشاعرهم العنصرية ضد السود

لها رودنى كنع الأسود على أيدي خمسة من ضباط الشرطة البيض في لوس انجيلوس.

فلا عتف ولا انتفاضة ولا صدامات . لماذا؟ السبب الأساسى هو أن «جيمسبير» صغيرة، وتزداد السود فيها شتىل من السهل محاصرتهم بقوة أمنية صغيرة . لكن اسمعوا الأصوية البيضاء - الأكاذيب البيضاء - عن السود: لأن سلطات المدينة تحركت بسرعة وألقت القبض على المتهمين . وبدأت التحقيق على الفور .

لأن الرئيس كليفنتون بنفسه استنكر الجريمة .

لأن الشبان الثلاثة كانوا سكارى . لأن الشبان الثلاثة ، تأثروا ، بدعابات دعاة التفوق العنصرى للبيض والتنازى المجد . هل هذه أسباب للهجرة؟ إنها بالأحرى أسباب للثورة ، بمفانيها الانفعالية والسياسية .

هذه كلها أسباب تساق لتدفع رد الفعل الطبعى إزاء هذه الجريمة وأغشى المبررات تلك التى تقول إن الشبان البيض الثلاثة كانوا سكارى .

وإن كان سلوكهم يخطو حافة المحسوة ابتداء من خداع الضحية إلى ربطه بالسلاسل فى مؤخرة السيارة ، بل على تقدير . والتفسير وحى .

لكن دعونا نفترض جدلا أنهم بالفعل كانوا سكارى .

النكر برغ الأظفنة عن ما يداخل الفرد . يعمل عقيدة اللسان ويكشف عن باطن مشاعره ، هناك من يسكر فيسبى . ومن يسكر فيسبى فى حالة من الإسهاج والضعف . وهناك - كما فى حالة القفلة الثلاثة - من يسكر فيقتل . فإذا اختار رجلا أسود بسيطاً أضغه الفقر أكثر مما أضغته سنوات الخمر فإن لهذا الاختيار مغزاه . الأمر البقضى هنا أن القفلة البيض أخرجوا ما بأصنافهم من رواسب الضربة والتشنج والاجتماعية .

إن فرداً - أى فرد - تبنى بطريقة صحيحة اجتماعياً ووجدانياً لن يقع فحاةً فى سن ما بين ٢٣ و ٣١ عاماً (أعمار القفلة الثلاثة) تحت تأثير خطاب استمع إليه من واحد من زعماء «كوكلوكس كلان» أو «الفايزين المجهدين» . وبالأخص لن يتأثر به إلى حد اختطاف رجل أسود أعزل من كل شئ وتعذيبه وقتله .

والأفراد لا يولدون عنصريين . لا أحد يولد وعلى ذراعاه عتامة الصليب المقيفوف أو ملفنوسفا في طرطور أبيض على طريقة كوكلوكس كلان .

إن الأفراد يلقون فى أسرهم وملازمهم

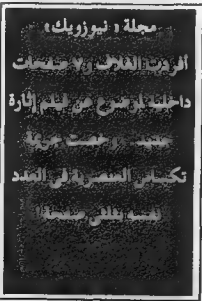


رونالد ريجان

ومصاحبهم وتوادبهم ما ينشئ كامناً وقت الشعور .: إلى أن تأتي لحظة غياب الرقابة الواجبة على المشاعر والدوافع الاجرامية من هذا النوع فيحدث ما حدث .

إن واحداً من المجرمين الثلاثة البيض لم يولد، ولم يكتسب وعيه الاجتماعى والأخلاقي ، فى عهد التمييز العنصرى وغياب الحقوق الفنية للسود . أكبرهم فى سن الحادية والثلاثين أى أنه ولد بعد ثلاث سنوات من قوانين الحقوق المدنية للسود . وأصغرهم -فى الثالثة والعشرين- ولد وفى مقدف قاضى بالحكمة العليا الأمريكية إنسان أسود كان وقتها فى عمر الضحية جيمس بورد .

يستطيع كل واحد من المجرمين البيض الثلاثة أن يزعم بأعلى الصوت فى قاعة المحكمة حينئذ تأتى اللحظة :«جعلوني مجرماً» . فخلط الأبواب المخلقة تشعن عقول



وقلوب الأطفال البيض بكل الأفكار المتعصبة ضد السود . تعليمهم أن يبتعدوا عنهم . فهم أدنى . أن يتعاملوا معهم وفقاً لقوانين جنينا للعقاب وحينئذ كان التعامل معهم ضرورياً فهم فى أغلبيتهم مجرمون . وحذاري من الاختلاط بهم إلى حد دعوتهم إلى بيوتكم . تجتنبوا هذا النوع من العلاقات الخفية . لا يريد أى منكم أن تقتصب أخته أو ابنته أو زوجته .

وبطبيعة الحال لا يمكن تجنب كل السود . تجنب الفقراء منهم هو وحده الممكن . وإن كان توظيفهم للقيام بأعمال الحميم ضرورياً إلا أنه لا يفرض علاقات اجتماعية . وبالتأكيد لا يمكن تجنب الأغنياء . أياً كان لون جلدهم . وأياً كان انتفاوهم المرمق أو الدينى .. الأغنياء أصحاب مصالح وأصحاب النفوذ قادرون على إلحاق الضرر إذا أرادوا .

الفقراء وضعهم يمكن استغلالهم . وإهانتهم ومحاشرتهم . وضعهم وتعليقهم ليس بالضرورة بالركل والسحق . وأيضاً قتلهم وليس بالضرورة بهذه الأساليب .. خاصة إذا كانوا من السود .

العنصرية بخير فى أمريكا . زدهر بفكر السود أكثر مما ازدهرت من قبل بالاعتقاد بدوريتهم فى عالم البيض .

ومع أن جيرة «جاسبير» العنصرية أشعث وأظفر بكثير من جرعة الاعتداء على رودنى فى لوس انجيلوس .. فإن معالجة الإعلام التقليدى الأمريكى لهذه الجريمة الأثيمة تشير -على أقل تقدير- تسلاؤات عن مدى عنصرية تناول هذا الإعلام لهذا النوع من الأحداث .

إن الإعلام لم يكتف بإطلاق الأكاذيب لتفسير حصر ردود الفعل بل استخدم أقوى أسلحته فى كتبها : الحصار والتسطيح . كثير من الصحف والقرميدة الأمريكية دفن الجريمة العنصرية على إحدى الصفحات الخلفية من اليوم الأول لنشرها . قليل منها بدأها على الصفحة الأولى .. لكه لم يلبث أن أعالها إلى الداخل فى الأيام التالية .

المجلات الأسبوعية الرابضة الانتشار والشهرة عالمياً -مثل «نيزويك» و«تاي» لم تجيد فى الجريمة موضوعاً يستحق تخصيص صفحة الغلاف له .

بل إن «تاي» لجأت إلى حيلة خبيثة حينما اختارت موضوعاً لغلافها ومبررة الغلاف لأشهر أمريكى أسود فى هذا الزمن . وهو مايكل جوردان لاعب كرة السلة البار .

فاحتل وجه رجل أسود صورة غلاف المجلة وحده وعليه عنوان : مايكل : قد لا نرى أبداً نظيراً له مرة أخرى .

فهل يمكن اتهام «تاي» بالعنصرية بعد هذا أنفها أغفلت عن غلافها جريمة سجل

الفقر اضاف للعنصرية ايشع سماتها..

وغالبية البيض تعتقد انها ظاهرة «طبيعية»

يمكن افتراض حسن النية فيه بـ «وهو كليتون» وادارته -بشارك الطرف الآخر الذي لا يخفي على أحد سيرة- تنبته- وهو اليمين الأمريكي حتى انكار الواقع القائم .. ولا تغني بالواقع القاتم الجرائم العنصرية ضد السود فحسب .. بل واقع حياة السود في مجملها.. الكل يشارك في انكار حقيقة ان العنصرية كانت في الماضي سافرة مكشوفة وهي الآن خبيثة مسخرة بمثل مرض خبيث.

ولعل ايشع الحقائق التي يتم انكارها -بالنفاضة عن دراستها- أن واحد من كل أربعة من السود الأمريكيين هو في أي خبطة زمنية داخل نزرة السجن ، إما محكوما عليه في قضية .. أو رهن التحقيق في قضية ما ، أو يقضي فترة مراقبة أمنية.

في الوقت نفسه تبين من تقرير أذاعته وزارة العدل الأمريكية مؤخرا أنه لا يخلو سجن الصنادير أمريكي واحد في جميع أنحاء الولايات المتحدة -وهي السجن التي يحبس فيها الأشخاص الذين يرتكبون جرائم تحاكم عليها القوانين الاتحادية- من واحد أو أكثر من «العنصرين» إلى الميليشيات المسلحة العنصرية التي يجمع بينها الإيمان بفسوق الجنس الأبيض وضرورة إزالة وجوده الاجتماعي الأخرى ، وخاصة السود من الولايات المتحدة.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن هؤلاء هم الذين تنسوا مبنى الحكومة الاتحادية في أوكلاهوما سيقى بالديناميت ما أدى إلى مصرع ٤٠ شخصا قبل ثلاث سنوات.

لكن حقيقة انتشار هؤلاء المخطرفين البيض إلى هذا الحد تدل بلمحاتها على مدى انتشارهم أيضا خارج السجن ، وعلى نطاق واسع كثيرا وإذا اعتقدنا أن وجود كثيرين منهم داخل السجن هو دليل كاف على بقية الحكومة الاتحادية ضد التفرقة العنصرية ، فإننا نكون متساهلين كثيرا .. من ناحية لأن وجودهم في السجن ليس بسبب إكثارهم العنصرية ، إنما لأنهم متهمون بتبشير نشاطات إجرامية وراهبية ضد الحكومة الاتحادية من نوع تبشير أو كلاهما.

والدليل الأهم أن السلطات الأمريكية منعت جماعة «كونكوكس كلان» العنصرية المتطرفة تصريحا بتنظيم مظاهرة لها في بلدة «هاسبر» .. البلدة نفسها التي وقعت فيها جريمة تطهير وسجل جيمس بيرد على يد ثلاثة رجال عابدين البيض. وقال غاري جاتلين رئيس نيابة البلدة إن الجماعة طلبت تصريحا وفق ما تسمح به القوانين .. والقوانين تسمح لهم بأن يتجمعوا وأن يبقوا ويعبروا عن آرائهم وأن يقولوا ما شاء لهم» (..).

ومن الخطأ ذلك الاعتقاد بأن العنصرية تتصل فقط في هذه الجماعات (الميليشيات) المتطرفة المسلحة.

في عام ١٩٩٠ أجريء المركز القومي

قبلها بأعوام قليلة طاردت مجموعة من الشبان البيض (١٢) شخصا على الأقل» ثلاثة من الشبان السود شاهدتهم يأكلون «البسطة» على قارعة الطريق في ضاحية «هواره بيتشي» خارج نيويورك. وكونفهم اندفع هؤلاء الثلاثة نحو الطرق السريعة للسيارات (الهياي واي) ليكنزوا في «العمار» أمام الناس .. لكن المطاردة استمرت وكانت النتيجة أن صدمت سيارة الشبان السود أحد الصغار فقتلته على الفور.

بل إن حراوات سجن السود بعضهم بالمهازات أصبحت جريمة متكررة .. حتى أن ثلاثا منها وقعت منذ أوائل العام الحالي.

حكايات الجرائم العنصرية المتكررة المتشابهة كثيرة .. لا تكاد تنتهي ولعلها السبب الرئيسي في أن الرئيس كلينتون عزم -بعد تردد طويل- على الدعوة إلى «حوار قومي» حول العلاقات العنصرية. وعقد كذبيا لهذا الحوار ندوة في البيت الأبيض لتحريك هذه المباداة في يونيو من العام الماضي. وهكذا يكون قد مضى على هذه المباداة سنة كاملة دون أن تحقق أي تقدم ملموس.

بل إن العكس هو ما حدث .. فقد تصدت للمباداة الأغلبية الجمهورية التي تسيطر على الكونجرس بمجلسيه ، والتي وضعت لنفسها جدول أعمال مختلف تماما يهدف في النهاية إلى سحب كل المكاسب التي تحققت للسود بفعل حركة الحقوق المدنية ، والتي لم تكن كافية أبدا لإزالة مشكلة العنصرية أو إزالة القين عن السود .. وأول بند على جدول أعمال الجمهوريين كقادة لليمين الأمريكي هو إلغاء «قانون القتل الإيجابي» وهو قانون صدر عام ١٩٦٤ (أي قبل ٢٤ عاما) لاتاحة مزيد من فرص العمل والتعليم للسود تعريضا لهم عن سنوات التمييز العنصري.

وبين مصادرة كليتون من أجل التكامل العنصري ويدول أعمال اليمين الجمهوري من أجل التراجع بأوضاع السود إلى ما يشبه ما كانت عليه قبل حركة الحقوق المدنية .. لا تزال المشكلة العنصرية تاتية في المجتمع الأمريكي. ويزيد الطين بلة أن الطرف الذي

جيمس بيرد .. الأسود الفقير المجهول (الضعيف؟).

مجلة «نيوزويك» لم تجد مكانا على غلافها حتى لجرد إشارة إلى الجريمة (موضوع الغلاف وصورته عن فيلم جديد من أفلام الاثارة باسم «الملفات التالية للمجرم» .. أما الاشارات الجانبية فمن حرب البتغ بين شركات السجائر ومزوديها وصغار عارضيهيها في الكونغرس، وأزمة نيجيريا (بعد رحيل أباشا الفاجي) ، وفي الداخل احتلت الجريمة العنصرية في «جاسبر» ثلثي صفحة ، بما فيها صورتان واحدة لأحد القتل الأبيض بعد القبض عليهم ، والثانية (بجسم لا يتجاوز حجم طابع بريد) للعنصرية بيرد.

في عدد نيوزويك نفسه ظهر تحقيق عن الفيلم الذي احتل الغلاف ، وشغل بالإضافة إليه ، سبع صفحات (نعم سبعة) كاملة داخل العدد (١).

وطبيعة الحال غابت المعالجة الموضوعية التي تبحث عن الأسباب العميقة وراء جريمة «جاسبر» العنصرية .. لم يتوصل إلى أي من الموضفات الاخبارية في الصحافة القومية الأمريكية عن حضور المشكلة. لم يتسورع كثيرين من المعلقين عن وصف هذه الجريمة بأنها جادة فريدة منعزلة عن أنها خط متكرر في السنوات الأخيرة. وبالتالي منذ أن انتخب رونالد ريجان رئيسا لأمريكا رأى منذ أوائل الثمانينيات -ركان أكثر رسا- أمريكا يمينية زوجعية وعداء للسود .. واستمر هذا التمس على الرغم من سنوات رئاسة بيل كلينتون الذي يعد من أكثر رؤساء أمريكا اهتماما بالعلاقات العنصرية وحرصا على إنصاف السود والدفاع عنهم.

إن ذاكرة الإعلام الأمريكي -كذاكرة الأمريكيين عموما- قصيرة للغاية لقد نسوا عددا من أبشع الحوادث العنصرية التي وقعت خلال السنوات الأخيرة .. أقربها كان حادثا وقع في العام الماضي في مدينة «الفلينتانس» بولاية فيرجينيا حيث قام اثنان من البيض (اعصارها فريق الثلاثين) بسكب البترين على رجل أسود في الأربعين من عمره ثم اشعلوا النار فيه .. ثم فصل رأسه عن جسده بغاس (..).

لبحوث الرأي العام - وهو تابع لجامعة شيكاغو - استطلاعا عاما بشأن الكيفية التي يرى بها الأمريكيون الجماعات العنصرية المختلفة. وتبين أن النتائج أن غالبية تصع السود في أسفل القائمة. ٥٣ بالمائة من الأمريكيين يعتقدون أن السود أقل ذكاء عن البيض، ٩٢ بالمائة يعتقدون أن السود أشد كسلا من البيض، ٧٨ بالمائة يعتقدون أن اجتماع وجود السود على قوائم الاعانات الاجتماعية أكبر من احتفال وجود البيض عليها، بل أن ٥١ بالمائة يعتقدون أن السود أقل وطنية.

طبعاً ليس كل من قال مثل هذه الآراء في السود عنصري متطرفاً وعصوا في الميليات البمينية المسلحة... لكن هذا لا ينفي أن له موقفا عنصرياً من السود... ولا ينفي أن لهذا الموقف انعكاساته في الحياة العامة ووطنياً... وعلى حد تمييز الكاتب الأمريكي التقديسي ستون تيركيل فإن هذه الأفكار تشكل أنواعاً من الإراء المتسلطة التي لا يمكن التكاثر منها.

وحكى تيركيل في كتاب له عن «العنصرية» كيف يفكر السود والبيض في الآراء المتسلطة الأمريكية» (الكتاب كله عبارة عن أحاديث أجراها مع شخصيات عادية حول المشكلة) والقصّة التالية: «كانت زوجتي تقود سيارتها في شارع بأحد أحياء السود. لاحظت أن الناس الواقفين عند النواصي يشيرون جميعاً نحوهما. استبد بها الجحرف. أغلقت نوافذ السيارة، انتهت لقيادة السيارة بكل جدية. بعد عدة مفارق اكتشفت أنها كانت تسير في الاتجاه العكسي (فكانوا يشيرون نحوهما، لتفهميهما أي مساعدتها - افتراضاً قد أخذها إلى أن هؤلاء الناس سيبد. وأنهم يريدون النيل منها. هذا على الرغم من أنها سيدة متتورة للغاية. ولا يمكن ربطها بأي حال بالزوجة العنصرية. مع ذلك فإن أول رد فعل لها كان أن هؤلاء السود خطرون».

مع ذلك فإن الحقيقة الأخطر وسط كل الحقائق عن المشكلة العنصرية في أمريكا هي الفقر. أن الفقر قد أضاع إلى العنصرية أشع سماتها.

في عام ١٩٩١ أصدرت لجنة كانت قد شكلت لدراسة أوضاع السود على مشارف القرن الواحد والعشرين تقريراً. عن نتائج دراستها. وهذا عدد قليل من هذه النتائج. بالرجال السود في أمريكا هم أصحاب أدنى الأعمار في المتوسط في الولايات المتحدة.

• معدل البطالة بين السود أعلى مرتين من بين البيض بشكل عام، ومعدل البطالة بين السود الذين يحملون درجة جامعية أعلى حتى من ذلك، ويبلغ ثلاثة أثمان معدل البطالة بين حملة الشهادات الجامعية من البيض.

• يمتلك الرجال السود أحكاماً بالسجن أطول من تلك التي يتلقاها البيض عن الجرائم نفسها. وأعداد الذين يحكم عليهم بالأعدام بين السود أضعافهم بين البيض. • واحد من كل أربعة من الشباب السود الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٢٩ عاماً هو بين نزلاء السجن.

• الموت انتحاراً هو ثالث أسباب الوفاة بين الشباب السود في هذه الأعمار نفسها. وقد ارتفع معدل الانتحار بينهم إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه في عام ١٩٩٠، وارتفع إلى النصف بين الإناث السود.

• الموت يحصد حياة الرجال السود في سن مبكرة نتيجة ١٢ نوعاً مختلفاً من الأمراض التي تعد طبيها «أمراضاً يسهل الوقاية منها».

• أكثر من ثلث الأسر السوداء الأمريكية يعيش تحت مستوى خط الفقر. • نصف أطفال السود يولدون في حالة فقر ويقضون كل شباهم داخل أسرهم الفقيرة. ولا خلاف بين العنصريين ومنافسي العنصرية في أمريكا على أن العنصرية تلعب



دوراً أساسياً في إفقار السود. كل الخلاف يتمثل في أن العنصريين يعتبرون أن العنصرية لها مبرراتها الطبيعية والتاريخية وحتى الدينية، بينما مناهضوها يعتبرونها عتاراً تاريخياً ضد الطبيعة وضد منطق وضد العلم وضد الدين.

بالتالي فإن أنصار العنصرية ينجحون إلى أن تردى أحوال السود في الفقر والأزمات الاجتماعية أو أمر طبيعي وينبغي أن لا يقاومه أحد. بينما يختلف مناهضو العنصرية حول سبل حل المشكلة. وبعضهم يعتقد أن النظام السياسي والاقتصادي - الاجتماعي الأمريكي ليس مسئلاً عن العنصرية، بل إنه وحده قادر على حلها. ولكن قلّة من مناهضي العنصرية هي التي تدرك أن النظام السائد مسئول عن أفة العنصرية وجرائمها، وبالتالي لا يمكن ترك مسؤولية القضاء عليها بين يديه. تصحير آخر فإن المناهضين الحقيقيين للعنصرية يرون أن النظام السياسي السائد هو المشكلة وبالتالي لا يمكن أن يكون الحل. وبينما يعتقد بعض المنظرين أن التكامل في مجتمع ينشئ أن يصاب بحمي الأكران هو الحل الأمثل والممكن للمشكلة... فإن بعضاً آخر يذهب إلى أن التكامل في ظل عصى الأكران غير ممكن. أصحاب الرأي الأول يعتقدون بخطأ الدعوة إلى فصل عنصري في المجتمع مع مراعاة المساواة (شعارهم: متساوون لكن منفصلون) وأصحاب الرأي الثاني يرون ضرورة السّاح بالانفصال العنصري، يفرضه كل طرف على نفسه وتقبله الأطراف الأخرى.

.. وعلى أقل تقدير فثابته أصبح من الصعب -على الرغم من أسلحة الإعلام في محاولات التعتيل والتعتيم - إقناع أحد من السود أو البيض في المجتمع الأمريكي - بأن العنصرية هي واحدة من ظواهر الماضي، يمكن للناس أن يتفكروها خلف ظهورهم ومعضوا. وهكذا تستعد الولايات المتحدة الأمريكية لدخول القرن ال ٢١ وعلى عاتقها مشكلة شملت على مدى خمسمائة عام في إنهائها. فلا تزال العنصرية كائنة في الأعماق -تفجير على السطح في (أشجع صسورها بين حين وآخر- بعد انتضاء ١٩٠ عاماً على إلغاء العبودية وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من إقرار قوانين الحقوق المدنية للسود (...).

موسكو ويوغوسلافيا . . مزيد من التقسيم

رسالة موسكو

(نص الخطاب)

ووافقت في ٢٨ أبريل ١٩٩٢ على القرار ٧٥٧ بفرض العقوبات على يوغوسلافيا ، وأيدت في مارس ١٩٩٢ خطة فانس - أون الأمريكية لتقسيم يوغوسلافيا ، وفي أبريل ٩٣ صرح بلفينين بقوله: "إذا رفض الصرب خطة السلام فعلهم ألا يأملوا بعد ذلك في دعم روسيا لهم".

وعندما تدخلت قوات خلف الناتو خلال أزمة البوسنة في أوائل سبتمبر ١٩٩٥ وقفت روسيا مكتوفة اليدين رغم أنها كانت المرة الأولى منذ خمسة وأربعين عاما التي تتدخل فيها قوات الحلف في منطقة أوروبية وليس بعيدا في أفريقيا أو آسيا.

هذه المرة لوح الناتو بالتدخل العسكري بسبب إقليم كوسوفو بل وقامت خمس وثمانين طائرة تابعة له بالتلصق في أجواء ألبانيا ومقدونيا ، واكتفت روسيا بتسليح نحو خمس وثمانين تصريحها بتسليح في الأجواء الإعلامية . وسواء تدخل الناتو في كوسوفو أم لم يتدخل فإنه في كل الأحوال قد ثبت حقه الدائم في التحرك العسكري في أوروبا وغربها من دون تفويض من مجلس الأمن والأمم المتحدة.

أما عن إقليم كوسوفو سبب المشكلة فإنه كان منذ القرن ١٥ حتى عام ١٩١٣ جزءا من الامبراطورية العثمانية ، ثم انضوى تحت المملكة اليوغوسلافية ومن بعدها يوغوسلافيا الاشتراكية " رتصنل الاقليم بموجب دستور عام ١٩٧٤ على حكم ذاتي شرعان ماحوله دستور عام ١٩٨٩ الجديد إلى مجرد صلاحيات إدارية وثقافية رمزية.

ومع بدايات الأزمة قام بلفينين بريجاكوف في مارس

تاريخيا المنطقة التي تقاطعت فيها مصالح الأقليات بدخلها مع مصالح الدول الكبرى ، فقد وجد الكروات بشكل ثابت تأييدا ألبانيا ، ويوجد صرب مسلمو البوسنة دعما تركيا ، ويوجد الصرب تأييدا روسيا ويونانيا لتخوف اليونان من استقلال مقدونيا وتأثير ذلك في الجزء المقدوني فيها.

وفي سبيل البلقان دخلت روسيا سلسلة من الحروب مع تركيا وأجبرت السلطان العثماني بماهدة أدونة ١٨٧٨ على الاعتراف بصربيا إمارة تابعة لتركيا شكليا فقط.

وضاف من عمق العلاقات الروسية الصربية اعتبارات أخرى منها أن الصرب مثل الروس من الشعوب السلافية وأنهم ارتبطوا بالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية منذ اعتناقهم المسيحية في القرن التاسع . ولهذا كتبت صحيفة برفاندا ذات يوم أن روسيا كانت "الستد الوحيد الأمين للصرب في ودع الهجوم على البلقان في جميع الأزمات" إلا أن انهيار الاتحاد السوفيتي أدى لتفتيت يوغسلافيا التي وحدها جوزيف تيتو عام ١٩٤٥ لتضم ست جمهوريات هي البوسنة والهرسك ، مقدونيا والجبل الأسود وصربيا ، وكرواتيا وسلوفانيا إضافة لإقليم كوسوفو .

لكن موسكو منذ اندلاع أزمة البوسنة أكدت قبولها بتقسيم وتفتيت يوغسلافيا .

بريكاكوف وسلوانا .. روسيا وحلف الأطلسي



عندما وصل الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوشيفيتش إلى موسكو مساء ١٥ يونيو كانت الأنظار معلقة بسما البلقان حيث تقوم طائرات الناتو وبأرض موسكو حيث سيتم لقاء ميلوشيفيتش بالرئيس بلفينين للمعور على حل أزمة أقلية كوسوفو . كان الناتو يهدد بأن تتقلب مفاوضاته في أجواء ألبانيا ومقدونيا بعمل عسكري ضد يوغوسلافيا الاتحادية التي تضم صربيا والجبل الأسود ، وكانت موسكو تعد بأنها سوف تنقذ ميلوشيفيتش بوقف المجازر التي ترتكبها قواته الصربية في كوسوفو.

وكان الموقف الروسي المعلن يختلف عن موقف حلف الناتو ، فقد رأت موسكو أن قضية كوسوفو شأن داخلي ليوغوسلافيا لأن كوسوفو جزء منها خلافا للبوسنة التي كان العدوان اليوغوسلافي عليها عدوانا على جمهورية أخرى مستقلة . ورفضت موسكو التدخل العسكري الذي لوح به الناتو ، كما رفضت الانضمام إلى العقوبات الاقتصادية التي فرضها قادة الاتحاد الأوروبي على يوغوسلافيا خلال لقائهم في بريطانيا في ١٦ يونيو .

وقد اتخذت روسيا موقفها ذلك تحت ضغوط اعتبارات عديدة في مقدمتها صعوبة انضوائها علنا تحت راية التحرك العسكري للناتو اتقاء لغضب المعارضة في الداخل ، وحرصا على العلاقات

الاقتصادية وصفقات تصدير الغاز ، وأيضا لصعوبة الفصل من وشائج التاريخ الطويل الذي ربط روسيا بالصرب محبدا . فقد دأبت روسيا بشكل ثابت عن الصرب خلال التاريخ الطويل للسرعات في البلقان الذي يضم أراضي ست دول هي ألبانيا و اليونان والتقسيم الأوروبي لتركيا ويوغوسلافيا وبلغاريا ورومانيا . وكانت يوغوسلافيا

١٩٩٨ بحولة بين جمهوريات يوغسلافيا السابقة دون أن يطرح حلولاً أو مبادرات محددة لزعم قبل الصراع الذي تشب بين القوات الصربية والألبان المسلمين في كوسوفو الذين يشكلون تسعين بالمئة من سكان الاقليم . وكان مطلب الألبان الرئيسي حينذاك هو العودة للحكم الذاتي بكامل صلاحياته وفقاً للمقرر ١٩٧٤.

زيمع تصاعدت حدة الصراع وتشكيل جيش تحرير كوسوفو الذي يقال إنه يضم ثلاثين ألفاً ومع هجرة نحو خمسين ألفاً من الألبان من كوسوفو في اتجاه الحدود الألبانية صرح وزير الدفاع الأمريكي بأن الناتو سيتحرك لدرء الخطر الذي تشكله الأزمة اليوغسلافية على أوروبا كلها . وحلقت طائرات الحلف قرب الحدود اليوغسلافية لتتهدد ميلوشوفيتش بأن المناورات قد تنقلب في أي لحظة لتدخل عسكرياً ، وعشية نفس يوم مناورات الناتو وصل ميلوشوفيتش إلى موسكو ليجري لقاء مع يلتسين تحت تهديد الناتو بالعمل العسكري .

وقال الجنرال الأمريكي هنري شولتين في اجتماع له بوزير الدفاع الروسي في موسكو إن تحركات الناتو تستهدف تأييد الجهود الدبلوماسية الروسية . وصرحت مادلين أولبرايت بأن : الوقت محدود أيام ميلوشوفيتش . وهكذا تم وضع الرئيس اليوغسلافي بين عصا الحلف وحجرة موسكو . ووقع يلتسين وميلوشوفيتش على بيان مشترك تضمن الالتزامات التالية:

- تسك الجانبين بالحفاظ على وحدة الأراضي اليوغسلافية وإدانة كافة أشكال النزعات الانفصالية .
- التزام الجانب اليوغسلافي بالبدء في المفاوضات مع القادة الألبان حول مختلف القضايا بما في ذلك وضعية الاقليم .
- وقف أية ملاحقات للسكان الألبان والسماح بعودة النازحين دون عبات .

ولكن أنظر نقاط البيان الروسي اليوغسلافي هي تلك التي تشير إلى تقليص وجود القوات الصربية في الاقليم . لأنها تعني فعلياً إسقاط حق يوغسلافيا الاتحاد في الاقليم ، وتعني على المدى البعيد الالتزام إلى الصيغة الشبثانية أي القبول بوجود كوسوفو داخل يوغسلافيا ولكن ليس كجزء من يوغسلافيا ، وهو نفس الحل الذي أصبحت الشبثان مقتصاً داخل روس ولكن ليست جزءاً منها . وهو حل لن يؤدي على المدى البعيد إلا للزيادة من الصراعات . لأنه يطرح مواصلة التفتيش من دون صبغة أو



دبابه
عربة
في
شارع
كوسوفو

خطة للتسوية .

علامة على ذلك فان نقاط الاتفاق تضم بالابهام كالمحدث عن المفاوضات مع الألبان دون الإشارة للأسس السياسية لتلك المفاوضات ، والحديث عن انسحاب القوات الصربية دون ربط ذلك بجدول زمني أو النص على كيفية ذلك الانسحاب . وعادة مايفتح غرض الاتفاقيات الباب واسعاً لتقويضها أو تفسيرها بمختلف الأشكال . وعلامة على ذلك فان الطابع العام للاتفاق هو طابع إجرائي وليس سياسياً .

ومع ضرورة الإدانة الواضحة للتطرف القومي الصربي الشوفيني والمجازر العرقية التي يرتكبها الصرب في حق الألبان الأخرى ، إلا أن الغرب في وقت ما وعلى مدى أكثر من سبعين عاماً بين وجود يوغسلافيا الاتحادية وخلال زعامة تيتو لها كان يعتبر أن يوغسلافيا هي قلعة الحرية في المعسكر الاشتراكي حينذاك نظراً لمواقف الرئيس تيتو المعارضة للاتحاد السوفيتي . ولم يسأل الغرب في حينه عن حقوق الألبان سواء الدينية أو القومية . لكنه الآن يدور دموع التماسيح على الحقوق المهددة للأقليات .

بحرف لدور دبلوماسي مميز . ومع أن قادة أوروبا وقادة حلف الناتو يرفضون - مؤقلاً - انفصال اقليم كوسوفو ، إلا أنهم يسعون لتهميد التربة لذلك الانفصال . ولم يعد ألبان كوسوفو يتحدثون عن الحكم الذاتي ، بل أصبحوا يدعون إلى الانفصال أو الاستقلال الكامل . كما أن عودة المياه لمجاريها أصبحت الآن أمراً مستحتملاً بعد أن استعمر قادة اقليم كوسوفو مقال الحماية الاقليمية الضعيفة .

ولعل أنظر نقاط البيان الروسي اليوغسلافي هي تلك التي تشير إلى تقليص وجود القوات الصربية في الاقليم . لأنها تعني فعلياً إسقاط حق يوغسلافيا الاتحاد في الاقليم ، وتعني على المدى البعيد الالتزام إلى الصيغة الشبثانية أي القبول بوجود كوسوفو داخل يوغسلافيا ولكن ليس كجزء من يوغسلافيا ، وهو نفس الحل الذي أصبحت الشبثان مقتصاً داخل روس ولكن ليست جزءاً منها . وهو حل لن يؤدي على المدى البعيد إلا للزيادة من الصراعات . لأنه يطرح مواصلة التفتيش من دون صبغة أو

بين الواقعية والتخلي عن الهوية



هيلموت كول

الحركة الانتخابية في ألمانيا تزداد حدة وقذارة كما يصفها سياسيون من مختلف المعسكرات. ويقتدر لفظاً اللغة وتنتفي المستوى بجرى الاعتقاد من الموضوعات الأساسية التي تهم الناخبين. وتقوم دعاية أحزاب الحكومة أساساً على تخويف الناخبين من الكارثة التي سيجعلها ألمانيا وأوروبا لو لم ينتخب الشعب الحكومة القائمة.

وتستخيم أحزاب الحكومة كل ما بيندها من حيل لتشويه سماسات وأشخاص منافسيها، بل إنها لم تتورع عن تهديد الناخبين في شرق ألمانيا كما صرح المهر هاينز، الناطق الرسمي باسم الحكومة، بأن السلوك الانتخابي لروايني شرق ألمانيا قد يؤثر على مساعدات الغرب للشرق.

وبدل لمصقات تحمل صورة جوارب حمراء (كدعاية ضد حزب الديمقراطية الاشتراكية الألماني الشرقي) في الحملة الانتخابية سنة ١٩٩٤ نشرت لمصقات ضخمة تحمل صورة بدين متصانفتين (شعار الحزب السابق في جمهورية ألمانيا الديمقراطية - الشرقية) واسم الحزبين الديمقراطي الاجتماعي وحزب الاشتراكية الديمقراطية كتعذيب للناخبين في الغرب من أن يقوم حكم يرتكز على تحالف الحزبين. ورغم أن هذه الدعاية لا تلقى سكان شرق ألمانيا بل تعفونهم إلا أنها قد تكون فعالة في مقاطعات ألمانيا الغربية التي ترى سكانها خلال أكثر من نصف قرن على الحول من الشيوعيين.

ولتهرب من غرض معركة واضحة وحاسمة ضد اليمين المتطرف الذي حقق منذ شهرين أول نجاح له في شرق ألمانيا بدخول برلمان مقاطعة «ساكسن أنهالت» تسلط أحزاب الحكومة النيران على المتطرفين سواء كانوا يساراً أو يميناً، ناهيك عن تبنى سياساتها العملية لطالب اليمين المعادية للناخبين.

المشاكل الحقيقية تتوارى في زحام الدعايات

والمناخ للحملة الانتخابية يستطوع أن يتجهن بسهولة أن الحديث عن حلول لمشكلة البطالة شغلت مكانه حملة هستيرية ضد اليسار وما يشبهه اليمين. وبدل مراجعتهم الخطر اليميني الراديكالي يجري تصعيد الحملة

رسالة لمانيا

نبيل يعقوب

وتصل الدعاية الانتخابية للناخبين فتسرى بين حزب الاشتراكية الديمقراطية والحزب الثاني الذي أشعل حكمة الحرب العالمية الثانية وأغرق ملايين البشر في أفران الغاز.

ولكن مثل هذا التخلي الكامل عن الموضوعية أثار نقاشاً علنياً داخل أحزاب الحكم وردود فعل معارضة عبر عنها عدد من قادة المناهضين أنفسهم. ونفضت الانتقادات الشنودة عن الحول من تطبيع الناخبين في الشرق، ويؤكد أسرار المستشار كبل على صراحة الأطراف الحالي لحركته الانتخابية ما استنتجه بعض المعلقين من أن للحزب الديمقراطي المسيحي قد يفس من كسب أصوات سكان الشرق ويهيمه أن يكسب بحملته في الغرب الأصوات التي تكفي لنجاحه.

الناشطة ضد الشيوعية وعلى ماضى ألمانيا الديمقراطية. وبدل حل مشكلة حق المواطنة لأكثر من مليوني شخص مولود في ألمانيا تتواصل وتتصاعد الحملة ضد العمال الأجانب «جورانت الأجانب» ضد ما يسمى أسامة اللاجئيين لاستخدام الضمان الضممي والاجتماعي. وبدل إجراء نقاش موضوعي عن أهداف السياسة الخارجية يطلق الحزب الديمقراطي الاجتماعي (اليساري) التهديدات ضد جمهورية تشيكيا مطالبا بحق عودة ثلاثة ملايين من الألمان السوديت إلى تشيكيا. وبدل الحديث عن الاقتصاد يصور الهيئة يجري تشويه شامل لسياسات حزب الخضر.

ولهذه البيئة أفرها الذي يتعكس في نتائج استطلاع الرأي. الوضع يوم الأحد

١٩٨٠-١٩٨١ أي ١٢ أشهر قبل الانتخابات:
الاتحاد المسيحي (حزب كول) ٢٧٪ أي
(زيادة ٢٪) بالنسبة للشهر الماضي)
الديمقراطي الاجتماعي ٤٤٪ الأحرار ٦٪
الحضر ٦٪ والاشتراكي ٤٪.

ومع أن الأغلبية لا زالت تتحالف من
الديمقراطي الاجتماعي والحضر إلا أن من
للتحزب هوكر نسبة أصوات هذا التحالف
خاصة وأن الفرق في المواقف يتحالف بين
الكتلتين الرئيسيتين.

الحضر - تراجع أم تصحيح للنهج؟

كانت حصيلة الحملة ضد الحضر دمارا
كبيرا سواء فيما يخص شعبيتهم حيث
انخفضت إلى حد خطر نسبة الأصوات المرفوع
أن يحصلوا عليها في انتخابات البرلمان
حسب استطلاعات الرأي، أو في التغيير الحاد
الذي أجبره في نهجهم السياسي بعد معركة
عنيفة في حزبهم.

وقد تغلغل بالفعل عن مواقف أساسية لهم
وإن لم يأت هذا التغلغل فجأة إذ كان التصدع
باديا منذ زمن في قاسم الحزب حول عدد من
المواقف.

في بداية شهر يونيو عقد الحضر اجتماعا
لقيادات حزبهم في المقاطعات في بادوهرسج
الحزب الراقي في بن والدي أشهر باعتقاد مؤثر
الديمقراطي الاجتماعي عام ١٩٥٩ والذي غطى
فيه عما تبقى عن مواقف ماركسية (شكلية)
كسأت لا زالت مستخدمة في برنامج
هايدلبرج (١٩٦٥) وأعلن أن المجتمع الطبقي كما
وصفته النظريات الاقتصادية في القرن التاسع
عشر لم يعد موجودا ويعرف نفسه على أنه قوة
أصلحية تستهدف الاشتراكية الديمقراطية وتبنى
فيه كنبداً أساساً اقتصاديات السوق الاجتماعية
ورقفت على أرضية سياسات اندماور المتحالفة مع
الغرب.

وتحت ضغط غارات إعلامية متواصلة منذ
مؤثر الحضر في ماجدبورج (مايو ١٩٩٨) والنتائج
التي تسببت باستطلاعات الرأي أقر حزب الحضر بحد
منافسة برنامجا جديدا موزعا بتأني في نقاط
جوهريّة البرنامج التي أقره مؤثر الحزب في
ماجدبورج في محاولة لتأخذ الوتر.

صحيحة تأني القريبة من الحضر كتبت يوم ٨
يونيس أن التصريحات التي تلقوها في الأسابيع
الماضية والخوف من السقوط تحت علامة الحزمة
بالأمة دفعا المؤثر الصغير للحزب (اجتماع
القيادات بالمقاطعات) ليفهم خيرة اتخاذ موقف
محدد.

ولكن التصحيح الذي أجري على البرنامج لم
يقصر على أسلوب الطرح كما قال بعض النقاد
بل تعداه لتقضايا جوهريّة قيّمت بها برنامجهم.
تخلوا عن مبروفهم من المسببات
الشمسكية خارج الحدود وأبدوا الدور
العنصرية الألماني في البرصة وذاً تطورات

الموقف في كوسوفو لتدفع الحضر إلى أبدي
الذين من البداية عملوا على عسكرة السياسة
الخارجية.

انتهت تماما مطالبتهم بالخروج من حلف
الثانو.

تخلوا عن موقفهم من أسعار الطاقة.
شذوا حملة على حزب الاشتراكية
الديمقراطية لا تقل في فجاعتها عن حملة
أحزاب الحكومة.

كشفت صحيفة فرانكفورت وروندشاو
(٦-٨) : يمثل مجلس المقاطعات المفقود في
باد جوهرسج علامة على تحول عميق في
تاريخ الحضر.. إن فرصة المشاركة في الحكم
والتي لم تكن مستعدة أبداً غيرت الحضر
وبشكل باق .. أنهم يظهرون بصوت أعلى من
أي وقت يمكن حزبهم بوصفه القوة الثالثة في
بنية الأحزاب في ألمانيا الاتحادية . ولهذا
بالتحديد يصبحون أكثر فاعلا وحيا عاديا
جداً.

حزب عادي جدا تعنى أنهم سيقلبن ما تقبل
الأحزاب الحاكمة في ألمانيا وترفض ما ترفضها ..
أي عبارة أخرى أن البراجماتية - كما تسميها
القوى السائدة - ستتصير أيضا في حزب الحضر
على الصعيد بالمهاو. كنا قد سبق أن أشرنا في
العدد الماضي من اليسار إلى الدور الهام الذي
لعبه وطعمه أمل المشاركة في الحكم في طرح
الأحزاب. ولكن القدر أن هذه الألفية بيت بالنسبة
لمشاركة الحضر في حكومات عدد من المقاطعات
أنها قادرة على دفع الأحزاب لتكيف نفسها مع
النهج الأساسي السابق.

وفي محاولة لنهم الضغط الشديد الذي بدفع
الحضر للتخلي عن مطالب محورية في برنامجهم
السياسي كتبت اليومية تانس : «هناك أيضا سبب
أهم لحكم التركيز لأن على الاستعفاء من
استخدامات اللرة. خلافا لبيئة التمانينات أصبح
الحضر في البطالة وخطر الاحتسار المادية وسط
مخوف الحضر والتخفيف أكبر بكثير من خوف من
والرس الذي أخطر الحضر أن يتعرضوا بعد شدي
بعد مؤثر ماجدبورج هو الضغط أن مؤسسيهم
يخشون تردى مستوي وفاقيتهم أكثر من خوفهم
من تعمير الأسس الطبيعية للحياة. إن أنصار ما
بعد المادية يعيدون بسرعة ليصبحوا ماديون عندما
برامجهم على مسقطهم الاجتماعي. هذا هو
السبب الذي وضع الحضر في الموقف
الداخلي» (٦-٩).

ولكن الموقف تدهور بسرعة أكثر وشمل
مجالات لا تعاني من ابتعاد الحضر عن فهم
الهموم الاجتماعية للجماعة. أيضا في مجال
السياسة الخارجية ضحوا بمواقف أساسية
مفضلين السير مع التيار السائد وقد ذكرنا
أنهم استقروا تحفظاتهم على مشاركة ألمانيا
في عمليات عسكرية خارج الحدود
وللحساب المعلن الموقف الجديد في

البرلمان دالة هامة على الصراعات الخروقة في حزب الحضر.

جلس نواب الحضر في البروندستاغ
(متنصف يونيو) يستمعون إلى تقرير وزير
الدفاع لهم بصحب كلمة قالها رئيس حزبهم
يورينج تيرين : البرلمان التلانيه الذين شلهم
وأربكم الخجل في مواجهة معلمهم تتألت
كلمات الاعتذار عن قول رئيس حزبهم ووصل
الأمر أن يتسبلي رئيس الكتلة البرلمانية
للحزب في البرلمان يوشكا فيشر علنا في
زميله ورئيس حزبهم ، وتبعه عدد من نواب
الحضر الآخرين.

وكل ما قاله تيرين لم يخرج عن تزييد
مواقف تقليدية للحضر وهم معززون بوقوفهم
التقليدي ضد مظاهر العسكرة يعتبرونها من
مخلفات العهد السابقة على اقامة الديمقراطية.
وكان تيرين قد تحدث في مظهره لانصار السلام
في برلين ضد احتفال عسكري نفسه وزير الدفاع
في وسط المدينة أمام مجلس الحكم المحلي ليلقي
قسيه الجندون الجدد القسم وقال أن تنظيم هذا
الاحتفال في اليوم السنوي للذكرى المجزرة الجساعية
التي نظمها جيش هتلر في قرية ليدشيش التشيكية
أتأتا الحرب العالمية الثانية بعد رجوعا بالجيش
الألماني إلى التقاليد العسكرية للفيرماخت (جيش
هتلر).

ولعلت صحيفة قريبة من الحضر بأن فيشر
«صعب لأحزاب الحكومة أن تصيق الحضر أمامها» .
والقول الذي يصبر عنه العديد من أنصار
الحضر بنكس في سؤا لهم من الحد الذي مسعد
إليه هذه التراجعات وأين مستقرف ٢ . وإن كان
الحال هكذا قبل الانتخابات والمشاركة في الحكم
فما بالك بالترجمات التي يمكن أن تحدث خلال
عملية تشكيل الحكومة بعدها.

محل جرفة تأني يجيب على السؤاين
بقوله : في زمن البطالة المتصاعدة وتدهور الجو
الاجتماعي والتعصبة المنتشرة بسزعة بسبب ذلك
وقر جانبية الشعارات البيئية الراديكالية لا تقل
الحكومة المشتركة من الديمقراطي الاجتماعيين
والحضر اختيارا ليدل محاقلي بل تقل التتظيم
المجهد لأمل الشروع.

التحولات الجارية في سياسة حزب الحضر تقل
تغيرها في الخروقة السياسية في ألمانيا في
القاء استسبرار - إلى هذا الحد أو ذاك -
للمسياسات القائمة، وهي تحير الناخبين وتسبب
لانصار تغيير السياسات خيبة أمل . والحضر
الذي يراه انصار التغيير في ألمانيا أن هذا
الوضع الذي يتسم باللايقين قد يدفع أوساطا
واسعة من الناخبين لتفصيل انتخاب ما تعرفه
بدلا من الغامرة . وهذا بالتحديد شعار رئيسي
لأحزاب الحكم.



* يدفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع ان البعض من فرط يأسه وسخطه على مايجرى برفع ومن جديد رايات الستالينية فيكون كطبيب يصيب مريضه بالايذ في محاولة لشفاة من الاثفلونزا. سلطة زائدة تشرم فساداً ، اما السلطة المطلقة فتشرم فساداً مطلقاً

«لورد أكتون»

«ليس في العلم طرق مهيمنة .. وإن يضل إلى زركته المشرقة سوى هؤلاء الذين لا يخشون عثا. تنلق مسالكه الزمرة .

ماركس

ستالين .. هل كان لازما

وهل يلزمنا



المسالمة.

- في الرجل .. القوة

- في المرأة ؟ .. الضعف.

- ما هي السعادة ؟ .. التضال.

- من هو شاعرك المفضل ؟ ..

شكسبير - جوته.

- وكاتبك المفضل؟ .. ديدورو.

- ويطلقك ؟ .. سهارتاكوس.

- طعامك المفضل؟ .. السمك.

- قول مأثور .. كل ما هو إنساني

ليس شريفاً عني.

- شعاورك؟ .. لنضع كل شيء موضع

الشك.

(ذكريات عن ماركس وإنجلز - موسكو

١٩٥٦) - ص ٢٧٤]

هذه « الاعترافات » التي يبدو بعضها

ساذجاً مثل حب المرأة والقوة في

الرجل .. تحولت إلى أرقام جرى التصكك بها

.. فالقوى الحقيقية يجب أن يكون على مثال

ماركس .. حتى في حبه للسمك، أو

لشكسبير.

وهكذا فإن هذه الاجابات المختصرة

والمبهمة تحولت إلى إيقونات يتجلى بها

الجميع .. بل لعل البعض تصور أنها جزء من

الماركسية ذاتها، رغم أن ماركس كان من

الاحتمال أن يجيب بغيرها في « إعراف » آخر

.. ولكن هكذا كان الأمر دوماً.

ولكن تكون منصفين فإن تقدس ماركس

وقبل ان نبدأ علينا ان نفايز بين ثلاثة موضوعات تتفصل بالضرورة وتتداخل بالضرورة ايضا ، تتداخل إلى درجة ان البعض ينظر اليها كشئ واحد ومصمت ، وهذه الموضوعات الثلاث:

١ - الماركسية كنظرية وفكر أرسى لبناته ماركس وإنجلز.

٢ - الصراع الطبقي والسياسي الذي تدعو اليه وتستدعيه وتنظمه الفكرة الماركسية.

٣ - التطبيق .. الذي يتحقق كثمرة لهذا الفكر المنفوس في غمرة الصراع .

ولكن نفهم الستالينية .. وبراعتها وحقيقتها مواقفها يتعين ان نفايز بين هذه العناصر الثلاث، وان نحاول ان نحلل بعضا من تشابكاتها وتقاطعاتها.

ونبدأ بالمقطع الاول من هذه التركيبة المتشابهة.

١ - ماركس .. العالم . الفيلسوف، الاديب أخذ الماركسيون ككل مجمل . وتقسكو بكل ما قال وكل ما نسب إليه.

وحتى عندما كان ماركس شابا في طور التكوين ... أو عندما كان يلهو ، كانت أقواله تتحول إلى مقدمات.

ففى زمانه كانت هناك مثلاً لمية تسمى « للاعتراف » وفي لهور مع بناته سجلت له هذه الاعترافات.

- ما الذي تحبه في الناس ؟ ..

لم يكن إختارعا سوفيتياً .. بل أتى في الأساس من رفاقه في « نادى الدكاتره البروليتيين » وكان المنتدى الفكرى للدهليجيين الشباب الذين إنبهروا بحق بالدكتور ماركس الذي يجاسر بانتقادات حاسمة ومهكمة للأسطوره الفلسفية « هيجل » ، وانتقادات أكثر حده لبرودون وفيرباخ ودورنج .. فالتقوا حوله مسجلين إعجابهم .. وان لم يتبادوا معه في مواصلة طريقه.

وذاث يوم كتب أحدهم « - لتصور ان روسو وفولتير وهولباخ وهابنه وهيجل قد تجسدوا .. أقول تجسدوا وليس مجرد إجتماعا في شخص واحد .. ساعتها سيكون لديك فكرة عن د. ماركس »

[ستيانوا - كارل ماركس ، سيرة وحياة - ص ١١]

وعندما أتى السوفيتيت إقتبسوا .. من ماركس ، وأقاموا مؤسستهم ، وتوجروا فوقها هذا العالم القذ الذي هو أركان الفكر والتطبيق الرأسمالي .. وتحت تاج ماركس ومعونه ، أو بالذقة بالتستر خلقه توجروا أنفسهم كمباخرة هم ايضا ، ومتحوا كل ما يفعلون وكل يقولون صفه الصغه المطلقة ..

يقول لينين « ان نظرية ماركس مطلقة القوة ، لانها ضحيية قائما » (لينين

الصادر الثلاث للماركسية - الطبعة الانجليزية).

لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة.
فلنستعرض نظرية صحيحة تماما ولا
نظرية مطلقة القدر .. ألم يقل ماركس في «
إعترافه أن شعاره هو : أن تضع كل شيء
موضع الشك؟»

كل شيء حتى أفكاره فهو .. يجب أن
توضع موضع الشك .. فماذا لو حارلنا أن
ننقل؟

إنتقد ماركس منذ أن كان شاباً ٢٥
سنة المنهج المثالي الذي تقوم عليه نظرية
الحق عند هيغل وقال إن هيغل « قلب الذات
إلى موضوع، والموضوع إلى ذات ، وحول ما
هو جوهري إلى عرضي ، وما هو عرضي إلى
جوهري ، وكان ماركس محققاً حقاً في إنقاده
للأدع ليهيغل إذ حاول الخلط في « مجتمعه
المدني » بين ما هو حق وما هو باطل ، ما هو
ظلم وما هو عدل.

بين المالك الاستغلائي، والعامل الذي
يعاني من الاستغلال.
وانتقد ماركس نظرية الدولة عند هيغل ،
وأكد أن الدولة هي تجسيد نظم الطبقات
الظالمه .. وكان على حق في ذلك تماماً ، ثم
قماي فأكده انه حيث لا ظلم (أي حيث تقوم
الاشتراكية) فانه لا دولة. [١٤].
والحقيقة أن هيغل قد أقام فلسفة ونظرية
الحق عند علي قوائم أربع:

- المجتمع المدني كمظهر يجسد الدولة
المدنية.
- مفهوم عالمية التاريخ باعتباره مسيرة
لتشكل ونمو وسقوط وإنحلال الأمم.
- الدولة كجماعة سياسية أو أمة منظمة
سياسياً ذات مظاهر قومية وحضارية وثقافية
متمايزة.

- التحقق الذاتي للوعي والحريه
والممارسة من خلال نشاط الأفراد في هذه
الأمم، والتمايز بين هذه الأمم زماناً ومكاناً.
وقد ركز ماركس مدفعيته الثقيلة على
التنصيرين الأولين دون أن يمس بالنقاش
المتنصرين الآخرين بمحاولتها تقسيمها للجميع.
وعبر نقده الحاد لهذه « الدولة » المستبدية
الفاشنة التي يروج لها هيغل ، توصل
ماركس إلى فكرة أولية تقول أن الدولة أداة
قهر طبقي . وفقاً صحيح ، ولكن ماذا
يحدث عندما تتسلم البروليتاريا السلطة؟
والإجابة : تظهر خصومها مستبدية
الأمم (دكتاتورية البروليتاريا) وهذا هو
العدل. ولكن كيف ستواصل البروليتاريا
سليقتها ؟ .. لم يهتم ماركس كثيراً بالإجابة ..
فحيث لا تكون هناك حاجة إلى قهر (بعد

تصفية الطبقات الظالمه) .. لن تكون هناك
حاجة إلى دولة ، مستقبل الدولة كيف؟ وجبى
؟ وإلى أين ؟ لم يقل
يقول لينين « لقد استخلص ماركس من
دراسته الشاملة للتضال الاشتراكي والسياسي
أنه لا بد للدولة أن تزول .. وأن الشكل
الانتقالي للدولة (أي الانتقال من مرحلة
الدولة إلى مرحلة اللادولة) هو البروليتاريا
المنظمة في إطار طبقة حاكمة ، لكن ماركس
لم يحاول اكتشاف الاشكال السياسية لهذا
المستقبل » كتابات لينين حول كوميونة
باريس. ص ٦٩.

وقد جاء الأساس الفكري لهذا الافتراض
في كتابات إنجلز إذ يقول « عندما تسقط
الطبقات ، وستسقط حتماً بنفس الحشية
التي نشأت بها ، ستسقط معها الدولة لا
معالجة ، وسوف يضع المجتمع الذي سيعيد
تنظيم الانتاج على أساس إنجاد حر وعادل
للمنتجين ، كل مأكية الدولة حيث ملأها
الممكن الوحيد ، في متحف الآثار جنباً إلى
[جنب مع العجلة الدوارة والبطلة البرونزية «
إنجلز - نشأة الأسرة والملكية الخاصة والدولة
الجزء - المؤلفات الكاملة - المجلد ٣ - ص ٣٧].

وبعد إنجلز ليضع .. « تستولى
البروليتاريا على السلطة السياسية ، وتحول
وسائل الانتاج إلى ملكية الدولة ، لكنها
وهي تفعل ذلك تلقى نفسها كبروليتاريا ،
تلقى الفريق الطبقي والعداوات الطبقي،
وتلقى معها الدولة كدولة .. إن إزالة الحكم
الطبقي تعني أنه لم تعد هناك حاجة إلى
القمع ، ومن ثم لا حاجة إلى قوة خاصة للقمع
، أي لا تكون هناك حاجة إلى الدولة : أن
الدولة لا تلقى ، إنها تتدثر »

(إنجلز - عن الاشتراكية الطوباوية
والعلمية - المؤلفات الكاملة - مجلد ٣ -
ص ١٤٦).

وتستخرج عبارتين .. نتأملها ..
- أن الدولة ستندثر لانه لم تعد هناك
حاجة للقمع .. هذه العلاقة السببية يفهم
منها: طالما تبقى الدولة يبقى القمع.
- سيقوم المجتمع على أساس
إنجاد حر ومتساو للمنتجين .
كيف؟ لم يقل ماركس أو إنجلز
ههنا حول هذا الموضوع.

هذه العبارات أربكت ولم تزل تترك كل
مفكرى الماركسية .. لأن ماركس الذي أتقن
فن تشريع المجتمع الرأسمالي لم يقدم لنا - لا
هو ولا إنجلز - سوى هذه العبارات البهيمه
عن مجتمع الاشتراكية.

انها عبارات خيالية دفعت .. عند تأملها
بأحد المفكرين المعاصرين .. إلى وصفها
بالطوباوية .. وعلى الرغم من رغبة ماركس
في جعل خطابه علمياً إلا أنه لم يستطع
التخلص من الإغراء الطوباوي .. فهو في
« رأس المال » و « شرح برنامج جوته » يلهم
لنا بأشارات عن عصر ذهبي سيأتي في
المستقبل .. تخفى فيه الطبقات والدولة،
ويكف العمل عن أن يكون ضرورة ، ويحصل
فيه الانسان على قدر حاجته .. وهو باختصار
عصر تخطو فيه الانسانية أخيراً خطواتها نحو
ملكه الحرية (موريس جودالييه - إعادة
قراءة أعمال ماركس - دراسة ضمن كتاب
ص ١٤٢ ص ١٤٣).

اما الموضوع الثاني الذي ركز عليه
ماركس جهره وتطويرو في أن واحد خلال
نقده لنظرية هيغل عن « الحق » و « المجتمع
المدني » فهو عالمية التاريخ باعتباره مسيرة
موجلة الخطى لتشكّل ونمو وسقوط المجتمعات

ومن خلال نقده الحاد لرؤية هيغل حول
هذه القضية توصل ماركس إلى فكرة
التشكيلة الخماسية التي يتساق نحوها العالم
أجمع .. عبر مسار تطوره [المشاعية البدائية
- الانقطاع - الرأسمالية -
الاشتراكية -] .

ولعل إنجلز كان مرفح الحس تماماً عندما
كتب في « تطور الاشتراكية من طوباوية إلى
علم » عبارتين مظهرتين ، لكن أحداً لم
يلفت اليهما . الأولى .. « كانت النظريات
غير الناضجة متمشيه تماماً مع الحالة غير
الناضجة للانتاج الرأسمالي والعلاقات
الطبقي غير الناضجة » . والآخرى : « كان
تحويل الاشتراكية إلى علم يتطلب أولاً وقبل
كل شيء غرسها في تربة حقيقية .
لكن المفكرين اللاحقين .. والمطبقين
للفكر خلال عملية البناء السوفيتي أخذوا
« المطلقات » توفقوا أمام « الجملة الزرانة
ليرددها زانفكرو بذلك
ونجاهلوا في ذات الوقت ملاحظات
وشروط هامة .

وإذ يؤكد ماركس « وهو على حق تماماً
- أن تطور أدوات الانتاج يخلق عتصراً حاسماً
في عملية التطور للمجتمع »
ويقول : « إن العلاقات الاجتماعية
ترتبط أوثق الإرتباط بالقوى المنتجة وأن
الناس باكتسابهم لقوى منتجة جديدة يغيرون
أسلوب إنتاجهم.

« دمج تغير أسلوبه الانتاج فانهم يغيرون علاقاتهم الاجتماعية بأسرها .. ان الطاحونة اليدوية تعطيكم مجتمعاً يقف على رأسه السيد الاتحادي ، بينما الطاحونة البخارية تعطي مجتمعاً يرأسه الرأسمالي الصناعي » .

[ماركس - يؤس الفلسفة - رد على فلسفة المؤس للسيد برودون - المؤلفات ج ٤ - ص ١٧٣]

وتتوقف قليلاً لتأمل ، ونلاحظ أن :
- فكرة الدولة الفاضلة جداً عند ماركس إنعكست بالضرورة على محاولات التطبيق السوفيتية . وبدلاً من القول صراحة « إن ماركس لم يقل .. » بدأ الاعتماد على نصوص متزعة وغامضة تزيد الأمر صعوبة ، مثل ذبول الدولة .. وفكرة الانتقال .
- فكرة أن الدولة أداء قمع طبقي .. إنعكست أيضاً على التصرفات والممارسات في دولة الهولوتاريها . وصيارة « دكتاتورية الهولوتاريها » التي ربما كانت تعبيراً فلسفياً أو حتى أدبياً ، تحولت إلى مفصلة حادة النصل ، وأداة قمع لا مثيل له .
- فكرة عالمية المسار التاريخي ، والتشكيلة الخامسة تحولت إلى زعم بأن العالم « أجمع » سيسير « حتماً » عبر مسار موحد .

وهو أيضاً أحادي الاتجاه .. أي متطلق دوماً إلى الامام فكما أن الرأسمالية لن تتراجع إلى إقطاعية . فان الاشتراكية متطلقة حتماً إلى الامام دون تراجع . « حتمية انتصار الاشتراكية » (بكل ما يحمله هذا من النفاذ عن الاخطاء) .

- فكرة أن تطور دول الانتاج هو العنصر الحاسم في تطوير التشكيلة الاجتماعية . أدت في زمن ستالين إلى إنذاف عملياته التصنيع الهائلة التي كانت عجالاتها تدور متجاهله ملايين الفلايين وضائير المثقفين وحقوق الأفراد (وهو ما ستفصله فيما بعد) .

لماركس كان يؤكد دوماً انه يقدم أفكاراً تعتمد على التجريد ، وعند التطبيق يتعين الخروج عما هو « مجرد » إلى ما هو « واقعي » .

ويقول في مقدمه الطبعة الاولى لرأس المال « إن دراسة الجسم المنظور أسهل من دراسة خلية هذا الجسم . كما انه لا يمكن لدى تحليل الاشكال الاقتصادية - إستخدام الميكروسكوب والكواشف الكيميائية - بل

يجب على عملية التجريد ان تقدم بذلك » [ماركس - رأس المال - ج ١ - ص ١٧٢]
ويقول : « لا يمكن للمجتمع حتى ولو عثر على القانون الطبيعي لتطوره .. لا أن يقفز عبر الاطوار الطبيعية للتطور ، ولا ان يلغيا براسمهم (يستعدون إلى التطور بقوة الرأسمالية) وعندها عند الحديث عن ستالين أ. ولكنه يستطيع ان يقلص او يخفض من آلام المخاض » [المرجع السابق - ص ١٦٥] .

أما ستالين فقد ضاعف عشرات المرات من آلام المخاض .

كذلك فان ماركس لم يتخيل مجتمعات نقية من الماضي أو حتى من المستقبل : « وإلى جانب المصائب الرائجة فان هناك الكثير من المصائب الموروثة » . إن أساليب الانتاج العتيقة والبالية وما يلزمها من علاقات إنتاجية وسياسية قديمة العهد لا تزال تحيا فحين لا نعانى فقط من الاحياء ، بل من الأزمات أيضاً ، بل إن الميت لم يزل يسك بتلابيب الحى » [المرجع السابق - ص ١٦٥] .

وقد عبر عن ذلك ويوضح تام فارجا إذ يقول : « لا توجد ولم توجد أبداً أشكال نقية للانتاج ، فهي تمر بتغيرات مستمرة ، وبالإضافة إلى شكل السائد توجد دائماً بقايا الماضي ، ويؤثر أشكال الانتاج التي منظره في المستقبل » .

[y. varga - politico - economic problems of capitalism. (1968 - p. 343)

لكن إعتراف فارجا جاء متأخراً . وبعد أن إستخدم ستالين كل عنف ممكن لإقتلاع الاشكال القديمة . إقتلاعاً لا يستند إلى فهم حكمة التطور التاريخي ، ولا المصالح الأثنية للمنتجين الصغار في الريف بكل ما ترتب على ذلك من عنف وقسوة .

أما عن عالمية ووحادية المسار التاريخي (التشكيلة الخامسة) فان إنجليز قد حرص أكثر من مره على تحذيرنا من أن نأخذ هذا المسار العام « كمعبر لتجاهل نمايز مسارات الشعوب والأمم المختلفة » .

ويقول صراحة « إن الفهم المادي للتاريخ يعني أن تاريخ الشعوب ليس متطابقاً بل هو يختلف من شعب لآخر ومن بلد لآخر ، إذ تؤثر فيه الظروف الطبيعية والحالة الجغرافية والعلاقات العرقية والقومية المتراكمة عبر قرون طويلة وهناك أيضاً تأثير الأديان ، وخاصة كل دين .. ومختلف التأثيرات التاريخية وعادات الناس وطباعهم بل وخصائص قادة التحركات الاجتماعية

والسياسية ولهذا يستحيل أن يوجد تكرار أو تطابق حرفي . مع الاعتراف بوجود القانون العام » [إنجليز - عن الاشتراكية الطوباوية والعلمية - المرجع السابق - ص ٣١]

وحتى في اطار أوروبا ذاتها . وليس العالم الشديد التنوع (فان إنجليز يحذر من عدم الاعتراف بخصوصية الصراع السياسي الحاد في فرنسا الأمر الذي يقطن إختلاف المسار الفرنسي عن غيره من المسارات الأوروبية .. ويقول ان التطور في أغلب دول أوروبا إتخذ الطابع الارتقائي evolution - انقلابي الطابع الثوري (الفرنسي) revolutionist [إنجليز - مقدمة الطبعة الثانية من كتاب الماركس ١٨ برومبير - لويس بونابرت] .

ولو تأمل الستالينيون وورثتهم هذه العبارات لما فرضوا على دول وشعوب أخرى مختلفة العراش والقدرات والحضارات والثقافات والديانات ذات المسار الذي إختاروه لتفهم ، والذي تصوره وصوره على أنه التطور الوحيد والمحدد للفكر الماركسي في بناء دولة ومرحلة الانتقال أي الدولة « الاشتراكية » .

لكن ما حدث هو انه منذ التطبيق الاول في الاتحاد السوفيتي جرى تجاهل الفروق الظاهر بين مختلف الشعوب واللاتيات وبين الشعب الروسي .. ثم فرض ستالين فهما عالميا حتى لا يفكر هو .. ثم فرض كل تصوراتته على دول المنظومة الاشتراكية ، وعلى كل الشيوعيين في العالم .

وحتى بعد المؤثر العشرين .. ظل الستالين السوفيتيت يفرضون تصوراً موحداً .. على الجميع ، و « بالمصادفة » كان هذا التصور الموحد الواحد .. هو دوماً تصوره هم ، إنها بقايا الستالينية التي ظلت رابضة في العمق السوفيتي حتى آخر تنسمات حياته .

ثم نأتى إلى العنصرين الآخرين .. الصراع الطبقي ومن ثم التطبيق . فماذا قال ماركس ؟

لقد اعتبر ماركس أن التطبيق هو الاساس وهو المعيار .

يقول إنجليز « إن الجيتن العبقري للمفهوم الجديد للعالم كان كتاب « ماركس : موضوعات بين فيونباخ » [المؤلفات الكاملة ج ٢٤ - ص ٢٢٠] .

والفكرة الرئيسية: الخطأ الأحمر الذي يخترق الموضوعات جميعاً في هذا الكتاب. هو دور التطبيق الثوري في تحويل العالم. وينتقد ماركس فيودوراف على الطابع التاملي الحامل لادوية. ولعلهم فهم لدور النشاط التطبيقي الثوري، إن التطبيق بالنسبة لماركس هو أساس المعرفة الإنسانية، وهو «مقياس الحقيقة لأية نظرية»، وهو فوق ذلك الوسيلة لتطبيق النظرية التطبيقية في واقع الحياة... إن الفلاسفة لم يفعلوا أكثر من تفسير العالم بأشكال وصور مختلفة، ولكن المهمة الحقيقية تكمن في تغيير العالم وليس في مجرد تفسيره» (المؤلفات الكاملة - ج ٣ - ص ١٣).

لكن ماركس كان حذراً جداً، فعطروا من محاولة الإسراع في فرض التطبيق على واقع لم يتضح بعد لتقبله. وعطروا من إقراض أن الإرادة الثورية «وحدها كافية للفرز فوق المراحل... وفوق الواقع الموضوعي ونقرأ... إن تشكيلاً اجتماعياً ما لا يزول قبل أن تنمو كل القوى المنتجة التي يتسع لاحتوائها. ولا يمكن أن تحمل محل هذا التشكيل علاقات إنتاج جديدة ومتقدمة ما لم تتضح شروط الوجود المادي لهذه العلاقات في قلب المجتمع القديم. ومن أجل ذلك فإن الإنسانية لا تطرح على نفسها قط سوى تلك المسائل التي تستطيع حلها، أي تلك التي تتوافر الشروط المادية لحلها. أو تكون على الأقل على وشك التحقق» (ماركس - إسهام في نقد الاقتصاد السياسي - ص ٢٦).

وهو يفسر ذلك بشكل أوضح قائلاً: «وتتناقض قوى الإنتاج المادي في مجتمع ما وفي مرحلة معينة من نموها مع علاقات الإنتاج القائمة، ومع علاقات وأشكال الملكية التي فت في إطارها. ومن ثم تتحول هذه العلاقات من أشكال لتتو القوى الإنتاجية إلى عوائق في وجه هذه القوى. وعندئذ يبدأ عهد جديد من الثورة الاجتماعية» (المرجع السابق).

لكن ماركس مع حذره الشديد تصور أن «أزمة اقتصادية» في المجتمع الرأسمالي تكفي لإنهياره.

«لقد اعتبر ماركس وإنجليز أن المقدمات الموضوعية للإنتقال إلى الثورة البروليتارية تتحقق فعلاً بسبب من الآثار الاقتصادية لأزمة عام ١٨٤٧» «واعتبر ماركس ذلك مؤشراً على قرب فناء الرأسمالية، ومقدمة لاتنصار البروليتاريا الوشيك».

ولم يدرك ماركس (و رغم دراسته العميقة

أليات المجتمع الرأسمالي). أن الأزمة الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي يمكن الخلاص منها غير مرونة النظام الاقتصادي الرأسمالي، وقدرته على تقديم تنازلات للعمال، وإلقاء عبء الأزمة على كاهل الحرفيين والفلاحين» (ستينبراق - المراجع السابق ص ١٧٢).

وقد اكتشف لينين هذا الخطأ «الذي وقع فيه عقلاني الفكر الثوري» (لينين - المؤلفات - ج ١٥ ص ٢٤٩).

لكننا نكتشف أن ستالين عاد ليناقض ماركس من مبادئه وخاصة في مسألة الفلز الفعل والفعل فرق مراحل غير وتعاقب التشكيلات الاجتماعية (وهو ما منفصله فيما بعد).

«لكل ذلك سكتشتف أن «ستالين» ظل يبالغ دوماً في آثار أزمات المصحات الرأسمالية الأمر الذي دفعه إلى حسابات خاطئة، فقد بنى كل حساباته في كتاب «الفضايا الاقتصادية للاشتراكية» على أن الاحتمال الأكبر هو إن تشب الحرب العالمية الثالثة بين الدول الرأسمالية وبعضها البعض، وذلك عبر صراعاتها الناجمة عن أزماتها الاقتصادية وهو ما لم يحدث. و على أية حال. هكذا كان ماركس.. فكيف كان ستالين؟

نهداً أولاً بالخطوة الأولى.. بلهينين.

لقد أعلن لينين منذ البداية تسكك ماركس وبشكل تصورات ومقولاته عن دولة البروليتاريا.

ونقرأ: «إن مشكلة حيوية وملحة تواجهنا، هي مشكلة تنظيم وإدارة الدولة، فلا يكفي مطلقاً أن ننشر بالديمقراطية، ولا يكفي أن نعلن تسكتنا بها، أو أن نصدر بها مرسوماً، ولا يكفي أن نعطى لممثلي الشعب توكيلاً بالادعاء عنها، أو بتبنيها.

إن الديمقراطية يجب أن تهني على الفور من أسفل.. ومن خلال مبادرات الجماهير ذاتها.. من خلال مشاركتها الفعالة في كافة مجالات نشاط الدولة ودون أي إشراف من أعلى.. ودون.. أي.. تحكم ببروقراطي» (لينين - خطاب أمام مؤتمر نواب الفلاحين - المؤلفات الكاملة - ج ٢٤ - ص ١٦٩).

ثم هو يفرج حلم ماركس ترجمه روسية صحيحة: «إن هفتنا هو إن تضمن أن كل كادح بعد أن ينهي واجباته غير ثماني

ساعات من العمل المنتج سيقيم بقطوعاً بواجبات الدولة دون أجر.. والانتقال إلى ذلك صعب للغاية ولكنه وجده الذي يضمن التوطيد النهائي للاشتراكية» (لينين - عن المهام المعالجة للحكومة السوفيتية - المؤلفات - ج ٢٧ ص ٢٧٧).

بل إن لينين يكرر جرائها ويالنص آراء ماركس «يتعين أن يمارس المتدوب عمله العادي لثماني ساعات، ثم يمارس عمله التنفيذي بعد ذلك، بحيث يتضح الجميع ببروقراطي بعض الوقت، كي لا يستطيع أحد أن يكون ببروقراطي كل الوقت» ويقول: «إن الجماهير لا تقارس سلطتها بالانتخابات فحسب وإنما بالحكم المباشر، سوف يكون الجميع حكاماً، وبين ثم.. سوف يعتادون على ألا يحكمهم أحد» (المراجع السابق).

وهكذا ترجم لينين رؤية ماركس ترجمة روسية «صحيحة» بل قدم الدليل على أن تعبير «دكتاتورية البروليتاريا» هو تعبير أدبي محض يمكن بل يجب الاستغناء عنه كي لا يساء فهمه فسياء استخدامه.. فليتين مثله مثل ماركس يصعب الفهم.. كل الحرية للجماهير.. أي يعطى البروليتاريين وغير بروليتاريين بل إن البروليتاريين على زمن لينين كانت أقلية محدودة العدد بالنسبة إلى مجسعي الفلاحين والبرجوازية الصغيرة.

لكننا ولكي نكون متصفين.. نشير إلى أن هذا الأمر الذي يبدو سهلاً ومتفقاً من الناحية النظرية كان بالغ التعقيد في التطبيق ومن نواح عدة:

١- فالدولة التي أكد ماركس وإنجليز أنهاستبدل.. يتميز وجودها البريوقراطي بفعل الصراعات الخارجية والداخلية والضرورات العميلة.

٢- فالرأسمالية التي تصور ماركس أنها ستتهار بفعل الأزمة الأولى، تتجاوز الأزمة وتخرج منها أكثر قوة، وأكثر وحشية.

٣- والتخطيط المركزي المحكم.. والضروري.. يتناقض تناقضاً واضحاً مع الدعوة لاطلاق المبادرات الجماهيرية من أسفل.. ودون أي رقابة من أعلى كما يتناقض مع فكرة ذبول الدولة.

٤- والدولة تقدم التعليم والثقافة والمسرح والسنيما والصحة.. الخ بشكل مجاني.. ومن ثم هي لا تذبل بل تتعزز.. ويجب أن تتعزز.. وهي أيضاً تشكل الرأي العام وفق رؤيتها.

٥- والعامل الذي يعمل ثماني ساعات

عمل يومياً لم يعد يجد لا الوقت ولا القدرة ولا المعرفة ولا التخصص الكافي لممارسة شئون الحكم، ومن ثم لم يعد بالإمكان أن يكون الجميع بيروقراطيين بعض الوقت.. فتكرس وجود بيروقراطية تهيمن على كل شيء، كل الوقت.

* وفكرة المزج بين السلطات « السوفيات تشترع وتنفيذ وتحكم » (وهي فكرة أخذها ماركس من تجربة الكوميينا) تحولت في ظل تشديد قبضة البيروقراطية وإحكام التخطيط المركزي ، إلى أداة لمزيد من التحكم البيروقراطي من أعلى.

* والحزب الذي إقتضى فيه أن يمثل الإرادة الثورية للجماهير تحول إلى أداة للتحكم في الجماهير فبصر فكرة الاتحاد المتصادمة والمتمركزة ، نأيت الطبقة العاملة من الشعب ، والحزب عن الطبقة ، والمؤتمر عن الحزب .. وهكذا صعدوا حتى السكرتير العام الذي تجسدت فيه عن طريق الإنابة سلطة هائلة يستمد منها من كونه ممثلاً للشعب والثورة والطبقة والحزب والنظرية ، وضاعف من هذه السلطة التمسك بفكرة الجمع بين السلطات التنفيذية والتشريعية في يد واحدة ، كانت هي يد السكرتير العام « ستالين » .

* وهناك أيضاً المناخ العام الذي عاشه الثوريون الروس لطغيهم بطابعه ، ولعله أصبح جزءاً من طبيعهم . فالصراع مع القيصرية ، عنيف وروحي ، والصراع مع الخصم السياسيين حاد أحياناً ، والثورة التي سبقتها مرحلة قاسية من حرب مستعرة فرضت على الداخل عنفاً عسكري الطابع ، ثم جاءت الثورة البلشفية لتراجعه بحروب التدخل التي أدخلت المجتمع الجديد في دوامة بالغة العنف .. العنف الذي إتخذ طابعاً حربياً وعسكرياً .

- ذلك كله إنطبع في النفس والذاكرة والتصرفات.

وقد توقف أحد الباحثين أمام التعبيرات المستخدمة في أدبيات الحزب .. أو بالدقة قاموس الحزب وأبدى دهشته من طابعه الصوري المتشدد - « الصراع الفكري - الحزب » - « الحديدي » - « خضوع المستوى الأدنى للأعلى - الثورة » - « المضادة - التحريفية - الانتهازية - رفض التكتلات ، والاتصالات الجانبية . ويستنتج أننا إزاء أسلوب عسكري وليس حزب ديمقراطي منفتح ينتمى إلي ماركس الذي قال

يوما أن شعاره « لنضع كل شيء موضع الشك » (راجع : The Language - waller of Communism)

وبعد كل هذه المحاولة للانصاف نحاول أن نرى ماذا فعل ستالين بحزبه .. ودولته وماركسيته وبناته ..

ولنحاول أيضاً أن نصف ستالين بالقدر الذي يستحق .

* فقد تسلم من لينين حزباً تزقه خلافات حادة .. ومناقض خطر شديد الترفع وبالعنف نفوذ هو تزوتسكي ومن هنا نشأ التصور بضرورة الحزم لإنفاذ وحدة الحزب .

* وتسلم إقتصاداً يتوزع بين خمسة أقطاب : - الاشتراكي - رأسمالية الدولة - الرأسمالي الخاص - الانتاج السلعي الصغير - الانتاج الأيو .

ومن هنا نشأت فكرة الحاجة إلى قصف كل هذه الأشكال « المتخلفة » للنهوض بإقتصاد اشتراكي شامل ، ومن ثم تسي أو تناسي كل مقولات ماركس عن ضرورة نضج التشكيلات الاجتماعية ، ونسي أو تناسي

بجور لينين الذكي إلى « سياسة التيب » . ويجب أن نعترف بأن سياسة العنف الستاليني وبجهاض المعارضة ، و سحق الاحتجاجات الفلاحية ، والنصف بما يمكن تسمية الظروف الموضوعية ، والأطاحة برأس كل معارضي أو معترضين أو متشككين ماركس أكد حتمية الشك [.. قد تواكب مع تقدم إقتصادي مذهب .

وتفأمل ففي عام ١٩٢٦ وصل الانتاج الصناعي السوفيتي بالكاد إلى ما كان عليه عام ١٩١٣ في الزمن القيصري . ولعل هذا يوضع بناته مدى التدني في حجم ونوعية هذا الانتاج .

وفي عام ١٩٢٩ تضاعف هذا الانتاج تسعة أضعاف أي ٩٠٠ ٪ ، بينما كانت الرأسماليات الغربية تحقق نمواً أقل بكثير في هذه السنوات التسع .

فرنسا ٩٣ ٪
الجزيرة ١١٣ ٪
أمريكا ١٢٠ ٪
ألمانيا ١٣٦ ٪

(راجع : موضوعات المجلس المركزي لجمعية العلماء الروس ذوى التوجه الاشتراكي المتعدد بنسابة الذكرى الثمانين لثوره أكتوبر شتا ١٩٩٨ - والمنشورة في صحيفة بوريوتسك الروسية ، وقد نشرت بعده لغات وتتل هنا عن ترجمتها الإنجليزية [.

« ونلاحظ أن هذه الجمعية ذات توجه ستاليني ومن ثم فهي تنهاه بأن هذا التقدم المذهل - وهو مذهب حقاً - قد تم « بنجاح » من قهر خصوم الثورة ، وأن الضحايا هم « فقط » (في الفترة من عام ١٩٢١ حتى ١٩٥٤) ٣٨ مليون سجين و ٦٤ مليون بالاعدام . أكثر : فقط ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف حكم سجين ، واستماتته واربعمائة ألفاً حكم عليهم بالاعدام . أي ثمن هذا ؟

لكن الثمن لا يتضمن عدد الخائفين و المرجفين .. ولم يتضمن إنكسار ذلك كله على الحزب وجبهه العمل الحزبي . وجدها ، وانكسار ذلك كله على أداء الدولة جهازها البيروقراطي .. الدولة التي من المفترض أنها الشكل الديمقراطي الأرقى .

* ونعود إلى الانصاف أو محاولة الانصاف . فالنصر العسكري الهائل على النازي كان ثمرة لهذا التقدم الصناعي الهائل

* وبعد الحرب تمت إعادة بناء الاقتصاد السوفيتي بكفاءة . ففي عام ١٩٤٨ تم تجاوز الحجم الإجمالي للانتاج الصناعي الذي كان قائماً قاتماً قبل الحرب . وانطلقت آلة التقدم التكنولوجي .. والتقدم النووي .. واقتحام عصر الفضاء .. الخ

ثم بعد هذا القدر من محاولة الانصاف نقرر إبتداءً أن أي حكم متشدد وغير عادل مهما كان مفيداً ومحققاً للانطلاق ، ونمساكاً بفاتح التقدم ، لأنه وفي ذات الوقت يولد من داخله ، وبالفرض ، عوامل فناءه وعزله عن الجماهير .. ومن ثم ، نهايته المأساوية .

[ألم ثم ذلك أمام أعيننا في التجربة الفاصرية ؟] ..

وقد درس « ويتفوق على » هذا النمط من « التقدم » المستبد ولا حظ عناصر فناءه قاتلاً : « وحيث أن الدولة القائمة الآن تعتمد على موظفين ثابطين أيضاً ، فالحاكم يحكم عن طريق مجموعة كبيرة من الإداريين الذين يسيطرون على جميع أوجه النشاط الاحتكاري في الحكومة .. في السياسة والاقتصاد والثقافة .. مما يحول بين القوى غير الحكومية وبين تقدمها نحو البلورة في ميثاق مستقلة ذات نفوذ كاف لموازنة ثقل الحكومة .. ومن هنا فإن هذا الطغيان لا يسمح بوجود سياسى غير حكومي وفي التجنيل الأخير فإن حكومة كهذه تعتمد على تخويف الجماهير ، فتصبح

الدولة أقوى من المجتمع وترفض رقابته
ويقول : وهكذا ينتشر الشعور
بالخشية بين الناس : فالحاكم لا يثق في أحد ،
والموظف يشك دائما في زميله ، والمواطن
العادي يخشى من الوقوع في فخ الاستغزاز ،
ومن التاجر أن يتحول النزاع حول السلطة إلى
نشاط سياسي جماهيري مفتوح ، وإذا ما
أصبح الكذب والتسلق والمناورة الوسيلة
الوحيدة المضمونة لتحقيق المصلحة الذاتية فإن
المعارضين لهذا النمط من الطغيان ليس
أمامهم من سبيل للثبات ،
ويضطرون إلى الاكتفاء بالبقاء على حافة

[K.A WITTFOGEL - ORIENTAL DESPOTISM. (1957) - P137]

وفي الزمن الستاليني كان الامر
كذلك تماما ، فمع إعلان ستالين انتهاء مرحلة
الانتقال والبدء في مرحلة البناء الشيوعي ،
وتواتر مشاريع السننات الخمس ، تكسر
نقد المستقلين عن تنفيذ هذه المشاريع ،
وأصبح البيروقراطيون التكنوقراط هم أعمدة
النظام ، واختفت فكرة « القضاء »
و« الحواري » والشك الذي يؤدي إلى اليقين ،
وضغط الجميع لمخضوع خاضع ، تتصاعد
درجاته ليقتل ستالين على قمته القاهرة .
كيف كان ذلك ؟

قلنا من البداية أن فكرة ماركس
إرتكزت على أن وصول البروليتاريا إلى
السلطة سيؤدي تدريجيا إلى ذبول الدولة ،
ولعل من حقنا أن نفهم من هذه الفكرة أن
ذبول الدولة سيكون تدريجيا ، وسيستند
شكل الانكماش التدريجي لسلطة الدولة
والتزايد التدريجي لدور الجماهير وفعاليتها .

لكن ستالين كان على النقيض من
ماركس .. ونقرأ ما قاله « ينبغي أن نعلم
النظرية الفاسدة التي ترى أننا قلنا قلنا
إلى الامام يتلاشى الصراع الطبقي شيئا
فشيئا ، وأتينا كلنا إزدونا نجما كلنا أصبح
العنصر مستأنسا ، هذه ليست نظرية فاسدة
نحسب بل هي نظرية خطيرة ، وعلى العكس
من ذلك فأتينا كلنا أحرزنا نجاحات .. كلنا
زاد حق الطبقات المعادية وتساعد غيرها »
(ستالين) - من أجل تكوين بلشفي .

الدولة إذن مدعومة إلى تأكيد وجودها ،
وتشديد قبضتها .. وليس العكس .

وهكذا يفتت ستالين عكس ماركس
تماما ،

والغرب أن ستالين إذ يفتت ضد ماركس
فقد وقع مع خصمه الألد تروتسكي ..

فروتسكي هو صاحب « نظرية عسكرية »
الحزب والفتيات ، وصاحب نظرية أن الفلاحين
قوة « ريفية » وستالين يصنف تروتسكي
ويطرده من الحزب عام ١٩٢٧ ، ولكنه وفي

نفس الوقت يسعى على دوره المتشدد سواء
في الحزب أو الدولة أو أزاء الفلاحين .

فستالين يصنف خصومه في الحزب [لم
يكونوا] خصوصا بالمعنى المفهوم وإنما مجرد
معارضين أو معترضين على سياسة [بأنهم
« لم يعودوا يشكلون تيارا »
تيارات الطبقة العاملة] وإنما
أصبحوا عصابة لا مبادئ لها ولا
فكر ، عصابة تضم مخربين وجواسيس
وقتل عاملين في خدمة دوائر
التجسس الاجنبية ، [ستالين - المرجع
السابق - ص ٤٢] ثم يقول : « إن ما
يجب علينا إزاء هؤلاء ليس استخدام الطرق
القديمة في الجدل فقط ، وإنما الطرق الحديثة
التي تقوم على إبادة الأعداء والاطاحة بهم »
[ص ٤٧]

لنقارن هذه العبارات ببيانات ماركس عن
الحرية .. والديمقراطية الكاملة ، وعبارات
لنيتين عن ممارسة الجماهير لسلطتها بشكل
مباشر ، كي نذكر الفارق .
بل إن ستالين يقدم نموذجاً غريبا للخصم
.. المعارض .. العدو .. الجاسوس .. المغرب
[جعلها جميعا مترادفات متشابهات]

فهو يدعو ويحاسب إلى التخلي عن
الفكرة « الساذجة » و « الفاسدة » والتي
تقول : « انه ليس مغربا هذا الذي لم يشترك
في أعمال التخريب ، وهذا المجد والمجدد في
عمله ونضاله .. بل على العكس فإن المغرب
الحقيقي ينبغي أن يظهر ثنائيا في عمله ،
وذلك بالمحافظة على وضعه كمغرب ،
ولكسب ثقة الجماهير ، كي يواصل عمله
التخريبي » [ص ٤٦] .

وتشامل تأثير عبارة كهذه على الكوادر
الحزبية والأدوية والمواطن العادي .

فحتى المجد والمجدد في عمله ونضاله ،
والثنائي في عمله ، والمجاز على ثقة
الجماهير ، يمكن [إذا ما عارض أو إنعرج]
نقد أو انتقد ، أن يتهم بأنه جاسوس ومغرب
وخائن .

وهكذا يتجسد النموذج الستاليني في :
أ - تقليص الحرية .

ب - انحصار السياسي هو العدو
ج - لا حوار مع المعارضين

وإنما الإبادات .
والدولة الستالينية تجتهد كثيرا

عن طمس ماركس ولنيتين اللذين تصورا
أنها ستكون ملكة للحرية ، وتفعيل إرادته
الجماهير . فالنموذج الذي روج له ، وطبق
فلا يقول عن نفسه صراحة ولا تردد :
الدولة تضيق العلاقات الاجتماعية بأقرارها
قواعد معينة لسلك الناس ولنشأت النشاطات
، أو بالاعتراض بها رسميا ، والذين لا يتفنون
هذه القواعد أو يخالفون ، يجبرهم الدولة

بالقوة على الخضوع ، وهذه القواعد تسمى
بمعايير الحق [بروس ستراشون - التمثيل
السياسي الاشتراكي - ص ١٦] .

بل إن الجماهير يجرى إستيعابها تماما
من دائرة الفعل أو القول أو حتى الفعل !
يجري فالتمردون الستاليني يقولون : «
في أغلب الأحيان تتخذ الهيئات التمثيلية
قرارات في مسائل لا تملك أغلبية السكان
أية فكرة عنها ، أو على الأقل لم تيد زأها
فيها ، وفي هذه الحالة تكون الهيئة التمثيلية
هي نفسها المعبرة عن إرادة الشعب » .
المرجع السابق - ص ١٦

فإذا عرفنا أن مجلس السوفييت الأعلى
كان يجري تجميعه على فترات متباعدة ليعقد
دورة إجتماعات ليوم أو يومين يشترك
أغلبها في سماع خطاب مطول للزعيم
« التفتيح العام » ثم تعرض عليه عشرات
التقارير والمخطوط والقوانين ليصوت عليها أو
توماتيكيا ودون نقاش حقيقي ، زدود أي
اعتراض على أي شيء ، فمن يستطيع أن
يهمس باعتراض ليتحول إلى عدو وجاسوس
خائن [؟] ودجنا أن السلطة تتركز
فالعصب لا يفهم ، والسوفييت الأعلى لا يجد
الوقت ولا يجزؤ على الاعتراض .. ويبقى
الزعيم هو المتحكم الوحيد .

و لكن ستالين لا يلى إرادته علي
الانحدار السوفيتي وحده .

فمتنما كان هناك نقاش خورل إعداد
كتاب عن « الاقتصاد السياسي الاشتراكي »
[وهو نقاش أنهاء ستالين بمجموعة من
الملاحظات طبع في كتاب وأهل المشروع
الأصلي قد اكتفوا برأي الزعيم : « خلال
هذا النقاش أكد ستالين أهمية إصدار هذا
الكتاب قائلا .. « أن أهمية هذا الكتاب لا
تتعلق بشيئا السوفيتي حسب ، بل هو
ضروري بشكل خاص للشويعيين والأصدقاء
في كل بلدان العالم .. إن رفاقنا في الخارج
يريدون أن يعرفوا ما هي الكيفيات ، ولماذا
لم نزل نتعطل بالانتاج السلمي ، وبالعمليات
التمردية والتداول السلمي ، لا لجرء الضول ،
بل لكي يتعلموا منا ، [لاحظ التواضع] ،
وفيقيدوا من تجاربنا في بلادهم [لاحظ
التعظيم الكوني] نحن بحاجة إذن إلى كتاب
يكون مرشدا « مره أخرى كم هو متواضع !
للشباب الثوري في كل بلاد العالم »]
ستالين - القضايا الاقتصادية للاشتراكية -
الطبعة العربية - (٧٥)

وليس شباب العالم وحدهم .. وإنما
شيوخه أيضا فترافق ستالين يؤكد أنه : « نظرا
للمستوى التطور الماركسي غير الكافي في
معظم الأحزاب الشيوعية في العالم فإن هذا
الكتاب سيكون ذا فائدة للكوادر الشيوعية
التي تجاوزت سن الشباب في كل العالم »
[ص ٧٧] .

قط نلاحظ ان عالم هذا الزمان كان يملك رفاقا: مثل : مارتسكي - تونج - هوشي منه - موريس ترويز - تولياي...
فهل نفهم السر في الاشتقاق الصيني ، والتعذر الاوربي؟

لكن الترفع الستاليني على شيوعى العالم أجمع كان انعكاساً لحاله من الدكتاتورية الغاشمة في الداخل أدت إلى إعدام الغالبية العظمى من الكوادر الاناسية التي صنعت الثورة مع لينين ، والتي لعبت دوراً اكبر بكثير من دور ستالين سواء في الثورة أو في بناء الدولة السوفيتية مثل زينوفيف وكامنيف [وهما بالناحية اللذان رشعا ستالين لأول منصب رفيع في الحزب « أمين اللجنة المركزية » ليوها به طموحات وغرور تروتسكي ، وقد اعترض لينين عليهم ، ثم وافق تحت إلحاحهما] وقد أعيد عام ١٩٣٦ . وكذلك بورخاين الذي أسماه لينين « محبوب الحزب » فقد أعيد اسم ريكوف رئيس الحكومة (عام ١٩٢٨) بتهمة تزعم المعارضة اليمينية ، وحكم أيضا على تومسكي رئيس اتحاد العمال بالاعدام لكنه انتحى .

ولم يبق من الحرس القديم سوى من خضع خضوعاً تاماً مثل : مزلتوف وميكويان وكاجانوفتش وفورشيلوف [الايذكريا ذلك بمن أطيع به في زمن عبد الناصر .

وبقي خاضعاً حتى النهاية]
وإذا رجعنا إلى أسباب الخلاف فالتنا سندهي إذ نجد ان بورخاين كان أقرب إلى أفكار ماركس وإلى تطبيقات لينين ، وقد حياته منذ لذلك . فبعد المؤتمر الرابع للكونترن [١٩٢٢] أكد بورخاين ان البروليتاريا بعد انتصار الثورة تصطدم بمشكلة التناسب بين أشكال الانتاج التي يمكن ان تديرها بكفاءة وعقلانية ، وبين تلك التي لا تستطيع ان تديرها في المرحلة الاولى من البناء الاشتراكي ، وأكد أنه إذا قامت البروليتاريا بتحميل نفسها بأعباء تزيد عن طاقتها في عملية التنظيم المبشر للانتاج وخاصة في الزراعة فان الفاشي ينتهجه ستنتعش في حبال البيروقراطية .

وفي عام ١٩٢٨ عارض بورخاين التخلي عن سياسة « النيب » اللينينية . وفي مجال لإصلاح ماركس على ضرورة نضج التشكيلات الاجتماعية فان ستالين قرر البدء في معركة التصنيع الكبرى [ولعلها كانت معركة ضرورية شرط ان تتم على أساس متوازن وليس على حساب ملايين الفلاحين وحرية كل السكان] .. وكان ذلك في خطابه الشهير أمام المؤتمر الرابع عشر للحزب (١٩٢٥) .. والذي بدأ عملية تصنيع جبارة مثيرة للاعجاب حقاً لكنها تمت على حساب إفقار جماهير الفلاحين بل

ومجوعهم ، وقهرهم قهراً على الرضوخ لتعليمات الدولة في كل تفاصيل عملية الانتاج الزراعي ، ونسى ستالين تماماً حديث إنجلز عن « المجتمع الذي سيعيد تنظيم الانتاج على أساس اتحاد حر وعادل للمنتجين »

وكانت نتيجة هذا التدخل المباشر وربما اللجج من جانب الدولة ان شهد عامي ١٩٢٧ - ١٩٢٨ انفتاحاً شديداً في إنتاج الحبوب بما وضع البلاد وخاصة الريف على حافة مجاعة حقيقية .. وفي يناير ١٩٢٨ اقترح ستالين إنقاذ « تهاوير إستثنائية » وعلان حالة الطوارئ ووافق الحزب .. ودارت الماكينة سينه السمعه لتدوس أمامها كل الحقوق والحريات والآراء والاعتقادات ..

وبدأت المرحلة الستالينية المروعة .
وكالعادة قيل ان التناير الاستثنائية وحالة الطوارئ والمحاكم الخاصة .. ستكون مؤقته .. لكنها تددت ، وبقيت ، واستمرت . والمشكلة الحقيقية هي ان ستالين اعتبر ان كل اعتراض من رفاقه هو مقاومة لسلطاته ، ومناقسة له في قيادته للحزب والدولة ، ومن ثم اعتبر ان الخلاف في الرأي هو صراع على السلطة .. بتعين التخلص من القانتين به .

ووصل الامر ان البعض بدأ في إجماع اللجنة المركزية [عام ١٩٢٨] يتحدث عن خطأ لهذه لفكرة العدالة والحق ، وأن يتعين النظر لهذه الامور ليس من وجهة نظر « القانون » [الذي كان شديد القسوة] وإنما من وجهة نظر « الصالح العليا » .

ثم تطور الامر وأصبح ثقل النهج الستاليني هو السبيل الوحيد للصعود ، وفي عام ١٩٣٣ انتقد كاجا توفتش [الذي أصبح رئيساً لاتحاد العمال بعد إنتحار تومسكي] تساهل وتسامح القضاة ، وضرب مثلاً بقاض رفض الحكم بالسجن لعشر سنوات على شخص سرق عجله من عربة خشبية بيجعة ان ضميمه وشرقه المهنى لا يسمحن بذلك ، تهكم كاجانوفتش طويلاً على هؤلاء ، السادة المتساهلين ، وقال « يجب ان ننفذ توجيهات الحزب وليس القوانين » بل صاح قائلاً « إن أحكام الاعدام أقل بكثير مما يجب » . [وروت هذه المعلومات في دراسة بعنوان « زمن المواقف الصعبة » ، وهي دراسة اعتمدت على وثائق اجتمعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في ١٩٢٠ . وحتى ١٩٣٠ بإشراف سمير توفتش وتشرت في البرافنا ٣ - ١٩٨٨ وقد ترجعت هذه الدراسة الى لغات عدة .. وننقل هذه العبارات عن الترجمة الانجليزية] وفي خضم معركة التصنيع الكبرى

تشكلت فئة اجتماعية جديدة .. بروليتاريا جديدة لم تزل بعد غير ناضجة ، ولم تزل بعد بعيدة عن التكوين الطبقي المكتمل ، وأن كانت تشع بزهو الانتماء الطبقي الجديد قاندعت هذه الفئة باجته عن مساحة اجتماعية كانت تنتم بالضرورة بالاشيوعية والزهو .. وجعلت من نفسها قاعدة جماهيرية لستالين والستالينية .

.. وبقي قيل ان ننقل الى موضوع آخر .. ان نقرر انه أثناء محاكمة « بورخاين » إستخدما كدليل ضده عبارة قالها عام ١٩١٧ [كان يحاكم ١٩٣٨] والعبارة جميلة جداً .. ولعلها ماركسية جداً وتقول :
« ان التاريخ الروسى لم يطعن بعد الدين الذي سيخبر منه ، مع مضى الزمن ، وغيب الاشتراكية » .. وأعيد بورخاين .. وكل من عارض أو اعترض ، ونقد أو انتقد .. *

* * *
وبقي ان نتحدث عن زمناً نحن .
* **ستاليني وبعصره** *

.. تأسس الحزب الاشتراكي المصري (١٩٢١) كأول حزب اشتراكي في كل البلاد العربية وفي افريقيا وقد وضع أمين أساسين : أولها ان يضم الى صفه كل التيارات الاشتراكية [انها تجربة مبكرة لفكرة التجمع] وأن لا يضم في قيادته أي اجنبي ، فقد ان الجانب في ذلك الحين جزءاً من متاعب مصر بما يحوزون من امتيازات وعلاقاتهم [بشكل عام] بالاحتلال وأعلنت قيادة رابعة علي « محمود حسني العرابي » : « على العناني - محمد عبد الله عنان - صلاح موسى » .. وهكذا إستيعمت حتى العناصر اللبنانية التي لعبت دوراً هاماً في تأسيس الحزب .

الحزب عندما أراد الانضمام للكونترن تعرض لضغوط كثيرة حاولت أن ترغمه على تغيير اسمه إلى « الحزب الشيوعي » رغم ان الدستور المصري (١٩٢٣) كان ينص في أكثر من موضع بالمذكرات التفسيرية لمواده على تجريم الشيوعية [راجع - الدستور - إصدار مجلس الشيوخ المصري - ١٩٤٠] . وحاول الشيوعيون المصريون الساموة ، وإيجاد حل وسط ، فأسماؤهم أنفسهم : الحزب الاشتراكي المصري - الشعيه المصري للدوليه [الشيوعية] . الاطرام ٣ - ٨ - ١٩٢٢] لكن التشدد الستاليني رفض هذه الساموة .. وسافر السكرتير العام للحزب [محمود حسني العرابي] إلى موسكو محاولاً إقناع الكونترن ببعض المرونة لكن « الزقاق »

هناك لحاولوا طلب الحزب المصري الى لجنة برأسها الرقيق « الباهي » [١]. كاتاياما وأعدت لجنه كاتاياما تقريراً مثيراً للدهشة يتجاهل تماماً أوضاع الحزب وأوضاع مصر .. بل ويضع كثيراً من الأفعال في عتق الرفاق المصريين.

ونقرأ فقرات من هذا التقرير المثير للدهشة « اتفقت نحن لجنة المسألة المصرية علي ان الحركة الشيوعية في مصر [لاحظ في مصر وليس المصرية] يجب ان تتلقى المساعدة والتشجيع ، فبناء حركة شيوعية في مصر أمر ضروري حتى تسلك بفتح الشرق والشرق الأقصى . وفي حاله وروج ترد في الهند فان مصر بفضل الموقع الجغرافي يمكنها ان تفتح الطريق للتدور الهندية وان تساندها باغلاق قناة السويس [أنه يحرض لاحتلال تحريضاً سافراً] لهذا نحثونا الرغبة في مد يد المساعدة للحركة الشيوعية المصرية وفي الاعتراف بالحزب الشيوعي المصري » ثم يجدد الرقيق كاتاياما شرطه لهذا الاعتراف.

١- أن يطرد الحزب بعض العناصر غير المرحوب فيها.

٢- أن يعقد مؤتمراً ينضم فيه إلى الحزب أي عنصر شيوعي في مصر يكون خارج الحزب ويقبل الشروط الاحدى والعشرين للدوليه الشيوعيه [أنه يفرض الاجاب فرضاً علي الحزب وتلاحظ هنا ان بعض الستالينيين المجدد في البلاد العربية يلومون الشيوعيين المصريين علي رجوع اجانب في صفوفهم في هذا الزمان وكأنها عوره - وهي ليست كذلك - ناسين ان ستالينهم هو الذي فعلها]

٣- ان يغير الحزب اسمه الى الحزب الشيوعي المصري .. [نشرة المجلات الاممية - الطبعة الانجليزية - ٣ عدد ٢ بتاريخ ٥ - ١٩٣٣ - ص ٦١] وكان خضوع الشيوعيين المصريين لهذه الشروط هو بداية الكارثة التي انتهت بحل الحزب وسجن قياداته . [٣ مارس ١٩٣٤]

.. وبدأت بعد ذلك خلافات فكرية حادة تصبوا .. الشيوعيين المصريين يختلفون مع ستالين ناسين انه قد قرر ان من يختلف معه جائن وجاسوس ومخبر.

فبعد عام ١٩٣٥ بدأ ستالين يهاجم « البرجوازية الوطنية في المستعمرات » ويقول انها « ألقت بحلم الحريات إلى الأوجل » ويطلب عزلها « وأن يسمى الشيوعيين لتأسيس كتلة ثورية من العمال والبرجوازية الصغيرة ، وزعم ان العدو الرئيسي هو

الاستعمار والاقطاع فان إنقياء الضربة الرئيسية يجب ان يوجه إلى البرجوازية الوطنية » [٤] ستالين الماركسية والمسألة

الوطنية - الطبعة الانجليزية - ص ٢٧٦] .. وتقرر ان يطبق ذلك في مصر .. ان يسمى الشيوعيون لعزل حزب الوفد وتأسيس كتلة

ثورية، ووجد الشيوعيون ان هذا الأمر صعب بل وشار . وفي تقرير قدمه الحزب المصري إلى مؤتمر الكومنترن السادس قال انه يعتقد :

« ان البرجوازية الوطنية في مصر لم تنتقل نهائياً إلى المعسكر

المعادى للقوة » ويقول : « اننا نرى أيها الرفاق اننا لم نقطعنا الحزب الوفد ترتكب خطأ فادحاً »

وكعل وسط الاقتراح الحزب الصيغة التالية : « لا أعلن التحالف مع حزب الوفد ، ولا إقامة لأيه منظمات مشتركة معه . ولكن

من الحتمي الاستمرار في إقامة اتصال دائم مع الوفد ، وتنظيم أعمال مشتركة مع قواعده »

[قرارات مؤتمر الكومنترن السادس - ١٩٣٨ - طبعه بومباي ١٩٤٨ - الانجليزية - ص ٣٣]

وفي محاولة لاحكام قبضة الكومنترن علي هذا الحزب المتمرد تقرر في موسكو تعيين محمد عبد العزيز سكرتيراً عاماً للحزب رغم أنف الرفاق المصريين . وكان محمد عبد العزيز عميلاً للامن .. وكان ما كان من تخريب بشع .

وفي عام ١٩٣٥ صلحت الطبعة الجديدة من دائره المعارف السوفيتيه لتدور تحت مادة الحزب الشيوعي قائمة رسمية باسماء الاحزاب الشيوعية في العالم .. وبشطب منها اسم « الحزب الشيوعي المصري » .

لكن الشيوعيين المصريين واصلوا نضالهم

غير مكتفين بقرار موسكو .. وفي أيام ستالين الاخيره فعلها مره أخرى .. فمنظمة حقن الحركة الديمقراطية للحدود الوطني أشارت ونفذت خطية التحضير والانحياز لتدوره بولس .

ولكن السياسة الستالينية كانت ترى ان ما حدث في مصر هو انتصار للاستعمار

الامريكي على الاستعمار البريطاني . وان عبد الناصر هو مجرد عميل امريكي .

ورفض رفاق حذو هذا التفسير الحق .. وحكم عليهم مره أخرى بالظدر من جنة الستالينيه ، وأبعد مثلم في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي .. ومثلهم في المجلس

العالمى للسلام عقابا لهم علي هذا التمرد . وفيه الانتهازيه

.. وهكذا نال الشيوعيون المصريون وعلى مدى سنوات طويله .. ما يكتفيهم ويزيد من عنت وتسلط الستالينية .

وبعد

لا يصعب المجد الرجال وإغا

كان العظيم المجد والأخطاء

حق ستالين نجاحات كبرى ، وانتصارات عظمى . لكن ذلك كله تم في ظل أخطاء فادحة : وجرائم بشعة : لعل اخطرها هو فرض الحصار على الرأى الآخر ، وتدمير كل قدرة علي النقد سواء في الحزب أو الدولة أو الحياه العامه ، وتحكمت البيروقراطية في كل مجالات الحياه .. ومن ثم تراكت الاخطاء لتخلق تلالا من الجرائم تنخر في عظام دوله البروليتاريا ، دون أن يجزو أحد علي المطالبه بالتصحيح ، أو حتى الإشارة ولو همساً إلى الاخطاء ، وقعد البنا السوفيتى جازيه المناصى الذى تحدث عنه ماركس ولينين طويلا « الإرادة الثوريه للجماهير » ، واستسلم الجميع لإستسلام المكر .. ألم يروا رأس الثعبان الطائر ، ألم يروا رؤوساً كبيرة جداً ، ثورية جداً ، مخلصه جداً .. يطاح بها بأساليب إستبدادية جداً وغاشمه جداً ؟

وعلى هؤلاء الذين يحاولون ان يحملوا بالكابوس الستالينى ان يراجعوا علاقة الماركسية بالستالينية ، وان يقدموا لنا تصوراً عن تقدم ما ، أى تقدم ، بأى قدر يمكنه ان يتناقض مع الحرية والديمقراطيه ، ومع إطلاق الصنان لاراده الجماهير الحرة .. المتحررة من الخوف .. والقادرة قانونا وفعلها علي رفض ما هو خاطئ ، وعلى الاطاحة بالحاكم إن أخطأ أو انحرف أو إسقم ..

.. باختصار ان يقدموا لنا تصوراً يحصى التجربة ليس بالمشاق وإغما بالأرااده للجماهير الحرة .. وان يكفوا عن محاولة معاجلة الانقلابات .. بالأصابع بالابدز .

إسلام

لا

كهاية

حاشية على نازلة الجامعة الأمريكية

خليل عبد الكريم

بالصود أمام أى سطر يكتب عنه.

وماذا يقول الناس عنه عندما يعلمون عن طرق المهديا المتنوعة أن كل شهرين أو ثلاثة يشق كتاب بمسببه محصينا لاتباعه من التأثير بما يكتب عنه؟

(٥) بعد قرار نسف الكتاب المذكور من قاعات الدرس وانتزاعه من أيدي الطلبة كان من الطبيعي أن يطالب الشيخ طنطاوى بإصدار قانون يقضى بحرق أى كتاب فى (الإسلاميات) على المعهد العتيق المشهور إعلاميا به الأثر الذى يشريع فضيلته على عرشه (جريدة الأهرام ١٩٨/٥/١٦).

ومعنى ذلك أن القضاء الفكرى لمصر التى قدمت للعالم أعظم حضارة عرفها التاريخ حتى الآن -يقصد- تحت هيمنة "حنفه" من أصحاب العلم البيض!!

وبعد

فإن الدول المتحضرة تطلق الحرية التامة للبحث الأكاديمي والدراسة الجامعية دون أى قيد من سلطة أو شخص أو نص وذلك تخرج علماء ومفكرين ومبدعين ومخترعين وفلاسفة.. أما الدول التى تفرض وصاية على جامعاتها وتكبّلها به: المسطورات والماورائيات واللامحسرات والصرام الفاتية والكائنات غير الرتيبة والعناصر الخفية أو المخبوءة والحالات فوق الطبيعية والقوى الخارقة للتواميس الكونية والتي تاتى بالمعجزات لبعض والكرامات للبعض الآخر.. الخ.

فإنها (تلك الجامعات) سوف تفرّز: وعاطا ودارويش ومنحاسب ومجاهذب تسيل على جوانب أفواههم الريالة (كلمة عربية فصيحى: آ..ها) وتتغلى من أيديهم المسابع الألفية.. وهتينا لك يا (معزوسة) بهذا الجيل المعجب من ضبابك خاصة وأنت تطلين على القرن الواحد بعد العشرين.

وللمرة الألف.. اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.

وتعنى بها مصادرة كتاب ماكسيم رودنسون ومنع نقده وسحبه من أيدي الطلاب؛

(١١) ما ينشر فى الصحف السيارة ويوجه للقارئ العادى غير ما يطرح فى قاعات المحاضرات بالجامعات ولا يصح بأى حال أن ينصب الأول لنفسه قاضيا على الآخر خاصة إذا أقر وأعترف من قدمه أنه (مجرد رأى) وهو تواضع يحمده عليه.

هذه من بدائه العقول التى ليست فى حاجة إلى شرح أو توضيح.

(٢) ليسمع لنا الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى والبحث العلمى أن نساءله:

كيف تسنى له أن يقرأ الكتاب المؤرد فى ذلك الوقت القصير بضع ساعات ما بين ظهور الجريدة وصدر قراره أم أنه لم يطلعه واعتبر (مجرد رأى) حجة قاطعة ودليلا دامغا ؟ وهل لإتصال شيخ الأزهر القروى بمعالیه أثر فعال أو غير فعال فى ما حدث؟

(٣) لا يوجد مسلم يقر التهجيم على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بيد أنه من الطفولية الفكرية أن نتوقع أن نجيب كتابات المستشرقين والمفكرين الفرغية عنه مطابقة أو مماثلة أو حتى مشابهة لما ألقه عنه العقاد ومحمد أحمد جاد المولى ومحمد الغزالى والشيخ أحمد كفتارو (مفتى سوريا) ومحمد الجيش والتدوى والمبار كفتورى أو حتى محمد حسين هيكل.

ولماذا لا يتصدى المعارضون لها أو المعارضون عليها ويتولون الكشف عن عوارها وإزاحة الستار عن خطاياها وتبيين خطئها وتوضيح مغالطاتها كما كان يفعل سلمهم الصالح إبان ازدهار الحضارة الإسلامية.

(٤) قلنا فى هذا المكان أكثر من مرة إن المصادرة سلاح العاجز عن الرد القاصر عن الشنيد وأنها فقدت مضمونها بعد أن اخترع الفرغية الكفرة المعلنون وسائل الاستنساخ ووسائل النقل فضلبا عما يصيبه من صدى عالمى يسمى للإسلام ويرزه فى هيئة الدين المهزول الذى لا طاقة له

والمسكوت عنه في الحوار

أحمد عبد القوى زيدان

القادمة والتي على أساسها ستحدد جماهير اليسار موقفها من التجمع . لأن الخلاف حول الموقف التضالي والسياسي اليميني وارد في كافة الأحزاب السياسية أما صورة الهدف النهائي للنضال فلا يجب أن يكون ثمة اختلاف كبير حولها لأن الموقف سيكون إما الاستمرار أو الرجوع.

ثالثاً: لأننا نعتقد أن اشتراكية المستقبل تقدم رؤية فكرية تنقد موقف التجمع السياسي بتصورات هي تبت واقع مهزوم تحاول أن تجد مبرراً لها في انهيار الاتحاد السوفيتي وتقدم رؤية متكيفة مع الواقع وإن أبت بعض مقولات اشتراكية.

رابعاً: إن التماثل لمشروع التجمع المدمج بلا حظ التهامين واضحين يتنازعان البرنامج : اتجاه يحاول أن يقدم رؤية للواقع يستهدف أن يكون البرنامج برنامج حزب يستهدف تغيير المجتمع وطرح بديل للواقع الرأسمالي الحالي وأن تركز على أن الحزب بديل سياسي واضح وهذا الاتجاه هو استمرار لتاريخ التجمع وإن كان ثمة ملاحظات على بعض صياغاته.

أما الاتجاه الآخر فيرى أن المطلوب أن

واكتفى الزميل بالرد على موقفنا من اشتراكية المستقبل بمحاولة نفى ما أوضحنه ولم يناقش الادعاء عن ما يمثله. هذا الطرح فكان المسكوت عنه في مقال الزميل.

ولكن هل المسكوت عنه يعني أنه لم يكن الحرك الأساسي لرد الزميل محمد فرج؟ هذا ما لا نعتقد بل إننا بعد قراءة المقال أكثر من مرة تبين لنا أن المسكوت عنه هو الذي قاد عملية الرد.

فالزميل يحاول جاهداً نفياً للطبيعة الطبقيّة لاشتراكية المستقبل التي أوضحنها في مقالنا السابق تأويل النص لوصح التعبير ويلجأ في ذلك إلى عدد من الأساليب أهمها من وجهة نظري آلية الخلط بين الحديث عن مشروع البرنامج كاملاً والحديث عن اشتراكية المستقبل التي انتصر عليها - فقط - مقالنا السابق . فالقارئ لمقالنا يجد أن الحديث طوال المقال كان عن اشتراكية المستقبل لم تناقش غيرها في البرنامج وذلك لأننا:

أولاً: لأننا نعتقد أن هذا الجزء من البرنامج هو الرؤية الفكرية المستقبلية التي ستحكم النضال السياسي للتجمع للسنوات

مقدمة لا بد منها

أقر وأعترف أنني بعد انتهائي من قراءة مقال الزميل محمد فرج أعدت قراءته أكثر من مرة ، ويعود ذلك لأكثر من سبب . أولاً: أن الكاتب يعبر عن نفسه في متن المقال بصفتة أحد أعضاء القيادة الجماعية لصياغة برنامج التجمع .

ثانياً: لأن الزميل يلعب دوراً أساسياً في لجنة التشقيف المركزية بالتجمع ومن ثم فهو أحد صناع الأدلوجة في الحزب .

لهذين السببين ولسبب ثالث أيضاً وهو استجابة كاتب هذا المقال لصيغة الزميل الغالبة عن ضرورة القدر الأعلى من المسؤولية والجدية في مناقشة موضوع اشتراكية المستقبل.

مرة أخرى عن اشتراكية المستقبل في مقالنا السابق في العدد ٩٩ من مجلة اليسار كان نقدنا لاشتراكية المستقبل يركز على:

١- طبيعة الاشتراكية المستقبلية المطروحة من ناحية.

٢- أن هذه الاشتراكية تمير فكراً وسياسياً عن تيار في حزب التجمع يبدو في أعضائه منذ ١٩٨٤ وأن هذا

التيار يراهن على الطبيعة الوسطى كقاعدة اجتماعية للتجمع وأن ما طرحه اشتراكية المستقبل هو التعبير الفكري والسياسي عن هذا الاتجاه ، وأن هذا الاتجاه بهذه الرؤية يقدم خطاً فكرياً وسياسياً جديداً على أدبيات التجمع .

وتوقعنا من الزميل محمد فرج بصفاته التي أوضحنها سابقاً أن يتصدى للرد على هذه المقالة دحضاً أو دفاعاً أو توضيحاً.

ولكن هذا لم يحدث



تدفق اشتراكية المستقبل التي نشرتها المجلة منذ ٣ ثلاثة أعناء



محمد فرج
ليست اشتراكية الطبقة الوسطى



فريدة النقاش
تدع اشتراكية المستقبل

السابق ولأول على ذلك من النقد الحاد الذي وجهه د. زهدي الشامي لهذه الاشتراكية والذي أوردناه في المقال السابق وكذلك ما أوضحتها الأستاذة فريدة النقاش في الندوة وما أوضحه أيضا د. إبراهيم العيسوي من نقد لهذه الاشتراكية في كتاب مصر وقضايا المستقبل ولو وددت لأذكر آخرين.

في النهاية نؤكد أننا لسنا ضد التفكير المستقبلي في الاشتراكية ولسنا عابدا للصيرورة قديمة أو حديثة ولم نكن يوماً في الانجتهاد والتفكير المستقبلي يجب أن يتم في حوض الواقع في جدل مع أسئلته تتصل بهذا الواقع وبغيره.

وهذا ما أوضحناه في نهاية مقالنا السابق ونعيد مرة أخرى.

إن الطريق الصحيح هو الطريق الأكثر وعورة وهو النضال الجسور من أجل تجاوز الرأسمالية وبناء مجتمع اشتراكي يملأ استغلال الإنسان ، وهو مجتمع ليس له فؤاد مسبق ولكن لا يصنع له ملكية في غرفة محكمة الهواء وفي لحظات تراجع الاشتراكية. ليقيد النضال القادم بقبو الواقع المحيط لا يتفق من بين تجارب أحبطت إما يستفيد من ثروات الاشتراكية وحركات التحرر الوطني ودراسة الواقع الاقتصادي الاجتماعي متواصل مع الزاد الروحي والثقافي للمجتمع، وهي عملية تضائية طويلة وهي الآن بالطرح للنقاش أما الرهان على البروجازية فهو رهان على الوهم.

تؤدي إلى انتصار الرأسمالية لا الاشتراكية؟ ومن ثم يكون الحديث عن اشتراكية المستقبل هو نوع من الحديث عن رأسمالية محسنة؟ أليست التنمية المستقلة هي مرحلة انتقالية ينتصر فيها الأكرى اجتماعياً واقتصادياً وعندما تكون القيادة للرأسمالية فهل تتجاوز الرأسمالية ذاتها؟

ثم بعيداً عن هذه النقطة التي وقف أمامها طويلاً الزميل محمد فرج ليتهم الجميع بالتصرع في القراءه . فلنقرأ مما يعتقه هذه الاشتراكية المستقبلية.

١- في اشتراكية المستقبل : أن الوحدات المملوكة ملكية مجتمعية مملوكة مثل غيرها من وحدات الانتاج مطالبة في مثل هذا المجتمع - مجتمع اشتراكية المستقبل - بالاستناد إلى قواعد السوق.

٢- في اشتراكية المستقبل : تستخدم آليات السوق وآليات التخطيط مع الاحتفاظ للتخطيط بالدور الحاسم لمنع شطط السوق.

٣- في اشتراكية المستقبل: تتعد أشكال الملكية دون تحديد للشكل القائد أو المهيمن ألا يعني هذا في ظل هيمنة السوق سيادة الملكية الفردية؟

إذا لم تكن يازميل فرج هذه اشتراكية تقومها الرأسمالية لماذا تكون؟

نحن نؤكد للزميل محمد فرج أن اشتراكية المستقبل لا تعبر عن فؤاد ذكرت أسامح لتجنبا من أن كل هذا الكلام الاشتراكي المعروف قد وافق على هذه الاشتراكية ومن ثم لا يمكن أن تكون بهذه الطبيعة الطبقة التي أرضعناها في المقال

يكون التجمع حزبا معكيفا مع الواقع وأن يقدم محسنا لهذا الواقع وإن ظل محتفظا بالاشتراكية أسما لهذه الرؤية . ويحتل هذا الاتجاه في مشروع اشتراكية المستقبل. ولذلك كان نقداً غليظاً على هذا الاتجاه ليعود لمشروع التجمع اتساقه.

وسأضرب مثلاً للفرق بين الاتجاهين في تناول قضايا الواقع المصري وهو الحديث عن التنمية المستقلة.

فلاحظ أن التنمية المستقلة في ظل اشتراكية المستقبل تلعب الرأسمالية المنتجة دوراً أساسياً بل قيادياً فيها: وهو ما تتركف عنده طويلاً الزميل محمد فرج لينتج عن اشتراكية المستقبل كونه اشتراكية الطبقة الوسطى لأننا خلطنا بين التنمية المستقلة كفترة انتقالية والاشتراكية - وهذا ما ستناقشه لاحقاً - ولكن فلنلقان الحديث عن التنمية المستقلة في ظل الاشتراكية والحديث عن التنمية المستقلة كمرحلة انتقالية طويلة وأتية.

في الفصل الثالث تحت عنوان: قيادة الدولة للتنمية مع تعددية أشكال الملكية وتوظيفها للسوق في إطار التخطيط الشامل .

في هذا الفصل نلاحظ دوراً قيادياً للدولة في التنمية وأن التخطيط الشامل هو الإطار الحاكم لتوظيف السوق بينما نلاحظ في التنمية المستقلة في ظل اشتراكية المستقبل أن الرأسمالية تقود التنمية وأن السوق هو الذي يتخذ إطارها وأن دور التخطيط هو فقط حماية من شطط السوق . ويبقى التخطيط في النهاية تخطيطاً تأشيرياً كما يؤكد مشروع اشتراكية المستقبل.

لكن هل تقود الرأسمالية المنتجة اشتراكية المستقبل؟

كان هذا السؤال عنواناً لمقال الزميل وهو سؤال استنكاري كما هو واضح في مقاله. ونحن نؤكد - مرة أخرى - للزميل محمد فرج أن اشتراكية المستقبل المطروحة في برنامج التجمع هي اشتراكية بروجازية وأنه بعيداً عن حديث التحالقات الذي أزعج الزميل فرج فنية الاشتراكية المطروحة نؤكد أنها اشتراكية الطبقة الوسطى كما أن الحديث عن أن المقصود بقيادة الرأسمالية المنتجة للتنمية المستقلة هو مرحلة انتقالية سابقة على الاشتراكية فلا يعني كثيراً.

فنحن نتساءل أليس في قيادة الرأسمالية المنتجة لعملية التنمية المستقلة في المرحلة الانتقالية إعطاء إكسكالية أن هذه التنمية

لماذا نختلف مع الشيخ الشعراوي؟



فكيف وفي أي القضايا
سارس هذا الساحر الفنا
سحره...
لعل الذين عشقوه على هذا
النحو يعرفون أنه هو الرجل
الذي صلى ركعتين لله بعد هزيمة
١٩٦٧ لأنها كانت سببا في
سقوط النظام الناصري، الذي
عاد- في زعمه- عن طريق
الدين.

ولكن التامل العميق
والناقد -والذي لا يمارسه
الأسلاف الشديد الجمهور العام
للشيخ الشعراوي- سوف
يكشف في ثنايا الخطب البليغة
والكلمات المنمقة والمزينة بأيات
القرآن الكريم أن فضيلة الشيخ
كان يتهاوى النظام الناصري
لثلاثة أسباب.

الأول أنه اعتدى -من وجهة
نظره- على ثروات الملوك الكبار
وبالنسبة لأن الشيخ الشعراوي
هو نفسه مياك كبير، ولم ينس
الحكم أن يجعله يفتي بشرعية

المجتمع قادر على وراغب في
تأسيس ثقافة الحوار والاختلاف
والتي الحازم لقولة الكل في
واحد التي قر عبس قنوتات
ومستويات ومسارات بالغة
التعقيد والتكريب لتصب في
عملية إعادة انتاج المجتمع
الطبي الأبرى ثقافيا وسياسيا.

ولهذه الأسباب وغيرها
أصبح هذا القطب الأخرى هو
جماعات الأصوليين من كل
صنف، وهم أساتذة الإجماع
الذي يتأسس على الدين والكل
في واحد، يبدأ من أسير
الجماعة فالأب قريش الدولة
على الجبهة الأخرى التي تنهج
نفس المنهج.

وفي هذا المناخ المواتي
تألفت مواهب الشيخ متولي
الشعراوي وتزايد سحره على
غالبية الفئات والطبقات وصنع
منه التلفزيون نجما يتفق
أحيانا على تجمع كوة القدم
والغنيين المشهورين والراقصات.

تقدمت البشرية عبر مسيرتها
الطويلة أنتجت بدلا منه الفن .
ويقوم السحر على الشلل
الكامل لعل وإرادة المسحور ،
والتالي تعطيل قدرته على نقد
المادة المقدمة له أو حتى التحاور
معا.

وشخصية الشيخ
والشعراوي هي الأينة
التضدية لما تسميه مجتمع
الفرجة ومصر الشافة والصورة
التي تؤدي كلها إلى وجود متلق
سلب عاجز قاسا عن التحاور
مع ما يقدم له ، وقد تكونت
ثقافته أساسا من أجهزة الاعلام
الهادية الرقبة والجانب كما هو
الروح حاليا وكما كان سابقا .

أضف إلى ذلك أن التعليم
في بلادنا قد دأب منذ زمن
طويل على «تقنين» المادة وليس
تعليم الطلبة كيفية التفكير
والنقد .

وما زالت الأسرة في بلادنا
حتى هذه اللحظة «أبوية» قائمة
على الأوامر التي لا ترد ولا
تناقش وقد صدرت من الجهة
العليا التي كثيرا ما تكتسب
طابعا قديما مرعبا للأطفال
والنساء ، ولا تقدم مثل هذه
الأسرة للمجتمع إلا أبناء
عاجزين عن التفكير في
المستقبل ينتظرون دائما من
يفكر بالنهاية عنهم بدلا للآب
إن غاب .

وفي الحياة السياسية لم
تنتج التجربة التعددية الثانية
حتى الآن في خلق قطب آخر في

لماذا تنتقدون الناعسة
الإسلامي الشيخ محمد متولي
الشعراوي بينما يتعلق به الناس
ويستمعون له أكثر مما
يستمعون لكم آلاف المرات؟..
فما وجدت إنسانا
فيه ولطشة يسار إلا وكان
موقفه من هذا الشيخ سلبيا
بينما أنتم لا تستطيعون أن
تقدروا شخصا كاتباً أو سياسيا
أو خطيباً أو فناناً يشرح
أفكاركم-التي لا يقبل الناس
عليها- مثلاً يفعل الشيخ
الشعراوي؟.

محمد عبد المتعال ليشيتين

نوسه الغبط
عندما ينتقد «اليسار»
كاتبه وسياسيه الشيخ محمد
متولي الشعراوي فإنه يسعى
للفت أنظار الناس المهوسين به
إلى شيء لا يفعله الشيخ
الشعراوي أبداً ، بل أنك لو
لاحظت علاقته بجمهور المتلقين
سوف تعرف على الفور أنه
ينزعج منه ويبادر إلى رفضه ألا
وهو: النقد.

حسن النقد وروح النقد
والوعي النقدي هو الفارق
الجوهري بين منهج «اليسار»
وأدبياته وأساليب عمله وبين
منهج الشيخ الشعراوي صاحب
الشخصية الكارزمية

السامية.
فمنهج الشيخ الشعراوي
قائم على السحر، وقد عرف
الإنسان السحر، الذي حين

المجتمع المدني

وتقابات وكل الأشكال الأخرى التي يختصها الناس طوعا لتنظيم مبادراتهم وجوانهم المشتركة.

وقد شاع المصطلح في الحياة السياسية العربية بعد تجربة التعددية الحزبية الثانية في مصر التي بدأت منتفض الجمعيات التي دخلت الأحزاب السياسية في التعريف الذي يستعملها في البلدان الديمقراطية ، لأن الأحزاب السياسية تعد هناك جزءا من السلطة باعتبار أنها مرشحة لأن تكون في السلطة ذات يوم حيث التداول أمر طبيعي.

أما في بلدنا حيث يكاد أنق التعادل أن يكون مطلقا تماما فإن الأحزاب السياسية تندرج في المجتمع المدني ، ولا ينبغي للحزب الحاكم أيضا في السلطة العسكرية وفي الدولة وكما يقول المفكر والقائد السياسي الفلسطيني عزيزي بشار أن المجتمع المدني في الوطن العربي ينمو على هامش الديكتاتوريات الحاركة. ولن يكون بوسنا أن نتحدث عن الديمقراطية في مصر. كل بلدان الوطن العربي دون أن يتنوع المجتمع المدني باستقلالية مع وجهة الحركة والمبادرة مع توريص الحريات والمحقوق الجسدية والسياسية جميعا وهي كلها حريات ما تزال مقيدة بهذه الدرجة أو تلك في كل بلدان الوطن العربي، بل إن هناك دولاً لا تعرف حتى الحدود

تتحدثون كثيرا عن المجتمع المدني مفترضين أن القراء في أفق معه ، وأن توقف كل مرة أمام المصطلح دون تفسير . وكأنكم تتعمدون إشعارنا بأنكم متفقون ونحن لسنا كذلك.

صفاء عبد الرحمن الخوالدة البيضاء - الجمهورية اليمنية
أبدأ بالرء على مسا إذا كنا نتعمد إشعار قرائنا بأننا متفقون وهم ليسوا كذلك الشئ الذي لا يخطر على بالنا أبدا ونحن تعد هذه المجلة التي هي جهد ومحاولة دائمة لقهم مشترك لا يجري في وطننا العربي وفي العالم. وإذا كنت هناك بعض الكلمات الصعبة أو المصطلحات الغامضة والتي تحتاج إلى تفسير ، فإننا نرجب برسائل القراء ، الشطين وترد عليها ، وغالبا ما تأتي هذه المصطلحات في سياق الدراسات الفكرية أو رسائل القراء ، ونحن نريد أن نضع البعض تحت الاختصاص والبعض تحت حق تكون الفائدة أكبر لكننا بالطبع لا نتعمد ادراج ما هو معتد. وللجمعية المدني الذي نتحدث عنه كثيرا هذه الأيام تعريفات كثيرة أولها أن المجتمع غير الشهياس وغير العسكري ، وتندرج فيه كل منظمات العمل الشعبي من جمعيات أهلية وروابط

هو الهدف الأعلى للاستيلاء ولتنام حكم يصادر على الحريات الأساسية والديمقراطية وإن اتخذ شكل التعددية ولو اختفى الشيخ في بعض الجزئيات مع النظام الأبوي الطبقى التسلطي ، فإنها يتفقان في الأهداف السياسية والاستراتيجيات الطبيعية. الهدف الجديد الأول هو إقامة هذه الجماهير عاجزة عن السيطرة على مصيرها ، فهو في يد الله سبحانه من قبل ومن بعد- عن طريق سخر الشيخ وتفسيره - هو في الميدان الواقعي - الاجتماعي - الاقتصادي في يد السلطة القائمة الزومة...

تأتي بمسدد آثاره للتنقطة الخاصة بعجز البنيان عن أن يقدم كتابا أو سياسيا أو خطيبا أو فنانا يشرح أفكاره بقدمها للناس أنت لا بد أن تعرف أن اليسار لا تتاح له الفرصة التي أتاحت للشيخ الشمراري ، وفي اعتقادنا أن كل إنسان يتوفر على الواجب قد لا يعرفها هو نفسه إلا إذا توفرت الظروف والامكانيات التي تساعد على اكتشافها ، ولكن أجهزة الاعلام تخطط بصرى على عدم إتاحة مثل هذه الفرصة لتجوم اليسار من كتاب وصفتين وخطيبا وسياسيين وقنايين ومفكرين دينيين.

لقد غنى الشيخ إمام ونحن أشعار أحمد فؤاد فهم لا يزيد عن ثلاثين عاما ، وهما كما قد تعرف فنانان يساريان ولم تفتح لهما الاذاعة بابها ولا قدمها التلفزيون ليصرق اناس ماذا يقولان هذا بالإضافة إلى أنهم قضيا عمرها ينتقلان من سجن لسجن.

وقد اخترت نموذج الشيخ إمام عيسى وأحمد فؤاد فهم لأنهما فنانان قريبان إلى روح الشعب وكان بوسعهما لو توفرت الفرص أن يكونا مجيئين شعيبيين كتجوم الكرة والشيخ الشمراري. هذا بالإضافة لآلاف من الشخصيات اليسارية في كل الميادين التي يجري حجب فرضها ومعارضتها.

نزح الأرض من صغار المبتاعين على أساس ديني. الثاني: أنه تصادف مع الاتحاد السوفيتي الشيوعي (المحد طبعاً). الثالث: أنه أتاح للنساء أن يخرجن ويتعلمن ويعملن وهو ما أدى -من وجهة نظره- إلى الفوضى الأخلاقية حيث عمل المرأة -بمن تصبيرة- هو انقاص من كرامة الرجل وإهانة له.

وحيث استفاد ذات مرة في الحديث عن التميم الذي يتنظر الذكور في جنات الجلد وقامت فتاة وسأته ما الذي سوف تفهد المرأة في هذه الجنات نظر لها زاجرا وأسكتها.

وضريح الشيخ الشمراري
خطيبا على شاشات التلفزيون لدى اندلاع الهبة الشعبية في ١٨ و١٩ يناير سنة ١٩٧٧ ليطالب إلى المتظاهرين العردة إلى بيروتهم وسائد الحاكم ، الذي اتخذ قراره برفع اسعار السلع الأساسية وكان الشمراري قد تولي منصب وزير الارواق في ظل حكم السادات. وإلى أن لفت بعض المسئولين نظره كان الشيخ الشمراري يلتقي دوراً «بارعا» في ثوب روح الكراهية للأجماط عن طريق برامج التلفزيونية التي يفسر فيها القرآن.

ومع ذلك فقد تراجع سعده- قليلا- في السنوات الأخيرة- وأصبح هناك أشخاص -بل ولا يتبالع إن قلنا فئات بكاملها- ولا اتسعد دوائر المشفقين والمقلبين والتقدميين أخذت تتشده وتتخلص من تأثيره عليها تدريجيا.

قلما أتقد له أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية والكتيبية المملوكة للدولة هذه المساحات رغم أنها تتحارب الجماعات الأصولية والحكاماء ، والد على هذا السؤال يحتاج إلى استفاضة لكنني سوف أخص .. إنه الاستعداد . يعلم الشيخ الشمراري جيبوره والمفتون- في الاستيلاء والانتاع عن النقد بل والألاعان باسم الدين ، ومثل هذا الجمهور

الفنان حجازي .. أين أنت ؟

طرفة تبح الجسمل والحسية والتسامح. ربحا شعر «حجازي» أن مساحة الحرية السياسية أخذت تضيق بالتدريج ، وإن لم يفسل هذا الضيق توجهات اليسار أو مبادئها ، ولكنه كان قد رفض أن يقدم كاريكاتير يورس جريمة كبيرة رأى أنها لن تحتمل صدقه وحس ريشته الثاقبة.

نحن ملكنا نتاشد أن يتعود لليسار

ملحوظة

كتبنا الفقرة الخاصة بالشيخ الشمراري ردا على رسالة القارئ «محمد عبد المالح» قبل وفاة الشيخ الشمراري بغير كامل . فليرحم الله ويرحمنا جميعا.

كان الفنان «حجازي» علامة مميزة لليسار فلماذا توقف وتكبد تسكين ولا يتبدلون رجسا لجستعداته لتكمل مجموعة رسائلي الكاريكاتير المسبزين لجلتنا ؟

شادي عبد السميح روض الفرج
شكرا لأخك أحمد حدثت عن «اليسار» باعتباره مجتلك لأننا أمة عزيزة نعمل كثيرا من أجلها وهي أن يشعر كل قراء المجلة نفس شمورك هذا . أما الفنان العبقري «حجازي» فإننا نملك نتاشد أن يعود وهو اختار أن يهجر الكاريكاتير ويترك عمله كله على الأطفال ولعلنا الفقرة الأخيرة لئلا يتناقل أفضل عبر تكون

أرشيف اليسار

خالد محيى الدين

الفارس يأتى



والصلاة أيضا .. إنها "تكية الطريقة
التشيعية".

الطفل يقفز من حجر جده " الشيخ عثمان
خالد" شيخ الطريقة وناظر الوقف إلى رجاوب
المسجد .. إلى الحديقة إلى غرب الدراويش ..
ومن هؤلاء الدراويش تعلم .. تعلم أن الدين
هو خدمة البشر .. وأن الدين يعنى السجادة ،
وأن التعبد الحقيقى .. هو أن تهب نفسك
للثقاتى فى "حب الثابت" .. ذهنى أفتنى ..
أيوب أفتنى ، عثمان أفتنى أنساء .. للدراويش

فهل نصف الجبل .. أو نحاول؟

فى بيت إسلامى الطراز ، وإسلامى
الرحيق ، ساحة واسعة تندفق مياه نافورتها
الرخامية محاطة بورود وأشجار وقر حنه ..
فى ظلال قبر الجبل الأكبر لوالدته الشيخ
الحليفة " محمد عاشق" .. القبر والمسجد
والدراويش الأذان يرقع فى مراقبته

كتب إميل لودفيج كتبها عظيمة عن
عظماء كثيرين .. عن رجال عظماء كتابليون
وعن أشياء عظيمة .. فكتابة عن نهر النيل
يبنى على مر الزمن ملهما لكل من عرف
النهر وأحبه ، وتبقى صورته أجمل وأكثر دقة
حتى من صور الأقطار الصناعية.

لكن لودفيج حذرنا " لاتصف الجبل" هز
من بعيد مهيب ، فإن التحدث شعابه أو
حاولت ، اكتشفت أن كل مساحة من مساحاته
مهما صغرت أكثر مهابة .. من أن تصف ..





خاله يحنى سمحه وامين

لاتسى أبداً من ذكرته أحدهم يعلم سكان
أهل القرية ولكنة . وأمر بحيط الشعب .
وثالث يصلح الساعات لكل واحد وكل
ذلك محاسباً ألم بقل إيهم تصدور عبر
خدمة البشر وسهم تعلم العنى وعلى
نهمهم سار . وظل حتى الآن

باب التكية مفتوح أمام كل عابر
ولا يعلق إلا مسابيحاً للذراوش لا يعلقون
بابهم أمام الناس وهو حتى الآن لا يعلق
بابه أمام الناس .

وتقرأ مع الفتى .. عندما كتب بعد زمان
طويل " كان الأذان هادئاً وديعاً ، وكأنه دعوة
جانية إلى لقاء خيم .. هذه العلاقة الحانية
مع الدين ظلت تسيطر حتى الآن ، ولم يزل
طيف عثمان أفندي يمتحن الكثير من
السكنة عندما أتذكره ، وهو يعطى للناس
كل وقته كي يعلمهم القراءة والكتابة ، ويبدو
طوال وقته معهم سعيداً ويمتنأ لأنهم يقدمون
له صنعا ، إذ يتبعون له الفرصة كي يتقرب
أكثر إلى صحيح الدين "

.. هل عرفتموه .. إنه هذا الذى يواصل
خدمة الوطن والشعب ، يواصل خدمتهم بمنأى
إذ يتبعون له الفرصة كي يصيح إلى الله
أقرب ، وإلى الوطن والشعب أقرب .

إنه خالد محي الدين .

الاسم: خالد أمين محي

إسم الشهرة: خالد محي الدين

تاريخ الميلاد: ١٧ أغسطس ١٩٢٢

المهنة: فارس

هو وألم يعيشان عطر التكية ، بينما
الأب يعيش نصف الوقت في كفر شكر حيث
أرض الأسرة . وبيت الأسرة (الجد محي
الدين تاجر في القطن وامتلك مئات الأفدنة
.. وهو الذى أدخل إلى منطقة كفر شكر
زراعة البرتقال والتبغ ، والمالح . ومن هنا
ارتبط اسم " محي الدين " باسم كفر شكر)

وتأتى الأجازة الصيفية ليرجع الفتى إلى
كفر شكر حيث الإنطلاق والكرة الشرايط
والاندماج مع أبناء الفلاحين .. وبين كفر شكر
والتكية قضى الحياة لتنسج معها .. فتى من
نسج خاص .

من المدرسة الابتدائية ، إلى
الإبراهيمية الثانوية ثم مدرسة فؤاد الأول (فى
دات الفترة كان معه فى ذات المدرسة أهود
السادات وذكرها محي الدين)

وفى هذه المدرسة الصاخبة بالعمل
السياسي يتدمج الفتى مع مناهج المحتوم ..
مظاهرات ، حوارات يدور أكثرها حول
الاجتلال ، الدستور .. القصر .. ثم باتى

فى هذه الأيام بالذات ، وفى هذا المكان
بالذات ذات الأسماء التى غيرت تاريخ مصر .
معه فى دفتحه : مصطفى حسين - لطفي واكد
- صلاح هاني - ثروت عكاشة - حسن
إبراهيم (كان امباشي) - صلاح
سالم (امباشي) - جمال الدين حسين (شاورش) - عبد اللطيف بعبادى ثم زكريا
محي الدين ، يوسف صديق ، أحمد عبد
العزیز مدرس .

تقاليد الذراوش النقشبندية تستضيف
إلى جوارها فى راحة صدر من روح وطنية
داققة ، وحوارات خامسة عن الوطن . الانجليز
، الحرب . القصر .. الحرية .

.. " زفات يوم حسن مصطفى حسين فى
أزنى : شايك البافطة دى " كانت لافتة من
الورق ممتدة على باب غرفة المستشار
العسكري الانجليزى بالكلية . تهامسا ، تركز
عناهما لافتة مكتوبة بالانجليزية . كتبها

عام ١٩٣٦ ليدور الحديث عن المعاهدة ..
ويتعلق إصغابه هذه الأيام بمصر الفتاة
وأحد صبي .

.. وفى عام ١٩٣٨ يصبح طالباً فى
الكلية الحربية . " كان أبى يؤمل أن يرسلنى
إلى أمريكا لأدرس الزراعة الحديثة حتى
أفصل على الدكتوراه ، لكننى كنت أبتعد
بأنحاء آخر ، كانت الروح الوطنية تلهب
مشاعرنا نحن الشباب فى هذه الفترة ، وكنا
نشعر أن مصر بحاجة إلى جيش حقيقى قادر
على حمايتها ، جيش وطنى يعمل من أجل
الوطن .. وهكذا تطلعت بفكرة الانضمام إلى
الكلية الحربية "

* * *
عمره الآن ستة عشر عاماً وثلاثة أشهر ..
الفتى يصطف مفتوح الصدر فى أول ظاهور
عسكري فى الكلية الحربية . هناك يخط
التاريخ بدايات صفحة جديدة . فقد تراكمت



في بداية الثورة .. خالد مع محمد نجيب ولفي ورضوان وتوف الدين طراف



احتفال بعيد "المسا" ولى بينه مصطفى بهجت بدوى وسعد القاته

لايستطيع أن يخترق ممانحه دراوش النكية من حسنة ودبعة تؤمن بايمان هادئ ودع . ويرغم أنه بايع هر وجمال عيد الناصر الجماعة .. بحة عضو الجهاز السرى على الصحف والسلس .. وفى " المنشط والمكره" فقد تابعا . رويدا رويدا . لم يبقا فى فكر الجماعة مايقنع . ولا فى طريقها مايفرى أى ضابط يريد الحرية لوطنه وقصبة .. بأن يبيع على بيعته.

ونسرع سريعا نتجاوز عتبة من المسالك الزاهية الألوان . لأن الترفق أمامها يحتاج إلى مجلدات . ألم يحزننا أميل لودويج من قبل .

الزوف ليعرفه بهمال عيد الناصر . ثم أخذه عيد الناصر عيد الزوف ليقابل ضابطا آخر هو محمود لبيب (الاخوان) . وكان أول لقاء بينهما فى جزيرة الشاى فى حديقة الحيوان . وفى بيت الضابط مجدى حسنين والضابط أحمد مظهر (الفنان) بدأت اجتماعات مجموعة من الضباط الشبان ذوى علاقة ما بجماعة الاخوان . أسلته التى تزوره عن مصير الوطن ، وحالة الشعب ظلت بلا إجابة ، قابله مع حسن لينا لعله يتحد بدورا . لكن الرشد العام لم يتنجح فى إسكات صوت الرقشة والصاحب . والغفلا الدينى المتشد

بديلا لها باللغة العربية .. وفى المساء تجاسرا فصحا الوضع وكانت هذه خطوته الأولى فى التمرد الفعلى .. إدارة الكلية ابتلعت اللطمة .. ولم تتحرك

يتخرج الفتى وهو فى الثامنة عشرة . يصبح " الملازم ثان فى الآلى الأولى دبابات" . ضباط الفرسان يزبون دوما بلباسهم المميز .. باسم " الفرسان" .. الدبابات . لكنه مالن يشخر حتى يكتشف أن الانجليز قد أخذوا) بسبب خسائرهم فى الحرب) دبابات ثلاث الآيات - ولم يبق لصر سوى الآلى واحد من الدبابات. .. ويقول : " لأول مرة أشعر من موقع كضابط فى جيش مصر " . أننى أكره الاحتلال ، وأننى ضد الاحتلال .. وزاد من عمق هذه الشاعرة أننى اصطلت بوجود ضباط إنجليز فى الجيش المصرى كانوا مترفعين ويحصلون على مرتبات عالية جدا بالنسبة لنا ، بما أشعرنا أننا فى وطننا وفى جيشنا ضباط من الدرجة الثانية.

وكون حادث ٤ فبراير ويحتشد مع زملائه الضباط فى اجتماع صاحب فى ناديهم لاحتجروا على وقاحة الانجليز.

ثم يقبض على الضابط حسن عزت ، ويودع فى سبب الفرسان ، ويستمع " خالد" فى انبهار إلى إصرار صاحب للدفاع عن الوطن وعزيمته . لأول مرة يشعر أن واجبه كضابط مصرى يحتم عليه أن " يفعل شيئا " (بعد الثورة غضب منه عيد الناصر لأنه كتب مقدمة لكتاب حسن عزت قال فيها عنه " أنه أساذى فى الوطنية" عيد الناصر قال أن هذا لايليق فحسن عزت ليس معنا . خالد قال إن هذا هو الحق .. والحقيقة يجب أن يقال)

" أن يفعل شيئا" تلك هى المشكلة التى كانت تسيطر على مبات من الضباط مثله ، لكن البعض سأل نفسه ، ثم نسى السؤال ، ونسى نفسه فى دوامة الحياة .

والبعض الآخر ومنهم "خالد" بقى دوما معلقا نفسه بأن " يفعل شيئا لمصر وشعبها" وفى هذه الأثناء أصبح صديقا لضابط متفقد شغف بالثورة .. ماركسى الانحياز هو ضابط الفرسان عثمان فوزى ..

وحول عثمان فوزى التفت بجموعة من الضباط عوردهم على القراءة للشطة " القراءة التى تتطلع بحثا عن إجابات محددة .

وفى عام ١٩٤٤ ولما يفكر فى كيف ؟ ومضى ؟ وأين ؟ ولماذا ؟ يتحتم عليه أن يفعل شيئا اصطبه الضابط عيد الناصر عيد



سميرة محي الدين .. أسرار الثورة وحماية أهداف الضباط الأحرار

.. التي بقيت به صديق قديم " أحمد فؤاد ، هو وعلى الشكافي عرسا عليه الإحسان إلى منظمة شيوعية (إيسكرا) .. واقع . كان لم يزل يهيج عن طريق .

.. لم يستمر طويلا ، مسئوله في الجمعية كان قادراً على " تفتيش " الجدد كان متحسناً متشدداً صاعياً ، فتح يتشدد في تفتيش الكثيرين ، وبعدما نسي هو كل شيء .. طمش ..

.. بليتت واحداً من أهم دروس حياتي .. وهو أن التطرف الشديد والحساس المبالغ فيه ، والتشنع ليست دليلاً على قدرة المناضل اليساري على الاستمرار في الحركة بل لعلها إبعاد بالعكس .

.. انتسب إلى كلية التجارة .. وعمل في إدارة التدريب الجامعي .. ليدرب الطلاب الجامعيين على الخدمة العسكرية ليتخرجوا كضباط احتياط .. ومع تصاعد الأحداث الفلسطينية أخذوا في تدريب آلاف المتطوعين العرب الذين كانوا يستعدون للمشاركة في القتال .. وفي هذه المرحلة التقيت بهاسر هرفات ، كان يحضر طوابير التدريب ، وكان آنذاك طالباً بكلية الهندسة ، كان هرفات فرداً جليلاً للجندي الملتزم ، الرغب في التعرف وأسرع ما يمكن على مختلف الفنون العسكرية لتقارننا .. وأذكر أنني أركبته معي في السيارة لأوصله إلى مكان ما ومحادثة .. فجأة قال لي : تعرف بحاضرة الضابط إنك تتكلم زي التلميذ .. واستوعبت الدرس ، وعرفت كيف يمكن أن أدير حواراً دون أن أكتشف إجابتي .

.. قليلون هم الذين يشاهدون لقاء خالد بعرفات . في البدء .. ودوماً يشد الرئيس عرفات قامته ويحيي ضابطه القديم مقدماً التحية العسكرية .

.. في النصف الثاني من عام ١٩٤٩ ، وفي بيت جمال عبد الناصر .. التقت مجموعة من الضباط في غرفة الصالون : جمال ، عبد التيم عبد الرؤوف ، كمال الدين صهي ، حسن إبراهيم ، خالد محيي الدين . قال جمال : أنا معاً عبد الحكيم عامر لكنه معتذر اليوم . إنها الحيلة الأولى لتنظيم الضباط الأحرار .

.. وفي عام ١٩٥٠ التقي خالد من جديد بأحمد فؤاد وكان قد أصبح قاضياً ، ورتب لقاءً بينه وبين عبد الناصر قال عنه عبد الناصر : " راجل كويس ، وكلامه كويس ومعقول " .

وهكذا بدأ التعاون بين الحركة الديمقراطية

للتحرر الوطني (حلتري) وبين جمال عبد الناصر والنواة الأولى للضباط الأحرار .

.. الحيلة الأولى كانت موزعة على الأسلحة المختلفة مشاة ، مدفعية ، طيران .. وخالد .. فرسان وهكذا أصبح ضابط الفرسان الشاب .. هو الأب الروحي للحركة الوطنية والثورية في سلاح الفرسان .

.. بعد فترة كان التنظيم يضم ٣ ضابطاً أو أكثر قليلاً منهم ١٣ أو ١٤ من الفرسان تحت قيادة خالد . ويدأروا في إصدار منشوراتهم . يحتاجون الآن إلى زينو ، وألة كاتبة ، ووسيلة للتوزيع .. فعلوها مرة أو مرتين ، ثم اكتشفوا حاجتهم إلى خبرة العمل السري .. جمال وخالد اتفقا مع أحمد فؤاد أن تقوم " خدوت " بطباعة المنشورات وأن يقوم ضباطها بتوزيعها .

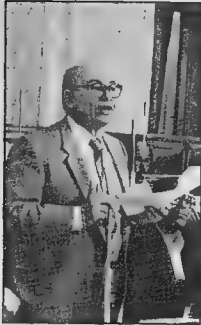
.. وفي سبتمبر ١٩٥١ أعد خالد أول وثيقة أساسية لثورة يوليو .. أهداف الضباط

الأحرار " كتبها بخطه عرضها على لجنة القيادة . ترددت القيادة ، ثم اتفقوا أن تظل النسخة الوحيدة بخطه محفوظة لديه ثم ليقرأها أعضاء التنظيم ثم تعود إليه .

.. وفي الساعة الثانية بعد ظهر ٢٧ يوليو التقت " لجنة القيادة " لتعقد إجتماعها الأخير .. إنها تعد الآن خطة التحرك .. تم اللقاء في بيت خالد . عرض زكريا محي الدين خطه السيطرة على القوات المسلحة والسيطرة على الوطن .. والثالثة والنصف انتهى الاجتماع .. واتفق على كلمة السر " نصر " .

سألتهم : " هل كنتم خائفين " وأجاب : " لا طرفة واحدة من الخوف .. الحماس لفتنا جميعاً ونسينا كل خوف " .

.. هو غير خائف فماداً عن مدام سميرة ! كانت تعرف . وكانت تحمل معها دوماً وثيقة " أهداف الضباط الأحرار " وتحمل المخاطرة .



خالد محي الدين
في مجلس الشعب

خالد محي الدين أن يفعلها ويتناسى عطر
دراوش التفتيشية واعتبارهم أن القرب
إلى الشعب هو تقرب من الله .. وأن خدمة
البشر هي أرقى أشكال التعبد .. من يتصور
أنه كان بإمكانه أن يفعلها ويخلل مدام سميرة
.. التي وقفت إلى جواره في هدوء شجاع ..
بل ويخلل ابنته سميرة بعد أن تركها مريضة
ليذهب كي يصنع لمرى ثورة ..
من يتصور أنه كان بإمكانه أن يفعلها
ويخلل كل ما آمن به من فكر .. ومعتقد ..
ماذا لو أن ليس لها مكان في خريطة خالد
محيي الدين ..

ويواصل "الفارس" مسيرته ..
ويبقى أن نسأل أنفسنا " من الذي
انتصر؟ " الذي نسي أو تناسى حقوق الشعب
في الديمقراطية ، وقبل منصباً أو شبه منصب
، متنازلاً في عقابه عن ضميره أو أكثره ،
تاريخه أو أكثره .. أم هذا الذي تمسك بالحق
والعدل والضمير والديمقراطية .. وكل المنصب
واكتفى بالنفي ؟

من الذي انتصر ؟
هو الذي امتلك ولم يزل بحجة الشعب
واحترام الوطن ..
فكم يبدو المنصب تافهاً .. أمام محبة
الشعب واحترام الوطن ..

* * *

عزيزي خالد محي الدين
هل تقبل اعتذاري إذ تجاسرت بالكتابة
عناك إذ صممت كتبت .. ومهما أفضت ..
ومهما قلت .. فأنت تستحق أكثر ..

ماتراً عليه "سيارة جيب"
* ولكن .. كيف يحكمون ؟ اختلفوا
البيض كان نهما للسلطة والثروة ، والبيض
كان يرى أنه الأحرى والأجدر بالحكم ، والبيض
أدارت تعقيدات الموقف رأسه لكنهم جميعاً
ظلموا جميعاً في قارب الوطن ..
صوت واحد ظل منسجماً مع ضميره ..
وفكره .. ومع ماعاهد نفسه عليه .. خالد
ورجال سلاح القربان صمموا على أن
الديمقراطية .. هي مفتاح انطلاق الوطن ..
بدأ صوتهم تشاروا وسط صخب
العسكرة ، لكنه كان متماشياً ومنسجماً مع
تطلعات الشعب ..

اختلطت بشرف مع رفاق الحركة ..
وعندما تهدد الوضع باحتمال التصادم ،
وانقسام الجيش أثر التراجع .. وأبعدوه ..
وتقبل النفي بعيداً عن الوطن .. دفع ثمن
تسككه بالمبدأ .. والديمقراطية .. ترى .. ماذا لو
أن رفاقه وافقوا على التمسك بالديمقراطية ..
هل كنا سنشهد ماألت إليه ثورة يوليو في
نهاية الأمر ؟

* * * لا يعرف التاريخ ولا يعرف بكلمة " لو أن

لو أن تاليهون لم يهزم في ووترلي ..
لو أن محمد علي لم يخضع لضغوط
أوربا ..

لو أن عرابي ..
لو أن سعد زغلول ..

ولكن " لو أن " محددة تظل تلج على ..
رغم أنني أحذر تلاميذي في فصول التاريخ
من استخدامها ..

" ماذا لو أن " خالد تهاون قليلاً .. سكت
قليلاً عن التجاوزات ، وعن تشده في
المطالبة بالديمقراطية .. وبقي .. في مجموعة
الحكام .. وبقي حتى ..
ولكن .. من يتصور أنه كان بإمكان

تعرف دون أن يتساءل ويؤمن أن تلج بالسؤال عن
آية تفصيل .. أو أن تشعره بالخرج تقيلت
الوضع حياً في خالد .. وحياً في الوطن ..
كانت ابنتها سميرة مريضة ، لابد أن
يراهما الطبيب .. لكن لاوقت لديه .. وحتى هنا
تقبلته مدام سميرة .. بعد الغداء ، وبلا
مقدمات قال لها : " سأخرج في الساعة ، وإذا
لم أعد في الصباح يكون شيئاً خطيراً قد حدث
.. إما أن أموت أو سأعود منتعراً ..
حتى كلمات مثل : " شيء خطير " "أموت"
.. " انتصر " لم تدفعها للخوف أو التردد ..
إجابتها كانت : " إن شاء الله حترج
بالسلامة ..

وهكذا تكمن البطولات لتختفي في
طبقات أحداث كبيرة .. فنحنينا مواقف صعبة
وصليبة ..

* سيطر خالد بقدراته على الموقع الحاكم
في شارع الخليفة المأمون .. هناك تساقط في
يده عديد من قيادات الجيش ، كانوا يسرعون
بعد أن تم استدعاؤهم لمواجهة الحركة ..
فوقعوا ببساطة في يد الحركة ..

" ما زلت أذكر أن واحداً منهم إنذفع
نحوي قائلاً : يا حضرة الضابط من فضلك
عربية توصلي للسلاح لأن هناك قرد .. قلت
باساً : " أسف أصل إنا التمره " ..

.. وبأى الصباح .. ليشهد فجر انتصار
مصر ..

فجأة تذكر مدام سميرة وسميرة .. دق
التليفون وفتحت السماعة ، الاثنان نطقا في
صوت واحد " ميرولا " لقد سبغت البيان من
الاذاعة ..

* لم يعد بعد مجرد ضابط ، أصبح واحداً
من الحكام ..
.. ووقع الخلاف مع رفاق الأوس ..
خالد وضباط القيادة أصبحوا حكاماً كل



مع ياسر عرفات
ود .. رفعت السميد

جنون الفلوس "والسمسرة"

فى

خطف لاعبي الاتحادى



نادر السيد

حاملًا كأس الأمم الأفريقية... بضرورة فتح باب الاحتراف أمام اللاعبين فى الخارج .. كامل هام وضرورى للارتقاء بمستوى اللاعب لما يكتسبه من خبرة فى الدول المتقدمة كرويا..

وعلى ضوء هذه التوجيهات يادر الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء ورئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة باتخاذ قرار تشكيل لجنة لوضع الضوابط المطلوبة لاحتراف اللاعبين

وكان الهدف الحقيقى من قرار الدكتور الجنزورى بوضع ضوابط للاحتراف هو أن تضمن هذه الضوابط عدم فتح باب الاحتراف الخارجى لمجرد الاحتراف ولكن بشرط أن ينتقل اللاعب المصرى للعب بأحد الأندية التى يستفيد من اللعب ضمن صفوف فريقها.. وبأعلى سعر ممكن .. لأنه سيصبح محترفاً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ..

وتم بالفعل تشكيل هذه اللجنة وعقدت سلسلة من الاجتماعات لوضع هذه الضوابط إلا إنها فى النهاية لم تقدم شيئاً أكثر مما كان موعوداً بالفعل لدى لجنة شؤون اللاعبين بالاتحاد المصرى لكرة القدم .. وهى النصر من التى حددها الاتحاد الدولى "الفيفا" والتي تفرق بين اللاعب الهادى .. وغير الهادى .. والتعبير الأخير هو الخاص باللاعب المحترف الذى يتقاضى راتباً ..

ولم تقدم اللجنة ما يمكن أن يحكم بورصة انتقال اللاعبين فى الداخل رغم مطالبة النقاد بذلك.

* التمويل والوسطاء *

فى هذه البورصة العجيبة الغريبة التى

أحياناً يصبح من الضرورى العزف على نفس الوتر ، وأن تكرر نفس المعنى .. وأن تلج على مضمون قضية ما لما لها من أهمية حتى تصل إلى حل لها .. ويكون زاماً علينا ألا نأيس قبل أن ترسو سفينة بحثنا ونقاشنا حول هذه القضية إلى شاطئ النتائج والحلول . ونحن هنا ننظر السؤال القديم الجديد الملح .. من المسئول عن مهزلة خطف اللاعبين كل موسم .. وهذه الفوضى فى تحديد سعر اللاعب المحترف داخل مصر.

من جديد .. وبعد ختام الموسم الكروى كل عام يصبح انتقال اللاعبين البارزين فى أندية الأقاليم هو الشغل الشاغل للصفحات الرياضية فى الصحف والمجلات .. ومع كل موسم تزود قيمة هؤلاء اللاعبين فى بورصة الاحتراف الهمسى الذى تعيش الكرة المصرية ويبتعد فواتيره المبالغ فيها جداً .. الأعضاء العاملين فى الأندية .. وأكثرها بالطبع التاديين الكبارين .. الزمائل والأهلى فى سابقها الحميم تحطف هؤلاء اللاعبين.

فما الموسم اتخذت حركة بورصة اللاعبين شكلاً مختلفاً بعض الشيء عما كان فى المواسم السابقة .. زعماء ساعد على ذلك إعلان بطل الدورى قبل نهاية الموسم بثلاثة أسابيع .. هذا بالإضافة إلى التركيز على لاعبين ليسوا بالكثرة العددية التى كانت تدخل بورصة المزايدات من قبل .. وهو الأمر الذى جعل الأسعار تزود اشتعالاً وبصورة مستمرة..

وقبل أن تدخل فى التفاصيل لما يعمرى حقيقة فى لعبة الخطف هذه .. نعم لعبة الخطف .. لأن مايمتد لاهلقة له ما يتم فى بورصة المحترفين فى الخارج ، ومن هنا لابد أن نشير إلى توجيهات الرئيس محمد حسنى مبارك عقب عودة منتخب مصر القومى

حسن عثمان

تعمد انتقال اللاعبين من ناد إلى آخر داخل مصر .. تتدخل عدة عناصر لتتسم الصراع بين الأندية .. أمهما مصادر التمويل .. ثم الوسطاء .. وبعد ذلك المستوى الفنى للاعب .. وعمره .. ولأن الأمور تدار بالطرق النبلانية ..



وليد صلاح الدين
وعبد الطاهر السلا
والتنافس بين الأهل
والزمالك على خطفهم

أثير حولهم الجدل بعد نهاية الموسم .. وكثرت
الأخبار المتضاربة حول انتقالهم من أنديةهم
التي يلعبون بها .. إلى الأندية الراغبة في
شراهم.
ولعل أكثر اللاعبين الذين محل إهتمام
التأديين المتنافسين دوماً في كل شيء .. هيا
نجما فريق المنصورة عبد الطاهر السلا ووليد
صلاح الدين.

« الأول أصبح سعره ٢ مليون جنيه ..
لأن الأهل يحتاجه بعد احتراق سعره كونه
بحراني ٣٥ مليون جنيه في بطل الدوري
الألماني.

« والثاني قفز سعره كهداف إلى ثلاثة
ملايين جنيه .. لأن الزمالك يحتاجه لدعم
خط هجومه.

« وبعداً عن نجس المنصورة كشال
للمضاربات المبالغ فيها نطرح اسم عاطف جاد
حارس مرمر الشرقية الذي انتقل إلى الزمالك
بمعرفة كابتن الزمالك السابق حسن فحاته
مقابل نصف مليون جنيه وكان اللاعب نفسه
انتقل من ديمياط إلى الشرقية الموسم الماضي
ب ١٠٠ ألف جنيه»

« ويبقى السؤال .. هل يوجد لاعب في
مصر يستحق هذه المبالغ؟

الاجابة نعم إذا ماطلب للاحتراق في
الخارج .. مثلما حدث مع سحر كونه وناور
السيد وصحت عبد الهادي .. أو غيرهم من
اللاعبين الذين تحتاج لهم فرصة الاحتراق
بالخارج.

أما حكاية خطف اللاعبين في سوق
الاحتراق كما هو الحال في الأندية المصرية
فالمشكلة تقع على إهمال الكرة المصري ولجنة
شئون اللاعبين في هذه الفوضى القريية
المرجوة لعدم وجود تصنيف للاعبين ..
وتحديد أقل وأعلى سعر لانتقال اللاعب من
نادٍ لنادٍ آخر داخل مصر.

الوصف . فالفئة الأولى .. وهي السماسرة
لا تتوقف فقط عند من يهاشرون المهنة بالشكل
الذي يعترف به الاتحاد الدولي لكرة القدم.
لذا فباب السمسرة مفتوح على مصراعيه
.. أمام أصحاب العلاقات من لاعبين وإداريين
وحكام و... إلى آخره.

والسؤال أين دور اللاعب نفسه في وسط
هذه السوق؟

لأن كل واحد يقول أنا أولاً .. فهناك
العديد من المفاوضات التي تتم بعيداً عن
مستوى الأندية والنماذج كثيرة بعيداً عن
الأسماء المتداولة والتي يتصارع عليها
التاديان الكبارين الأهلي والزمالك .. وإن
كانت تلك المفاوضات تتم أيضاً بمعرفة أحد
التاديين .. منها على سبيل المثال لا الحصر
ماتم مع إسلام الشاطر لاعب النادي الأولمبي
السكندري والذي وقع على استمارة قيد
للمالك.

هكذا يتم خطف اللاعبين في ظل
«الاحتراق» الذي يطلق عليه الاحتراق .. فلو
كانت هناك لوائح محددة لتصنيف اللاعبين
كما هو في لوائح الاتحاد الدولي .. ماوجد
اللاعب المحترف في النادي والموظف في
المؤسسة الرياضية ... ولا اللاعب المحترف
والذي يعمل في أكثر من جهة .. ومن هنا
فاللاعب يأخذ ولا يعطى .. يتعامل كمحترف
مادياً .. وعلى العكس في حياته اليومية
كلاعب .. مهنته «العب وهي الصفة التي
تكتب في بطاقة اللاعبين. غير الهواء كما
وصفهم الاتحاد الدولي.

جنون الفلوس

نعرض هنا بعض أسماء اللاعبين الذي

وكيفية الهروب بما يكون محل محاسبة من
الجهات الرقابية .. فمصادر التصوير عادة
ماتكون خارجة عن نطاق النادي الساعى
للشراء لأكثر من سبب.. إما لغتم وجرد
سبوبة أو لعدم الدخول فيما هو مخالف للوائح
صرف المال العام في غير موضعه .. وهذا هو
الأهم.

إذن يكون المخرج عن طريق رجال الأعمال
« الموضة الجديدة» بعض الأثرياء الذين
أصبحوا كثر .. وهم الأكثر تأثيراً في هذا
الاتجاه حتى وإن اختلفت نواياهم وتعددت
مصالحهم بين مجرد الانتماء للنادي الساعى
لضم اللاعبين المعروفين للبيع .. أو لأهداف
أخرى دعائية حياً في النظرة التي تهم بعضهم
وبحثاً عن الشهرة .. ليصبح المال والشهرة
معاً.

أما من يلعبون دور الوسطاء .. فهم في
مصر ينقسمون على غير ما هو معروف في
سوق الاحتراف الخارجي .. إلى ثلاث فئات
الأولى المسمار .. وهو الشخص الذي يمثل
حلقة الرصل بين التاديين واللاعب .. والثانية
من يمكنون اتخاذ القرار في النادي البائع ..
والثالثة من يمكنون قرار الشراء ..

ومن بين الفئات الثلاث تظل الفئة الثانية
أى من يمكنون قرار البيع .. أو الاستغناء عن
المحور الأساسي فالبعض منها يلعب أحياناً
دور «السمسار» من خلال عرض مباشر على
التادي الساعى للشراء .. أو إيجاد دور
لنفسه في الصفقة .. إما بالتعطيل في
إنجائها .. أو المغالاة في القيمة المطلوبة .. أو
الاجلان عن طريق الإعلام حاجة النادي للاعب

الحكاية تدار بشكل «بزمطي» إذا جاز



فن

فيلم «دانتيل» لإيناس الدغيدى وخرافة تحطيم التابوهات



إيناس الدغيدى

أحمد يوسف

لأنها أعلنت عن زينة ما كان لها أن تخرج إلى العلن، لتأخذها إلى غرفة ضيقة مغلقة تحبسها فيها لتتناول طعامها بعيداً عن أعين الآخرين. في المشهد الثاني، نرى الأم نفسها وقد جلست مع أصدقائها وصديقاتها حول طاولة كبيرة يتسامرون ويتبادلون الأحاديث، وعندما تبثت الكاميرا قليلاً نكتشف أنهم لا يجلسون على مقاعد، وإنما على قراعر «التوالي» ليمارسوا طقوس أخراج فضلاتهم في حرية وعلاية كاملين! قد يصدرك هذا المشهد بشدة، وهو إذ يطلق ضحكك الساخر فإنه يشير في نفسك الغشيان أيضاً، وهذا ما أراد بهنرول قاسا، لأنه يريد أن يضع العقيلة البرجوازية التي انتهت إلى قلب كل المعايير، يعيها عن حرية زائفة أو قل أنها ليست الحرية، وإلا «شيخ الحرية»، فإذا بالهاجات الانسانية البسيطة قد تحولت إلى تابوهات، بينما ما يمكن أن تضعه تحت عنوان العار بعد اكتسبت وجوداً واسعاً. وليس المشكلة الحقيقية أن تحطم كل التابوهات، لكن جوهر القضية يكمن في أن التركيز على أكثر هذه التابوهات سطحية قد يخفى «تابوهات» أكثر أهمية وتأثيراً في حياة الناس.

تحرير الانسان

إن شئت لذلك تطبيقاً على ما يظنون عليه «سينما المرأة»، وعلى فيلم «دانتيل» لإيناس الدغيدى على نحو خاص، فهو أن سينما إيناس الدغيدى أصبحت تنهج بنوع من الاندفاع والنزق إلى ما يصيبه «تحطيم تابو الجنس»، وهو أمر لا يمكن لك أن تذكر أهميته في التعبير عن جانب مهم من حياة الإنسان.

أرادت هذه السلطة أن تستعين بأكثر الجوانب الانسانية من هذا التراث، لكي تكرر وجودها وتدعم سلطتها، من خلال سلسلة طويلة من التواهي والمحظورات، حتى شاخت بنا الدائرة عن أن نتجاوز- ولو بقدر ضئيل- تلك الخطوط المرسومة لنا سلفاً في التفكير والحياة.

إن كان ثل هذه التمازلات من أهمية طوال تاريخنا، فإن تلك الأهمية تزاد إلحاحاً في واقعنا المعاصر، ربما لأننا نشهد أحياناً بأننا نقف على عتبات القرن الواحد والعشرين، بينما ما زلنا نعيش في كهوف وسرايب مظلمة تمتد إلى أكثر العصور تخلفاً من هذا التاريخ. لكن الأهم هو أنه إذا كنا نريد حقاً أن نطرح في اتجاه المستقبل، فإن علينا أن نضع الكثير من الأكار- التي تتصورها مصرمة ومقيدة- موضع البحث والمراجعة والتدقيق، وأن نخلع عنها ذلك القناع الزائف من القساسة والتحريم، وأن تطرح كل الأسئلة الممكنة حول كل المحرمات المصطنعة في حياتنا... لكن يبقى أن نقطة الانطلاق في ذلك كله هي: ما هي التابوهات الحقيقية التي يجب علينا أن نطعن فيها؟ وإذا ما كنا نطرح الأسئلة الصحيحة حقاً حولها!

لقد أجاب الفنان السينمائي السيرالي لوي بونول في فيلمه «شيخ الحرية» عن هذين السؤالين، بقدر هائل من الحدة والذكاء، ليكشف لك عن التزييف الذي يمكن أن يلجأ إليه الفكر البرجوازي في طرح هذا السؤال أو ذاك، وفي الإجابة عنهما أيضاً، ففي أحد مشاهد الفيلم، تشعر طفلة صغيرة بالجوهر، وعندما تطلب الطعام من أمها تنفجر بشدة

لا مستر أمامك وأنت تتسائل فيلم «دانتيل» لإيناس الدغيدى، وكل أفلامها الأخيرة، من أن تواجه تساؤلات على قدر غير قليل من الأهمية: هل تقف مناصراً ونصيراً لما يسمى «سينما المرأة» التي تقدمها صناعات للإفلام، ما يزال وجودهن داخل صناعة السينما المصرية أقرب إلى الندرة، بحيث يكون مقدراً عليك منذ البداية أن تحظى بأفلامهن القليلة، في سياق اجتماعي وثقافي يكرس أكثر من أي وقت مضى تلك النظرية الذكورية الأحادية التي تعود بنا عشرات العقود إلى الوراء؟

وهل يمكن لك أن ترفض تحطيم «التابوهات» التي ما تزال تحكم قبضتها على جانب كبير من تفكيرنا ونظرتنا إلى العالم، وتفرض علينا، سباجاً يشبه الأسوار الشائكة التي تمنعنا في الكثير من الأحيان تجاوز الكثير من المحرمات المصطنعة أو المصنوعة، وتصرقنا عن أن غارس حياتنا بحرية تحقق للإنسان إنسانيته المنشودة؟

ولا مفر أمامك أيضاً وأنت تواجه هذين السؤالين إلا أن تقف- بوضوح وصراحة- كاميلين مع أن قارس المرأة حقها في التعبير عن نفسها، بل أن تخوض معها معركة من أجل تحريرها من كل القيود المادية والاعتقالية التي تكبلها. كما أنك لن تردده طويلاً حتى تتهيجز إلى جانب تحطيم كل التابوهات المصطنعة التي أضيقنا عليها القداسة والتحريم، وريثاً عبر قرون من الفكر للتخلف الذي فرضته وتقرضه علينا، وعلى أسلاقتنا- السلطة التي قمعت وما تزال تقمع- كل التيارات الفكرية المتحررة من تراثنا، حين

ذلك كله إلا أن ترى بعض «النمر» المتلاحقة، التي تدور واتسعا حول «أوتيرة» المرأة، و«قوسولة» الرجل وأولئك تستطيع الآن أن تتكلم بالنهاية بالترفعة التي تراها بينما إنفاس الدهشي هي النهاية «الطبيعية» المحترمة -لجذا الصراع-.

تقول عناوين فيلم «الاعتلاء» أن كاتبة القصة هي هالة سرعان، وأن السيناريو اشترك في كتابة ثلاثة: رفيق الصبيان ومصطفى محرم إلى جانب إيناس الدهشي (وكانت أمام سيناريو فيلم «نهاية العالم الآن» أو «الناصر صلاح الدين»)، لكنك تستطيع أن تلخص «حذوت» الفيلم في سطور قليلة (وذلك أحد المعايير التي يمكنك أن تحكم بها على أصنافه الإبداع الفني في أي فيلم سينمائي، فالفيلم الجاد يستعصى على أي تلخيص، وعشق ملامح نفسية وجسدية متناقضة، الرقيقة الشاملة لاداته). يحكي إذن فيلم «الاعتلاء» عن امرأتين صديقتين، كل منهما تنتمي إلى جذور اجتماعية مختلفة، كما أن كل منهما ملامح نفسية وجسدية متناقضة، ومع ذلك فإن الصداقة تجمع بينهما، ولا تسال عن المبرر الفني الذي يسوقه لك الفيلم ليجعل لهذه الصداقة وجوداً حقيقياً، بل أن معنى الصداقة نفثه بين المرأتين يبدو واضحاً تماماً، وكان الفيلم يقدمهما كليهما -رغمًا عنهما- إلى الحكمة الدرامية الصطنعة، ليقدم لك قضيتيه الأكثر اصطناعاً، المهم هو أن المرأة الأولى تسهر الليالي (يسرا) المتحدرة من أسرة سكندرية فقيرة، بدأت حياتها لاجبة أكروبات في السيرك، وانتهت إلى أن تصبح بمغنية لامعة، ويسوف تعرف لاحقاً السبب في رغبة صناع الفيلم لاحترافها مهنة الغناء، وهي المرأة التي استطاعت أن تشق طريقها في حياتها بفضل جرأتها، وإقتحامها، وأحياناً سوقيتها وباثذالها، التي تتجسد أيضاً في طريقته

نساء العالم، المحن: «! وليس في نظرنا إلى هذا الأمر» أو إعادة صياغتنا له في هذا الشعار، أية مسخرة، بل إن هذا ما تؤمن به سينما إيناس الدهشي أياً كان كمالاً (ولأنك فإن هذا هو ما تؤمن به بعض الحركات «النسوية» التي أصبحت تكتسب كل يوم أرضاً جديدة بين بعض مشققنا)، وإن شئت الحقيقة فإننا لسنا ضد اتحاد نساء العالم على هدف واحد، هو تحرير المرأة من كل القيود التي تكبلها، لكن ما ينبغي التنبيه إليه -بوضوح لا يعرف المأزبة- هو أنه لا يمكن لأية حركة تحرير حقيقية أن تقوم على أساس عنصري أو عسقي أو جنسي (كما يمكن أن تطلق عليه انتصار المرأة يعني بالنسبة لمن هزوة الرجل) كمنها أنه لا يمكن لك أن تضع أهدأ غائتي إلى جانب جولدمانير لتؤكد حقها في انتصار المرأة في معركةها لكسب حقوقها السياسية (لأنك فإن هذا ما فعلته إحدى كاتباتنا النسويات الشهيرات)، بل إنه لا ينبغي لك أن تنفي أو تتجاهل كل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في قضية تحرير المرأة، التي لا تعنى في جوهرها إلا أن تسمى المرأة -إلى جانب الرجل، وليس منهد- إلى هدف واحد، هو تحرير، المجتمع كله، بل تحرير «الإنسان» **حذوته «تقليدية»**

في تلك الرؤية التي تقدمها سينما إيناس الدهشي يخفى ذلك «الإنسان» اختفاء كمالاً، كما أنك لن تجد للسياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي أي وجود حقيقي، فالقضية كما تتصورها هي صراع أزلي أبدي بين كائن غربي -ولا نقول: إنسان! - اسمه الرجل، وكائن أكثر غرابية اسمه المرأة، والأهم من ذلك كله هو أن الأرض التي يقوم عليها هذا الصراع الوهمي هي «الجنس» الذي تزعم سينما إيناس الدهشي أنها تقسمه سبياً إلى تحميم جانب «التابو» فيه، فماذا نتظر بعد

بل إن صياغة العلاقات الجنسية بين التابو في مجتمع بحيث ليست إلا أحد الأوجه التي تتجسد فيها كل العلاقات النسبائية والاقتصادية والاجتماعية، لكن هناك فجوة هائلة بين ما تفعله سينما إيناس الدهشي في هذا المجال، وبين دور الجنس -كسبب أو نتيجة- في تشكيل علاقات حياتنا.

فلنتأمل معنا فيلم «الاعتلاء» الذي يبدو من عنوانه -وإن جاز أن لا نتخذ بذلك كثيراً - أنه يتناول علاقة رقيقة ناعمة بين صديقتين، وهي «الصيغة» التي قد تشير للوهلة الأولى إلى رغبة إيناس الدهشي في لقاء الضوء على جانب مهم من وجدان المرأة، لتكشف لك عن انسانياتها الحقيقية في مجتمع لا يعترف إلا بصداقة الرجال، فالأغلب الأعم من الأفلام في تاريخ السينما في مصر والعالم كله تدور حول صداقة الرجال أو زمالتهم في رحلة كفاحهم، حيث يتفلسف ويترافع دور المرأة، أو حتى يتم إقصاءه ونفيه، لا تكاد نستحي من ذلك إلا عدداً قليلاً من الأفلام، مثل «جوليا» للفرد نعيمان أو «تقطعة التحول» للميريت روس، أو «أحلام هند وكاميليا» لمحمد خان (على سبيل المثال، لا أنصر)، إذن تلك هي «الاعتلاء» الثورية، تقفل خيوطها من العلاقة بين صديقتين، كان من المفترض في السيناريو الأصلي للفيلم أن تكون احدهما مسلمة والأخرى مسيحية، في نوع من أضواء عمق أكبر على طبيعة هذه العلاقة الانسانية الرحيمة، لكن مهلاً، فقد تلاشى كل ذلك وتبرخ، لا لأسباب رقابية كما قد يجادل إلى ذلك للوهلة الأولى، وإنما لأن «الصيغة» التي تحكم سينما إيناس الدهشي -في الفترة الأخيرة على نحو خاص- أصبحت تجسد العقلية البرجوازية التي سبق لنا الإشارة إليها في فيلم «ضيق الحربة»، فإن «تابو» الصداقة الحميمة والعلاقة الدافئة بين امرأتين ناجحتين (في مجتمع ذكوري ما يزال ينظر للمرأة على أنها كائن يستعبد به الفكرة من كل النساء الأخريات)، كما أن «تابو» الحجاز الوهمي بين المسلمين والمسيحيين في وطن واحد، كليهما قد اختفى قبل بداية الفيلم نفسه، مع تلك اللوحة التي تطلن فيها إيناس الدهشي أهدأها الفيلم «إلى كل صديقة صارت أن تخسر صديقتها بسبب رجل أهدأها الفيلم».

تضع إيناس الدهشي منذ اللحظة الأولى خطاً فاصلاً بين طرفي الصراع كما تتصوره: المرأة من جانب، والرجل من جانب آخر، حتى تكاد في ذلك «الاهداء» أن تملن عن شعار أو نداء، يمكن لك أن تبلرزه في كلمات: «يا



يسرا
بين
الهال شاهين
ومحمود حميدة

زيتها **«دانتيلها»** وجديتها **«سيتا»** تأتي المرأة الأخرى **«مرم»** **«الهام شاهين»** على طرف تقيض **«فوس»** تنتمي إلى أسرة قاهرية شديدة الثراء، لكنها امرأة أصبح بالجهد وأخيراً تملكها أنها تكمز أن تضيء في حياتها العملية وهذا بدون مساعدة صديقتها **«سهر الليالي»** حتى أنها تقترن - إن تعرف كيف ولماذا - فكل الزائرات التي تأخذها الشخصيات وتغير مسارها الدرامي تتم بعيداً عن أعين المتفرجين، فهكذا أراد كتاب السيناريو المحترفون «الفتاة» - تقترن أولاً إلى **«سهر الليالي»**، فمتأثر من القاهرة إلى الاسكندرية لتكون إلى جانب صديقتها، وتفتتح هناك مكتباً لممارسة المحاماة، ولو أنها لا تحقق في ذلك نجاحاً مذكوراً.

«سهر» الفيلم بهذه الصداقة المفتعلة على نحو عمل رتيب، لأن الفيلم يزيد أن يوضح لك بأن السعادة والاستقرار تفرقان على حياتهما، لكن لكل الأمر تقليب رأساً على عقب عندما يظهر ضابط المباحث **«حسام»** **«محمود»** **«حميدة»**، فإذا بك تعود فجأة نصف قرن إلى الوراء من عمر السائق المصري، لتجد نفسك أمام حبكة فيلم «من الحفرة» أو مئات الأفلام التقليدية الساذجة، ف**«سهر»** كفى **«حسام»** و**«حسام»** **«سهر»** مرم، وضع ببورها نغلي حوها لحسام لأنها تريد أن تضيء من أجل صديقتها لتحدث بعض مواقف سوء التفاهم التي يفرغها كاتب السيناريو من الأفلام القديمة، ويتبني ذلك كله بأثر يرمي مرم بالتضحية، فيستخرج رجلاً لا يجيب، لكي تنجح الطريق أمام زواج صديقتها **«سهر»** وجديتها **«سيتا»**.

لأن من القريب أن تضح حتى منتصف الفيلم أنه قد سبق لك أن شاهدته من قبل عشرات المرات، لكن سرعان ما يتعطف الفيلم على نحو ضاد، عندما تعود مرم وتجد حبلت على الطلاق والحرية من علاقة زوجية يخبئ عليها القصور والبؤرة، لكي تعرض معركة ساخنة درامية - مرة أخرى لا تزال عن أية مبررات أخلاقية في تكتيكات التضييق أو تطورها - إذ تقرر مرم فجأة أن تزوج من **«حسام»**، لينصحب العلاقة بين الصديقتين علاقة بين «صرتين» - يوتغني قاسماً للاح - **«سيتا»** المرأة **«الزوجة»**، لتضيء بسلسلة طويلة من فر وكيد النساء على نحو أكثر ابتعاداً ومطوية من كل المعالجات السينمائية الروتينية التي قدمها بعض المخرجين من الرجال.

ملكة النساء

إن كنت ملت ذلكم «الاداء» الذي بدأت به **«إيناس»** **«الفيلم»** **«فيلمها»**، فتصور من أيه «المضمون» و«المسالة» الذين تسمى لتوصيحه إلى المتفرجين أو بالأحرى إلى المتفرجات، فإنها سوف تصنع أفلاماً درامياً أكثر، إذ تصاب **«سهر»** في تفرغها مرم حتى شغلها، لتبتال بالأدوار عندما تعاني

خبر من آلام المخاض، فتستهن **«سهر»** على رعايتها، وعندئذ تتركها أنها لا تحتاجان حباً مهماً، وتذهبان بعيداً من العطفة الوليدة، حيث «ملكة النساء» أو «الورتوبا» التي أقاتها في قلبها **«إيناس»** القديمة.

إنك إذا تأملت قليلاً الشكل والمضمون اللذين اعتصمهما فيلم «دانتيلها» لا أدركت معنى التزييف الذي تقوم على دهائه الفكرة المزعومة بتعطيل التابوهات في **«سيتا»** **«إيناس»** الفيلمي، فالفيلم يتوجه إلى الفئران الدنيا عند المتفرجين، من خلال التوابل السينمائية التقليدية، التي يأتي «الجنس» على رأس قائمتها. وليس من تعظيم التابو في شيء أن ترقص **«سهر»** الليالي لتتوقف الكاميرا طويلاً لتتأمل عجزتها وساقها - على طريقة أفلام **«حسن الصفي»** **«السيد زادة»**، وأن يستطرد الفيلم في مشاهد مطاردة الغرام بين الرجل وكل من المراتن، بارة مع مرم على أضواء الشموع وصوت الموسيقى الهادئة، وتارة أخرى مع **«سهر»** الليالي في غف وجنوح وشوربانة، وكان الفيلم يقدم لك تنوعات متناقضة لما يتصوره «الثروة»، التي لا تتجلى إلا في غف النوم المخلقة كما أن الرواية لا تجسد في مثل هذه السينما إلا في معنى الفحولة الجنسية وجدها.

يقول فيلم «دانتيلها» من يسعى إلى تحرير المتفرجين (للتخلفين) من تابو الجنس، أو من النظرة التي تحيطه بالكنس من

الغفوض والسرية والحرف، فانظر إلى وسيلته إلى ذلك من خلال غفوة المرأة **«سهر»** الليالي، التي تضي وتارة: «أنا عندي رائحة»، أو «أوه...» تمهيداً لكي تنطق بالحليكة المصيبة الحب أجمل من كده، على إيه بتعقدوه، ولأنها امرأة غير معقدة (١) فهي تؤمن بأن «الست» ماتتفشي خالص إلا إذا عرفت ترقص ورائتي» (إنه منطق الجوراء) كما أنها لا تعاني من أية مشكلة إذ تقول عن نفسها: «إن كل يوم ممكن ألقى رجل» هي شغلانة؟، ونسى فيلم «دانتيلها» أنه بذلك يتحدّث في غفوة «العاهرة» التي تصاد الرجال العجائز لكي تسلمهم أموالهم. كما يستخرج الفيلم منفرجه باستعراض أجساد النساء الكاري يزع أنه يدافع عنهم! بينما يمكن لسيتا المرأة - بل هكذا فعل سينماها - جساد من الرجزال - أن تجسد في نموذج «العاهرة» ذاتها تجسيدا لأكثر التناقضات ألاما وخطرا ومراة في استلاب استائنية. الإنسان، في مجتمعات لا تقوم فقط على دعم التناقض بين الرجل والمرأة، وأما على الحاكم والمحكوم، وبين من يقوم بالاستغلال ومن يتم استغلاله، وبين الإنسان - رجلاً كان

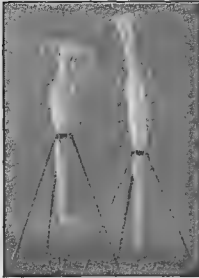
أم امرأة - وتحويله إلى سلعة يتم بيعها وشراها.

إن فيلم «دانتيلها» بدوره ليس في حقيقته سوى سلعة، تم انتاجها من أجل التباهي التجاري وصفه حتى لو ادعى أصحابها أنهم يملكون احتياجات لدى الجماهير والمستهلكة، أو زعموا أنهم يسعون إلى تقديم رسالة ومضمون عميقين. وإن كنت في شك من ذلك أجزع أن تتأمل اعلانات القناة الفضائية في قطر «الفتاة» **«سهر»** الليالي (هل عرفت الآن لماذا تحولت من عالم السيرك إلى الغناء؟)، وكذلك صورتها على أغلفة إحدى المجلات الفنية التي يملكها صاحب القناة الفضائية ذاتها، لتدرك في النهاية العقلية التجارية التي تم بها صنع الفيلم، والتي يتم بها أيضاً طرح قضية تعطيل التابوهات، ولا تنس أنه في تلك القناة الفضائية ذاتها برنامج يزعم أنه يتشمع الناطق المحفرون من تفكير الجماهير، تقدمه إحدى الشركات في صنع الفيلم، لكن البرنامج ينتهي دائماً، وبالكثير من «التوابل» الساخرة إلى أرساء مفاهيم شديدة الرصينة والتخلف، قاساً معلماً ينتهي بفيلم «دانتيلها» إلى تكريس عبودية المرأة داخل «أوقعتها»، التي لا تبقى من منظور - صنع الفيلم - إلا جانب الجنس وصفه، بينما يرفع الفيلم شعاراً بارزاً بأنه يسعى إلى تحرير المرأة.

تقول دائماً أن جانباً من أزمنا المعاصرة يعود إلى تسبئة الأشياء، بغير أسمائها، فيها إلى أسطورة تعطيل العبايات تحصل ببورها إلى تاجر، فإذا أنت وقفت في وجه هؤلاء، الذي يحاولون القضية برمتها إلى نوع من التجارة، وجدت نفسك متهماً بأنك ضد الحرية، لكن الحقيقة أن بعضاً لا يستهان به من الحادلات الزائفة لتعطيل التابوهات الرومية والمصطعة إلا لا تشورها متصداً لوعي الجماهير ووجدانهم، وانحرافاً عن توجيه الاهتمام للتأوهات الحقيقية التي تحكم وتتحكم في حياتنا، وقد يكون كذلك واحداً من هذه التابوهات، وهو كذلك حقاً - لكنك إن أردت أن تتحدث عنه حديثاً جاداً وعميقاً، فقلد لك أن تتحدث في السياسة والاقتصاد والفكر... بل في الحياة اليومية للملايين من أبناء الوطن الذين يعيشون تحت خط الفقر، هؤلاء سوف تدرك لماذا لا يصرف أبناء هذا الشعب الليالي معنى «الجنس» على عقيدته، لأنهم لم يعرفوا معنى «الحياة» على عقيدتها، تلك الحياة التي تحولت وما تزال تتحول - بكل أبعادها - إلى تاجر هائل، ينظر من مطبوعه، ليتجسس للناس البسطاء حياة أكثر جمالاً وعدلاً.

فن تشكيلي

فى بينالى الخزف الدولى الرابع - القاهرة ٩٨ " الخزف " مادة خاملة أم نشطة ؟



آرماس بيرشيزكي - إيجر - عمل فنى

معظم قضايها الخزف المثارة وربما ساعد على ذلك عدم طرح قضية واحدة أو وجهة نظر واحدة تخص الدورة ..

إن العمل الذى يقدمه الفنان الشاب شادى النشواتى تحت اسم العودة من الجسد هو بالفعل عمل قوى ، يعكس طاقة جسمانية هائلة يتجتمع بها الفنان ، وكذلك مجهود ذهنى يجعله مرشحاً ؟ بعد الفترة ؟ لأن يكون من الفنانين المتميزين.

يتكون العمل من ستة عناصر من خامات الحديد والخزف ، مجهزة فى فراغ صالة العرض تقدم رؤية جديدة لأسطورة الفراعنة حول عودة الروح إلى الجسد ، عند شادى الأمر يختلف ، فهو يضع الجسد فى صورة متشظية بعد تحطيمه من الداخل وتعميمه وتحطيمه من وجوهه الخاص لإتاحة الفرصة للروح فى أن تخرج من هذا الإطار المادى الثقيل .. وبهت شادى على الخاطئ يسار العمل لوحة الرسوم التحضيرية وعمليات صياغة الفكرة والتي تسبق العمل .. فينتقل للمشاهد رؤيته للجسد :

" الجسد هو الوعاء الذى تلقى فيه كل لقائات العقل "

" الجسد هو الوعاء الذى يحوى الروح " .
ثم يكتب كلمات متشظية عن التحول ، الميلاد ، المواء ، الشمس ، الجسد ، الروح .
ثم يكتب أبياتاً من شعر ابن الفارض
أنا طين لكن صنعت بهيما له
وتحلت بالتهليل والنوراني
أنا بينكم لكننى معنى عنكم
أرواحكم بيدي وتحت جناحي
أنا أنتم

إن عرض شادى لعملية صياغة الفكرة يضعنا أمام مشكلة التداخل الحقيقى بين ما يفكر به وبين تشظيه للفكرة فى صورة المنتج النهائي . حيث يؤكد على مذكراته من أن الحامة لم تكن فى بيت القصيد إلا فى تلك العلامة اللغوية بين وجودنا المادى وطبيعة الخزف . ولدينا الاعتقاد أن شادى إن أراد تغيير مادة الخزف داخل العمل لفعل ذلك دون

يقول الفنان والنقاد الأمريكى جوزيف كوزوت :

أن تكون فنانياً الآن ، يعنى أن تبحث طبيعة الفن ، فإذا كان الفرد يبحث طبيعة التصوير ، فإنه لا يستطيع أن يكون باحثاً فى طبيعة الفن ، وإذا قبل الفنان التصوير أو النحت ، فهو يوافق على قبول القواعد التى تتماشى معه . وهذا هو السبب فى أن كلمة " فن " كلمة عامة ، وكلمة " تصوير " هى كلمة محدودة .

إن مايقوله كوزوت إنما يعكس مشكلة تأرجع الفن اليوم بين أشكال ومسميات شديدة الاختلاف والتباين .. وأن محاولة فصل التشابكات بمعنى أن نتفحص كل مجال على حدة إنما من شأنه أن يقضى على شمولية تفكير الفنان . وأن ينشئ مشاكل عديدة بعضها تقييدى مثل تأثيره قضية فن الخزف .. والتي تعكسها الأعمال المعروضة ببينالى الخزف الدولى الرابع ٩٨ .

بالنسبة لفن الخزف المسألة أعقد إذ أن هناك تصوراً مسبقاً عند فناني الخزف بأنهم فنانين من الدرجة الثانية لارتباط هذا الفن بالنواحي الاستخدامية والاستعمالية فى الحياة لفترة طويلة ، ساهم هذا فى بث قناعة تخص عدم نقائية هذا المجال ، أى الشك فى أن يكون المنتج فناً خالصاً .. لعلاقة له بالحياة بشكل أو بآخر .

فى ظل هذا الإحساس اشتبك فن الخزف مع مجالات الفنون الأخرى مثل التصوير ، والنحت والابستيشن ، والمجاهمى ليس بالفرض الذى ذكره كوزوت من شمولية التفكير وإنما لعدم الثقة فى قيمة المجال الادبائية قاطبة مسمياتها بالاضافة مثل التصوير الخزفى ، النحت الخزفى وهكذا ..

وحتى يتحقق لفن الخزف هذا النقاء من خلال وجوده الجديد أحدث تغييرات بصفة أساسية على الشكل وأثار لدينا التساؤل حول القيمة المضافة أو حتى الضرورة بدخول خامه الخزف مجالات النحت أو التصوير أو الابستيشن فن أو الأرض أو البيتة ..

ولعل من شأن هذا التداخل الاهتمام أن يؤدي إلى نوع جديد من التفكير ؟

لقد عكس بينالى الخزف الدولى الرابع

أن يخلق بالعمل أى أذى .
بعضنا هذا فى موقف عدم إدراك ما يود فن الخزف أن يؤزل إليه .. فهل يود أن يخرج فن فهمنا الأساسى لأسلوب صياغته ، ويتحول إلى مجموعة أفكار تجريبية حول القدرة على إعادة صياغة خواص الحامة من خلال تراوجها بعناصر أخرى .. لفى وجودها التصويرى يقوم الفنان بتجريب درجات اللون وضبط إشغالاته على السطح والتحكم فى إضافته من العتمة إلى الإشراق . وعمليات حرق محكمة النتائج ولا يترك مجالاً للصدفة أن تفعل فعلها .

المهر الحقيقى فى عمل شادى النشواتى هو أنه يجسّد لقضية الأساسية لفن الخزف ، وبخاصة إذا علمنا أن شادى النشواتى ليس بخزاف فلم يدرس فن الخزف ، وإنما تعرف على أسرارها فى استديو صديقه الفنان الخزاف أسامة زغلول بنحى العلاقة الروبانية بينهما .. إذا يقدم شادى إمكانية لتحقيق الخزف فى إطار أكثر إنشاعاً وأكثر تعقيداً ، فلم تعد الحامة فى العمل الفنى أكثر الجوانب أهمية فى إنتاجه ، بل أصبحت أحد جوانب تصميمه ، فالفكرة هى أساس العملية الادبائية عند الفنان ثم تأتى خطوة الاستعانة بعناصر تنفيذها لهذا نجد أنه لم يكن ليؤذى العمل إذا استبدله الفنان بخامة أخرى ، فخامة الخزف هنا خاملة أو سلبية .. فهى لا تلتصق

فاطمة اسماعيل

مصدر قوة أو مصدر ضعف للعمل.

إذا انتقلنا للعمل الذي قدمه عماد أبو زيد والمكون من ٩٦ بلاطة من الفخار مقاس 10×15 سم. مقاس العمل ١٢٠ سم \times ١٨٠ سم. مثبت على الحائط يطبع على بعض من هذه البلاطات آثار أقدامه، ويصعب على بعض منها أوضاعاً لأقدامه يجعلها الطبيعية.

ينتقل عماد أبو زيد بعمله من فكرة الاهتمام بامكانيات الخزف كإقامة إلى الذاتية في العمل، فالعمل قد نفذ بالخزف فقط لأن الحدث هو بينالي الخزف، فالضرورة متفنية بالكامل بالنسبة للخامة في هذا العمل. هذا على خلاف عمل الفنان عبد اللطيف والذي يتكون من أربعة ريلفات مثبتة على حائط القاعة بأحجام صغيرة 10×20 سم، 20×22 سم، قام الفنان فيها بتعشيق المرميات كعناصر بارزة في اللوحة مع خليطاتها الزجاجية، ثم خدسة قاييل لرميات لها أجنحة نباتية مثبتة على قواعد خشبية بارتفاع ٨ سم. وأحد تلك المرميات مثبت على خلفية خزفية نقش عليها أحرف ورسومات توحى بما نراه على أوراق البردي، ثم كتلة خزفية باللون الأزرق مشطرة بقطعة زجاج ومثبتة على قاعدة خشبية مقاس 5×8 سم.

الاختيار عند عبد واضح إذ أنه معنى باستخلاص طاقات الخامة المنفذ بها العمل، وقد أفاد من القيمة التعليمية في أبحاثه في اللون الأزرق بدرجاته المتفاوتة، ويسته في علاقة تزواج وتعشيق خامة الطين بالحلقة الزجاجية التي تقل فراغات تحوي العمل من داخله وأحياناً تملأ محيطاً خارجياً يؤطر المرميات.

يختلف النموذج الذي قدمه عبد اللطيف عما قدمه شادي وعصام أبو زيد فقد غلب شادي النشأت الطابع الحيوي على عمله، بينما عماد ركز على تحويل العمل على أرضية المفاهيمي أو الذاتي، بينما عرض عبد على أن يظل عمله في إطار تعبير طاقات تلك الخامة وإمكاناتها من داخلها.

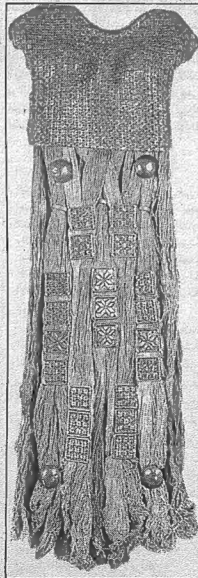
ولو تفحصنا العمل الذي قدمه الإيطالي اميديو جالاسي (١٩٤٤) وهو عبارة عن تمج ينتهي على شكل سهم بالطريق، منفذ بخامة الخزف الأزرق على شكل صفيح من وحدات مثلثة متكررة في نظام بمسافة ٢ متر بينها فراغات متساوية تغلق بالخزف المزج المجروش باللون الأبيض... وأميديو جالاسي هو أستاذ لفن النحت بمعهد الفنون بفيانسا. وهذا مايفسر تغليب منطق النحت على عمل إميديو فهو معنى بحجم الكتلة الصوفية وعلاقتها بالفراغ الداخلي والخارجي، ولم تشغل المادة المستخدمة كثيراً فالعلاقة

المباشرة بين الشكل والفراغ هو قضية.

وهنا قد نجد اتفاقاً من وجهة النظر بين شادي وأميديو... بينما يتفق الإيطالي استيفانو ديلابورتا (١٩٥٨) مع وجهة النظر التي يقدمها (عبد اللطيف) في عمله المكون من مجسوعات متنوعة من أفراس الأديبة والكبسولات والأشرطة ذات الألوان المختلفة. في محاولة للإيهام باستحداث تقنيات تكشف عن إمكانيات الخامة من حيث للمس والشكل والبريق واللون... ولا يغيب عن استيفانو أن يحمل عمله بغواية "البوب" ليزيد من إيهام المشاهد.

وإذا انتقلنا لعمل الفنان المصري معتز نصر فهو مكون من مجسوة أشكال كروية ذات أحجام مختلفة تتناثر في زاوية حديثة مجمع الفنون حيث يقام بينالي، وترتفع

كوكالغاري - قبرص - عمل خزفي



رأس الزاوية عن مسطح الحديقة تدريجياً حتى تصل في قمته إلى أقصى ارتفاع وهو متر مربع تتناثر فوقه أيضاً الكرات الفخارية. يحاط العمل بمجموعة أشجار شاهقة الارتفاع وتتساوق منها تلك الكرات الصغيرة الحجم والتي تتناثر في لونها مع طينة الفخار التي يقدم بها معتز عمله.

يبعث معتز عن تلك العلاقة بين المادة والطبيعة والتي تتركز على ديناميكية الحياة، وضح معتز عمله في حالة ثابتة رغم وجوده في الطبيعة، فلم يترك للطبيعة أن تفعل فعلها مع الخامة وتضعها لتغيراتها وظروفها. وإنما تشيئها وتجعل من وجودها خلفية استثنائية وليست أساسية، ولو انتقلنا هذا الجزء الأخضر من الحديقة والذي رتب عليه أشكاله ووضعناه في القاعة ماكان يفسد ذلك شيئاً من العمل.

ينتقل معتز بعمله من مجرد منتج خزفي إلى فن ذهني لا يلتفت كثيراً لطريقة الصنع.

وهو هنا يختلف مثلاً عما قدمه طارق الكومي في نفس الحديقة في بينالي الدولي الثاني للخزف حين وضع زير وأنصاف أزيار وفرد شعبي خزفي في تجهيز انستيتشي... في عمل طارق الكومي لا يمكن تغيير الخامة لأخرى، بل ولا يمكن تبديل العناصر أو استبدال أشكالها وإلا تغير العمل بالكامل.

وهو هنا يحترم الخامة في ذاتها.

أما القرصية كوكالغاري (١٩٥٦) والتي عرضت أزياء في واجهة متحف الفن المصري الحديث وهو أيضاً موقع لعرض بينالي، فمجدداً تستعرض تقنيات الخامة من خلال تحفيقها في أشكال حياتية تتعامل معها وتقرب في وجهة النظر مع الفنانة المصرية تهاني العادلي التي صممت غرفة من الآلات الموسيقية الشعبية: العود، وأثاث شعبي مثل الشرا والظلية وكريسي الحمام، والدكة... وهو عمل منفذ بالخزف. مع الحشيش كعنصر ثانوي يساعد على التجهيز في الفراغ.

في طين العمليين تقف عند حدود تفحص تقنيات الخزف وقدرته على التشغيل، وإعادة الترتيب والتركيب.

الأشعة كثيرة بينالي الخزف الدولي الرابع، وهناك كثير من القضايا التي تستثيرنا في الأعمال المعروضة، ولكن لم يكن من السهل علينا الشعب في أكثر من قضية وأعطانها حقها. خاصة أننا لا نطعن لنبني آراء قاطعة أو وجهة نظر فاصلة في القضية التي أثارها والتي تنحصر حول البحث في طبيعة الفن بصرف النظر عن المجال، أم الإخلاص للمجال والقبول بقواعده.

مشاعبنا



دخان

الأمريكيين

ونيران العرب

كان الزعيم الهندي الراحل «جواهر لال نهرو» يقول: لو لم يكن النظام السوفيتي موجوداً لاخترعه. ومعنى الكلام أن وجود معسكرين دوليين متناقضين، هو الذي يمكن الدول المتخلفة من المناورة في بحر السياسة الدولية الملىء بالمخاطر.

وبانهيار النظام السوفيتي، توقفت اللعبة، التي عاشت عليها أنظمة ما كان يسمى بـ«العالم الثالث» و«حركة التحرر الوطني العالمية» والدول المستقلة حديثاً، فانهارت بعض هذه الأنظمة، وغير البعض الآخر جلده وشعاراته، من دون أن يغير رجاله، وكشفت الاخفاصات عن أن الاستفادة الأولى من هذا اللعب على الحبال، هي الأنظمة لا الشعوب، والحكام لا الدول.

وعلى عكس ما كان متوقفاً فإن النظام العربي، الذي عاش طويلاً بلعب على الحبال بين موسكو وواشنطن، لم ينتبه حتى الآن، إلى أن عليه أن يواجه مشكلة اعتماداً على نفسه، وغير مراجعة صريحة لهذه المشاكل، بل تمسك بالشعار، الذي كان مطروحاً أيام الحرب الباردة، بعد أن غيره إلى: لو لم تكن أمريكا موجودة، لاختراعناها نحن العرب. ومعنى الكلام، أن وجود أمريكا هو الذي يمكن النظام العربي من المناورة على الشعوب العربية، باعتبارها مشجعا جاهزا تعلق عليه هذه الأنظمة كل ما يواجه الشعوب العربية من مشاكل، من نقص الديمقراطية إلى انتشار الفساد، ومن مشكلة الاقليات إلى مشكلة السلام.

ذلك كله، كلام صحيح، خاصة إذا أضفنا إليه حقيقة أن الحركة التي انتهت بوضع حماية الاقليات ضمن برنامج إدارة كلينتون، لم تكن بعيدة عن تحريض أنصار «نتنياهو» في الكونغرس.

لكن من الصحيح كذلك، أنه لا يوجد دخان بدون نار، وأن هناك في بعض المجتمعات العربية، وفي ظل بعض الأنظمة العربية، مشاكل للأقليات الدينية، تتطلب مواجهة جادة، وانطلاقاً من رؤية وديمقراطية تحمى كل حقوق المواطنة، وتساوي بين المواطنين أمام القانون، وحتى لا يتخذها الأمريكيون ذريعة لوضع الأقليات تحت حمايتهم، وفرض العقوبات على الأغلبية!

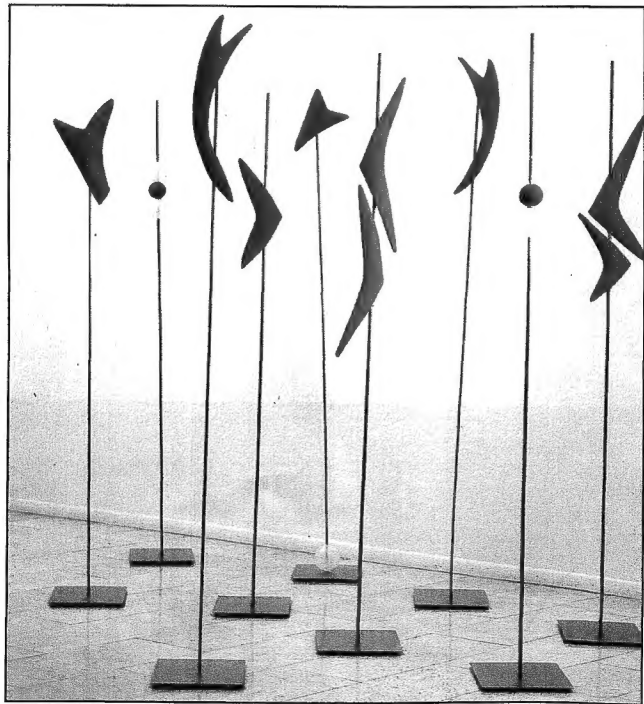
فليكن الأمريكيون أولاد ستين في سبعين، ولكن لماذا نعطهم التفرقة لكي يتدخلوا في شئتنا، إلا إذا كنا، نرغب في ذلك لأننا أولاد ستين في سبعين من اتباعهم.

صلاح عيسى

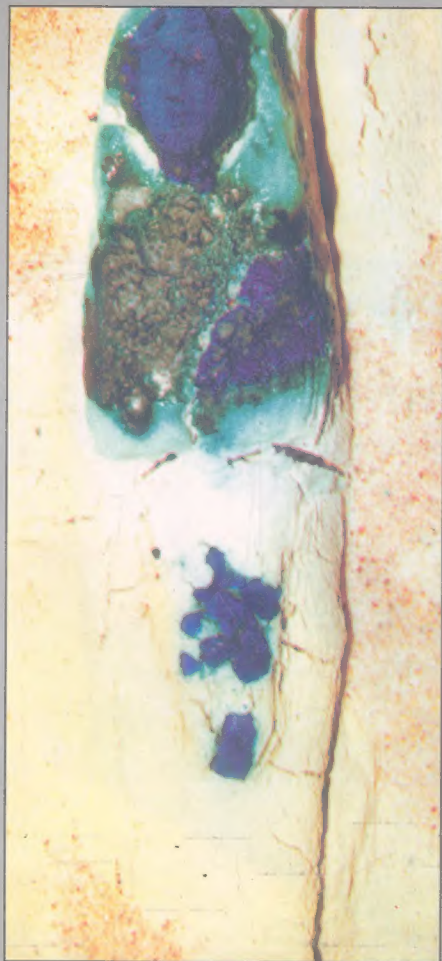
الأمريكي ترقبهما - ما لم يكن في ذلك اضراء بالامن القومي الأمريكي - بحيث تشمل الحرمان من المساعدات والقروض والصادرات وتأثيرات الدخول الأمريكية «وتجديد حد أقصى للتعامل بين المصارف الأمريكية، ومصارف الدول التي تمارس الاضطهاد الديني، لا يزيد عن عشرة ملايين دولار».

والقانون الأصلي بذئ، والتعديل المراد ادخاله عليه - والذي سيتم التصويت عليه في الحزب القدام - أكثر بداءة، ونستطيع أن نكتب في تبيان بأنه كلام كثير يمد من المحيط إلى الخليج، لا يبدأ بإدانة وشجب، ووصفة بأنه وصاية مرذولة ودليل على أن أمريكا تتصرف وكأنها سيدة العالم، ولا ينتهي بإصدار بيانات مشتركة توقعها رموز الاغليات والاقليات الدينية، تعلن أن جميع المسائل تمام الصلح، وأن العلاقات بين الطرفين سمن ولا عسل، وأن هدف الولايات المتحدة من التباكي على الحريات الدينية، هو الحصول على أوراق خضف تستخدمها في إبقاء الدول في بيت الطاعة الأبيض الأمريكي.

وأخر المشاكل التي يضع العرب فأسها في رقبه البيت الأبيض، هي الاقتراحات التي ينظرها مجلس الشيوخ الأمريكي، لتعديل قانون «مكافحة الاضطهاد الديني»، الذي وافق عليه مجلس النواب الأمريكي، في الشهر الماضي، ليصنع أكثر تشدداً، وتغير اسمه - بالتالي - إلى «قانون الحريات الدينية الدولي»، وهي تغييرات تشمل تحديد مظاهر الاضطهاد الديني، بشكل أكثر تفصيلاً، بحيث تشمل خطر تغيير الديانة، أو تقييد الأنشطة الدينية وتقييد طقوس العبادة، أو فرض قيود على حيازة وتوزيع المواد الدينية، أو على تولي المناصب العامة بسبب الدين كما تشمل وضع آلية أكثر انضباطاً للهيئات الأمريكية التي يكون من مقها تحديد أسماء الدول التي تقع تحت طائلة القانون لممارستها للاضطهاد الديني، تضيف إلى المدبب الخاص بذلك في البيت الأبيض، سفيراً فوق العادة للحريات الدينية، يتبعه موظفون في سفارات الدول المنهية بارتكاب الجريمة، ولجنة في الكونغرس تتكون من الحسنيين الرئيسيين، كما تشمل هذه التغييرات بياناً أكثر تفصيلاً بالعقوبات التي يجوز للرئيس



بربارا جيوجيو - قبرص - اينستليشن من الخزف والحديد



عيد عبد اللطيف - بينالى القاهرة الدولى الرابع للخزف